المشرق

آب وايلول ١٩٣١

متى صاحب الانجيل الاول

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

حياة متى

الله المدعوّ «متى» في الانجيل الاول (متى ٩:٩) هو ذاته الذي يسمّيه مرقس (٢ : ١٤) «لاوي بن حلفى»، ولوقا (٥ : ٢٧) يدعوهُ «لاوي». والدليل على ذلك هو انه، في الثلاثة الاناجيل المشار اليها التي تذكر دعوة يسوع لمتى او لاوي، ورد جوهر الحادث ذاته وظروفه ونوع التعبير عنه؛ ولا نجد فيه اختلافاً الا في اسم الرجل الذي دعاه يسوع ليتبعه. يتضح ذلك لكلّ من يطالع هذا الخبر في الاناجيل. فالحادث جرى في مدينة كفرناحوم ويعبّر عنها متى الانجيلي بقوله ان يسوع «ركب السفينة واجتاز العبر واتى الى مدينته» (متى ٩:١) يريد بالكلمة «مدينته» كفرناحوم. لان يسوع كان انتقل من الناصرة الى كفرناحوم عندما ابتدأ حياته العمومية، كما يؤكد ذلك متى (٤:١٣) «وترك الناصرة وجاء فسكن

في كفرناحوم التي على شاطئ البحر» . ويصرّح مرقس (٢: ١) بأن يسوع كان اذ ذاك في كفرناحوم . والانجيليون الثلاثة يذكرون شفاء المخلّع، قبل دعوة يسوع لمتى او لاوي . ويتكلمون عن المأدبة التي صنعها الرجل بعد دعوة يسوع له، وعن تذمّر الكتبة والفريسيين من ان كثيرين من العشّارين والخطأة اتكأوا مع يسوع في هذه المأدبة، وعن جواب يسوع بقوله: «لا يحتاج الاصحاء الى طبيب لكن ذوو الاسقام فاني لم آتِ لادعو صديقين بل خطأة» (مرقس ٢ : ١٧ ولوقا ٥ : ٣١ و ٣٢ ومتى ٩ : ١٢)

فمن كل ذلك يتضح ان الاناجيل الثلاثة تذكر الحادث ذاته، وان الذي يُسمى «متى» في الانجيل الاول، اي انجيل متى، يُسمى في الانجيل الثاني، اي انجيل مرقس، «لاوي بن حلفى»؛ وفي الانجيل الثالث، اي انجيل لوقا، يُسمّى «لاوي العشّار».

قد بيّنا، بمقالتنا في نسب المسيح [١] ومقالتنا عن مرقس صاحب الانجيل الثاني [٢]، ان اليهود كثيرًا ما كانوا يتخذون لهم اسمين الواحد عبراني، والآخر يوناني او روماني . او اسمين عبرانيين الواحد يكون اسم العلم الشخصي، والآخر الكنية مثل «يوسف برسابا»، «يوسف المسمّى برسابا الملقّب البارّ» (اعمال ١ : ٢٣) . و «يوسف برنابا»، «يوسف الذي لقّبه الرسل برنابا الذي تاويله ابن العزاء اللاوي القبرسي الاصل» (اعمال ٤ : ٣٦) ونجد في سفر المكابيين الاول (٢ : ٢-٥) ان كل واحد من اولاد متتيا الخمسة كان له اسمه ولقبه: «يوحنا الملقّب بكدّيس، وسمعان المسمى بطسّي، ويهوذا الملقّب بالمكابي، وأليعازار الملقّب بأواران، ويوناتان الملقب «بأفوس». وكذلك عند العرب والسريان مثل «ابن العبري» وهو «غريغوريوس ابو الفرج بن اهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري» صاحب مختصر تاريخ الدول.

فايّ الاسمين، متى ام لاوي، كان الاسم الاصلي للرجل الذي دعاه المسيح ليكون له رسولًا . نظنّ ان الاسم الاصلي كان «لاوي» كما ورد في مرقس

١) المشرق (٣٦[١٩٣٨]: ٤٨١ و٥٦١)
٢) المشرق (٣٧[١٩٣٩]: ٥٦١)

ولوقا. اما الاسم «متى» فقد تغلّب على الاول، فأعطي له بعد اتباعه يسوع؛ ومعناه «عطا الله» او «هبة الله» وهو يشير الى النعمة التي نالها اذ دعاه يسوع. والبرهان لدينا هو انه في الآية (متى ٩:٩) هذه العبارة «اسمه متى» هي في اليونانية λεγόμενος اي «المدعوّ» كما قيل عن يسوع «الذي يدعى المسيح» (متى ١ : ١٦) او «الذي يقال له المسيح» (متى ٢٧:١٧و٢٢)، وكذلك في اسم الرسول بطرس «سمعان المدعوّ بطرس» (متى ١٠ : ٢). فكما ان اللفظة «المسيح» ليست الاسم الاصلي ليسوع، وكما ان «بطرس» ليس الاسم الاصلي لسمعان بن يونا، كذلك الاسم «متى» ليس الاسم الاصلي للاوي العشّار. ولهذا نرى مرقس ولوقا، عند ايرادهما دعوة يسوع لمتى، يسميانه باسمه الحقيقي لاوي. اما بعد اتباعه ليسوع فغلب عليه الاسم «متى»، حتى انه فيما بعد ذكر الاسم متى دون الاسم الاصلي لاوي، كما نجد ذلك في انجيلي مرقس ولوقا لدى ذكرهما اسامي جميع الرسل (مرقس ٣ : ١٨ لوقا ٦:١٥ واعمال ١:١٣). وقد لاحظ اوسابيوس[1] ان مرقس ولوقا عند ايرادهما مجتمع الرسل يذكران اسم متى سابقاً في الرتبة، اما متى(١٠:٣) فتواضعاً منه يذكر اسمه بعد اسم توما اي ثامناً في الرتبة ويصرّح بانه كان عشّاراً. وفي اعمال الرسل هو الثامن في الرتبة.

اما وظيفة العشّار هذه فلا يُستنتج منها ان متى كان متوظفاً عند الحكام الرومانيين كما ذكرنا ذلك خطأ في مقالتنا «رسل المسيح الاثنا عشر»[2] لان كفرناحوم كانت في ولاية هيرودس انتيباس اليهودي، وكان متى في تلك المدينة من متوظفي جمع المكس من صيد السمك ومن التجارة المتبادلة بين سورية ومصر والمجتازة بكفرناحوم.

وربّ مستفيد يسأل: هل سبقت معرفة متى ليسوع قبل ان يدعوه ليتبعه، كما يُخبَر عن اندراوس ويوحنا انهما مكثا يوماً عند يسوع (يوحنا١: ٣٥-٤٣)؟ فنجيب ان الاناجيل لم تذكر شيئاً من ذلك عن متى. ولكن من المحتمل والاقرب الى الحقيقة ان يكون متى قد عرف يسوع قبل دعوته وتتلمذ له، وانه كان

١) اوسابيوس : البينات الانجيلية ك ٣، ف ٥ (الآباء اليونان لمين المجلّد ٢٢ العمود ٢١٦)
٢) المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٣٤٢)

منتظرًا دعوة يسوع الرسمية لكي يترك كلّ شيء. ويتبعه، كما حدث قبله لبطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا . ولعلّ متى كان قد سمع وعظ يوحنا المعمدان، وتاب على يده وأعتمد، كما فعل كثيرون من العشارين (لوقا ٣: ١٢)

وعلى كلّ فان لاوي بن حلفى[١] كان قد سمع اشياء كثيرة عن يسوع المعلم العظيم، وكان مستعدًا ليتبع طريق الملكوت الذي كان يبشر به . فعندما سمع هذه الكلمة «اتبعني»، ترك كل شيء. وتبعه فرحاً . واذ ابتدأ حياةً جديدة اتخذ له اسماً جديدًا يشير الى النعمة العظيمة الموهوبة له فتسمَّى متى او يكون يسوع سماه متى . واراد ان يُظهر فرط ابتهاجه بدعوة يسوع له، فصنع مأدبة ضمّ اليها شركاءه في وظيفة جمع العشر، ودعا الى الوليمة يسوع وتلاميذه.

ان متى، بعد دعوة يسوع له، لم يعد يُذكر الّا في قائمة الرسل الاثني عشر التي وردت في الاناجيل؛ ويكتفي كتاب اعمال الرسل بذكر اسمه في مصفّ الرسُل دون ان يذكر شيئاً عن حياته او عن رسالته . وينبئنا التقليد انه عاش عيشة قشفة، وامتنع دائمًا عن أكل اللحم. ولا نعلم شيئًا اكيدًا عن كرازته، سوى انه اشتغل في الرسالة والتبشير مدة ليست قليلة قيل انها ١٥ سنة في ارض فلسطين، قبل ان ينتقل الى غيرها من البلاد.

صحة الانجيل الاول (انجيل متى) وقدمه

ان التقليد القديم المتواصل، منذ اواخر القرن الاول للمسيح، قد عرف

---

١) ان البعض ظنوا ان لاوي بن حلفى كان اخاً للرسول يعقوب بن حلفى. الا ان رايهم هذا ضعيف جدًا . فلو كان ذلك لكان ذكره الانجيل اما بذكر لفظة اخوين، واما بضم الاسمين معاً، كما فعل بخصوص الاخوين بطرس واندراوس، والاخوين يعقوب ويوحنا ابني زبدى (متى ٤: ١٨ و٢١، و١٠: ٢ و٣) «ويعقوب بن حلفى . . . ويهوذا اخا يعقوب» (لوقا ٦: ١٥ و١٦) . ان الاسم حلفى كان شائعاً بين اليهود، فلا عجب ان يكون رسولان ينتسبان الى ابوين مختلفين مسمّيين حلفى. ثم ان يعقوب بن حلفى هو احد الاربعة المسمّين اخوة الرب، وهم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا (متى ١٣: ٥٥ ومرقس ٦: ٣) فلو كان لاوي بن حلفى اخاً ليعقوب لكان المسمون اخوة الربّ خمسة لا اربعة كما ذكر الانجيل.

الانجيل الاول واقرَّ به واقتبس منه آيات عديدة ، بعضها أُخذ حرفيًا . يؤيد ذلك ما جاء في كتابات الآباء الرسوليين ، وآباء الكنيسة الذين اتوا بعدهم:

شهادات الآباء الرسوليين

ان اقدم الآباء الرسوليين المعروفين الذين سلمت كتاباتهم او بعضها من الضياع هم برنابا ، والقديس كليمنت البابا ، والقديس اغناطيوس الشهيد اسقف انطاكية ، والقديس بوليكربوس الشهيد اسقف ازمير ، وكتاب تعليم الرسل المسمّى «ذيذكه» . فهؤلاء عرفوا الانجيل الاول ، انجيل متى ، وذكروه في كتاباتهم مستشهدين به ليؤيدوا تعليمهم ، وهكذا بيّنوا قدمه واعترفوا بصحته.

١ً قال برنابا[1] في رسالته (٤:١٤) مشيرًا الى الكتاب المقدس، اي انجيل متى ، لقوله « كما كُتب » ؛ لانّ هذه العبارة في اليونانية تعني الكتب المقدسة. قال : « كما كُتب ان المدعوّين كثيرون والمختارين قليلون» . فهذه العبارة هي موجودة حرفيًا في انجيل متى ٢٠:١٦ و ٢٢:١٤

وقال ايضاً برنابا في رسالته (٥:٩) عن المسيح انه اختار الرسل ليبشروا بالانجيل: « لكي يُعلن انه لم يأتِ ليدعو صدّيقين بل خطأة » وهذه الآية هي مأخوذة حرفيًا من انجيل متى ٩:١٣

٢ً القديس كليمنت البابا . قال في رسالته الاولى الى اهل كورنثية (٤٦:٨) : « اذكروا اقوال يسوع ربّنا : الويل لذلك الرجل . قد كان خيرًا له لو لم يولد من ان يُشكك احد مختاريَّ . كان اجدر له لو عُلّق في عنقه

١) ان كثيرين من القدماء ، وبعض علماء عصرنا ، نسبوا هذه الرسالة الى برنابا ، رفيق القديس بولس الرسول في التبشير . ولكن الارجح اليوم عند اصحاب النقد انها ليست له ، بل لرجل مسيحي من الاسكندرية كتبها في اواخر القرن الاول للمسيح ، وكتبها بعد خراب اورشليم كما يتضح من نص الرسالة (١٦:٤) . والارجح ان برنابا ، رفيق بولس ، توفي قبل هذا الخراب . ثم ان ما يقال في هذه الرسالة عن العهد القديم لا يمكن ان يقوله برنابا رفيق بولس . وجاء في الرسالة (٩:٦) ان جميع السوريين كانوا يُختنون ، خلافًا لما ورد في كتاب يوسيفوس فلافيوس (الآثار اليهودية القديمة ك ٨ ، ف ١٠ ، عدد ٢) من ان اليهود وحدهم في فلسطين كانوا يختتنون . ولا يصدّق ان برنابا ، رفيق بولس ، كان يجهل ذلك . ومن ثم فالرسالة المنسوبة اليه ، وان قديمة جدًا ، ليست له.

حجز الرحى وزُجّ في لجة البحر من ان يفسد احد مختاريّ ». وهذا الكلام مُقتبس من انجيل متى ٢٦ : ٢٤ و ١٨ : ٦

٣ القديس اغناطيوس ، اسقف انطاكية ، في رسالته الى اهل افسس (١٤ : ٢) قال ، اخذًا عن انجيل متى (١٢ : ٣٣) : « تُعرف الشجرة من ثمرها ». وفي رسالته الى اهل ازمير (١ : ١) قال مشيرًا الى انجيل متى (٣ : ١٥) : ان يوحنا عمد يسوع « لكي يُتمّ كل برّ ». وقال ايضاً في الرسالة ذاتها (٦ : ١) مستعملًا كلام يسوع في انجيل متى (١٩ : ١٢) : « من استطاع ان يحتمل فليحتمل ». وفي رسالته الى القديس بوليكربوس اسقف ازمير (٢ : ٢) قال اغناطيوس مردّدًا كلام يسوع في انجيل متى (١٠ : ١٦) : « كن حكيماً في كل شيء كالحية وودیعاً كالحمامة »

٤ القديس بوليكربوس ، اسقف ازمير ، في رسالته الى اهل فيلبي (٢ : ٣) قال : « لا تدينوا لئلا تُدانوا . . . بالكيل الذي تكيلون به يُكال لكم » . « طوبى للمساكين وللمضطهدين فانّ لهم ملكوت السماوات » فهذه الآيات هي مأخوذة من انجيل متى ٧ : ١ و ٢ و ٥ : ٣ و ١٠

وقال بوليكربوس في الرسالة ذاتها (٧ : ٢) : « متوسّلين الى الله مراقب الجميع لكي لا يُدخلنا في تجربة كما قال الرب ان الروح مستعدّ واما الجسد ضعيف » . وهذه الآية هي من انجيل متى ٢٦ : ٤١

٥ كتاب تعليم الرسل[1] : ان الاثر الكتابي اليوناني المسمى « ديدكه » اي تعليم الرسل ، اقتبس آيات عديدة من انجيل متى دون ان يذكر اسمه . وبعض هذه الآيات نُقلت حرفيًا . وها نحن نبيّن ذلك :

« فأمّا طريق الحياة فهي اولًا ان تحبّ الله الذي خلقك . ثانياً أن تحبّ قريبك كنفسك ، وان جميع الاشياء التي لا تريد ان تصنع اليك فلا تفعلها انت

---

١) يرتقي ظهور هذا الكتاب « ديدكه » الى ما بين السنتين ٨٠ و ٩٢ بعد المسيح . راجع في مجلة المشرق (٢٩ [١٩٣١] : ١ - ٩ و ٩٣ - ٩٩) وصف هذا الاثر الكتابي اليوناني النفيس . وقد نقلناه الى العربية ثم طبعناه على حدة تعميماً للفائدة . فيمكن اقتناؤه من مطبعتنا الكاثوليكية .

ايضاً الى آخر . وتعليم هذين القولين هو باركوا الذين يلعنونكم وصلّوا لاجل اعدائكم ، صوموا لاجل مضطهديكم ، لانه لا فضل لكم اذا كنتم تحبون محبّيكم ، فانّ الامم لا تفعل الا هذا عينه . واما انتم فأحبوا مُبغضيكم فلا يكون لكم عدوّ . . . اذا ضربك احدٌ ضربة على الخدّ الايمن فحوّل لـه الآخر ايضاً فتكون كاملاً . اذا سخّرك احدٌ ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين اذا اخذ احد ثوبك فأعطه الرداء ايضاً . واذا اخذ احدٌ منك ما هو لك فلا تطالبه ، اذ لا تقدر . كلّ من سألك فاعطه ولا تطالبه لانّ الربّ يريد ان نعطي الجميع من مواهبنا الخاصّة . . . ولا يخرج من هنـاك حتى يوفي الفلس الاخير » (تعليم الرسل ١ : ٢،٣،٤،٥) . راجع متى ٢٢ : ٣٧-٣٩ و ٧ : ١٢ و٥ : ٤٤و٤٦و٤٧و٣٩-٤٢

« كن وديعاً لان الودعاء يرثون الارض » (تعليم الرسل ٣ : ٧) . راجع متى ٥ : ٤

« عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس في مـاء حيّ » (تعليم الرسل ٧ : ١) . راجع متى ٢٨ : ١٩

« لا تصلّوا كالمرائين بل كما اوصى الربّ في انجيلـه بان تصلّوا هكذا : ابانا الذي في السماء ليتقدس اسمك ليأتِ ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنبنـا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين الينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لان لك المجد والقوّة الى الابد » (تعليم الرسل ٨ : ٢) . راجع متى ٦ : ٥ و ٩-١٣

« ان الربّ قال لا تعطو القدس للكلاب » (تعليم الرسل ٩ : ٥) راجع متى ٧ : ٦

« اذكر يا رب كنيستك . . . واجمعهـا من الارياح الاربعة مقدسة الى ملكوتك الذي اعددته لها » (تعليم الرسل ١٠ : ٥) . راجع متى ٢٤ : ٣١

« اما من جهة الرسل والانبيـاء فحسب امر الانجيل هكذا افعلوا كل رسول يأتي اليكم فاقبلوه كالرب » (تعليم الرسل ١١ : ٣ و ٤) . راجع متى ١٠ : ٤٠

« كلُّ نبيّ يعلّم بالحقّ ولا يعمل بما يعلم فهو نبيّ كاذب » (تعليم الرسل ١١ : ١٠) . راجع متى ١٩:٥

« كل معلم حقيقي مستحقٌ هو ايضاً نظير العامل طعامه » (تعليم الرسل ١٣ : ٢) . راجع متى ١٠:١٠

« وتجنوا بعضكم بعضاً لا بغضب بل في سلام كما لكم في الانجيل وكل من يتعدى على آخر لا يكلمه احد ولا يسمع كلمة منكم حتى يتوب » (تعليم الرسل ١٥ : ٣) . راجع متى ١٨ : ١٥-١٧

« اما صلواتكم وصدقاتكم وجميع اعمالكم فافعلوها هكذا كما عندكم في انجيل ربّنا » (تعليم الرسل ١٥ : ٤) . راجع متى ٦ : ١-٧

« اسهروا لاجل حياتكم لا تكن سُرُجكم مُطفأة ولا احقاؤكم محلولة بل كونوا مستعدين لانكم لا تعرفون الساعة التي فيها يأتي ربّنا » (تعليم الرسل ١٦ : ١) . راجع متى ٢٤ : ٤٤

« في الايام الاخيرة يتكاثر الانبياء الكذبة والمفسدون والغنم تتحوّل الى ذئاب ، والمحبة تتحوّل الى بغضة . وعند تكاثر الاثم يبغضون بعضهم بعضاً ويُسلمون بعضهم بعضاً ، وحينئذٍ يظهر مضلّ العالم كانه ابن الله ، ويصنع آيات وعجائب والارض تسلم في يديه ويصنع آثاماً لم تجر قط منذ الدهر . وحينئذٍ يأتي الناس الى نار التجربة وكثيرون يعثرون ويهلكون ، والذين يصبرون في ايمانهم يخلصون من اللعنة نفسها . وحينئذٍ تظهر علامات الحق : اولاً افتتاح السماء ، ثانياً صوت البوق ، ثالثاً قيامة الموتى . . . يأتي الرب وجميع القديسين معه . حينئذٍ ينظر العالم الربَّ آتياً على سحب السماء » (تعليم الرسل ١٦ : ٣-٨) . راجع متى ٢٤ : ٩-١٣ و٣٠ و٣١

فجميع هذه الآيات التي اوردناها من كتاب تعليم الرسل ، والتي توافق بوضوح لا مزيد عليه آيات انجيل القديس متى ، تُثبت قدم هذا الانجيل وصحته .

٦ ولدينا شهادة اخرى لاحد الآباء الرسوليين بابياس ، اسقف هيرابولس في آسية الصغرى [١] . وهذه الشهادة تهمنا جدًّا لان بابياس لم يكتفِ بان ذكر

١) كتب بابياس في اوائل القرن الثاني للمسيح .

الانجيل الاول ، بل امتاز عن سائر الآباء الرسوليين بان ذكر اسم كاتب هذا الانجيل ، القديس متى الرسول . وقد حفظ لنا شهادته اوسابيوس[1] وهي: « ان متى كتب باللغة العبرانية الاقوال الالهية التي فسرها كلٌّ حسبا استطاع » . وقد ارتأى اصحاب النقد بعضهم بدون تردُّد ، وبعضهم بدون تأكيد ، ان بابياس شهد بذلك حسبا علم من يوحنا الكاهن[2] كما شهد لانجيل مرقس . وكل الذين ذكروا ودرسوا نص بابياس فهموا بهذه العبارة « اقوال الرب » ليس فقط خطب المسيح بل اعماله ايضاً اي الانجيل بكامله .

آباء الكنيسة الاقدمون

اذا تصفحنا تآليف آباء الكنيسة الذين خلفوا الآباء الرسوليين كالقديس يوستينوس الشهيد ، والقديس ايريناوس ، وترتليانوس ، واوريجنس ، وكليمنت الإسكندري ، والقديس قبريانوس الشهيد ، رأيناهم ، بايرادهم آيات الانجيل المنسوب الى متى الرسول ، يؤيدون ان هذا الانجيل كان معروفاً في ايامهم كاملاً ، كما نعرفه نحن اليوم .

١ً يوستينوس . ان القديس يوستينوس ، اذ يستشهد باسفار الكتاب المقدس ، يورد آيات لا توجد الّا في انجيل متى فيذكر هذا الانجيل في اكثر من ١٣٠ موضعاً من تآليفه . والآيات التي يذكرها ياخذها من جميع اجزاء هذا الانجيل . وهذا دليل واضح على ان انجيل متى كان كاملاً في ايام يوستينوس ، حتى في ما يخصّ طفولة يسوع المسيح .

من مدافعة يوستينوس الاولى[3]

في العدد ١٥ من مدافعة يوستينوس الاولى ، ذكرت آيات متى ٥ :٢٨و٢٩

---

١) في تاريخه الكنسي ٣:٣٩ (الآباء اليونان لمين ، المجلد ٢٠ العمود ٣٠٠)

٢) ظن البعض ان يوحنا الكاهن هو يوحنا الرسول . الا ان الرأي الارجح والمقبول اليوم عند اصحاب النقد ان يوحنا الكاهن هو غير يوحنا الرسول ، فيوحنا الذي يشير اليه بابياس كان معاصرًا وصديقًا لبوليكربوس . ولعلّ يوحنا هذا كان تلميذًا ليوحنا الرسول .

٣) الآباء اليونان لمين ، المجلد ٦

و٢٣ و١٩ ١٢:١٩ و٩:١٣ و٥:٤٦ و ٤٤ و٦:١٩ و١٦:٢٦ و٦:٢٠ و٥ : ٤٥ و٦:٢٥ و٢٦ و٣٣ و٢١ و١

وفي العدد ١٦ من المدافعة ذاتها ، ذكر يوستينوس آيات متى ٥:٢٢ و٤١ و١٦ و٣٤ و٣٧ و١٩:٦ و١٧ و٧:٢١ و٢٤ و١٣:٤٢ و٧:١٥ و١٦ و١٩

وفي العدد ١٧ من المدافعة ذاتها ، اتى يوستينوس بآيات متى ٢٢:١٧ و١٩ و٢٠ و٢١ .

وفي العدد ١٩ ، اقتبس يوستينوس آيتي متى ١٩:٢٦ و١٠:٢٨

وفي العدد ٣٣ ، من المدافعة ، ذكر آية متى ١:٢١

وفي العدد ٣٨ ، ذكر آية متى ٢٧:٣٩ و٤٠

وفي العدد ٦٣ ، اتى بآية متى ١١:٢٧

من محاورة يوستينوس مع تريفون اليهودي (٢

في العدد ١٧ ، ذكر متى ٢١:١٣ و٢٣:٢٣ و٢٧

في العدد ٣٥ ، ذكر متى ٧:١٥ و٢٤:١١

في العدد ٤٩ ، ذكر متى ٣:١١ و١٢ و١٧:١٢

في العدد ٥١ ، ذكر متى ١١:١٢-١٥

في العدد ٧٦ ، ذكر متى ٨:١١ و١٢ و٧:٢٢ و٢٣

في العدد ٩٣ ، ذكر متى ٢٢:٣٧ و٣٩

في العدد ٩٩ ، ذكر متى ٢٦:٣٩

في العدد ١٠٠ ، ذكر متى ١١:٢٧ و١٦:٢١

في العدد ١٠٣ ، ذكر متى ٤:١٠ و٢٦:٣٩

في العدد ١٠٥ ، ذكر متى ٥:٢٠

في العدد ١٠٧ ، ذكر متى ١٢:٣٩

في العدد ١١٢ ، ذكر متى ٢٣:٢٧

في العدد ١٢٠ ، ذكر متى ٨:١١ و١٢

---

٢) الاباء اليونان لمين ، المجلد ٦

في العدد ١٢٢ ، ذكر متى ٢٣: ١٠

في العدد ١٢٥ ، ذكر متى ١٣: ٣ و٤: ١٠

في العدد ١٤٠ ، ذكر متى ٨: ١١ و١٢

٢ً تتيانوس . ان تتيانوس ، تلميذ القديس يوستينوس ، في كتابه الذي ألفه بالسريانية وسماه دياتسارون[١] ، عمد الى انجيل متى فسبكه مع انجيل مرقس ولوقا ويوحنا ، ونظم انجيلًا واحدًا ، متتبعًا حياة سيدنا يسوع ، منذ ولادته الالهية الازلية والحبل به بقوة الروح القدس وطفولته وبشارته الى موته وقيامته وصعوده الى السماء . وهكذا ثبت عندنا ان الاناجيل الاربعة القانونية، ومنها انجيل متى الرسول ، كانت في ايام تتيانوس ، اي في اواسط القرن الثاني للمسيح ، موجودة كاملة كما هي الآن بين ايدينا.

٣ً ايريناوس . كان القديس ايريناوس تلميذًا للقديس بوليكربوس ففي كتابة ضدّ الهرطقات[٢] (ك٣ ف ١) صرّح بان متى كتب الانجيل ، قال .« ان متى كتب عند العبرانيين بلغتهم اذ كان بطرس وبولس يبشران في رومية ويؤسسان الكنيسة »

٤ً كليمنت الاسكندري . اليك قوله عن انجيل متى[٣] : « اوّل انجيل كُتب كان الانجيل الذي اثبت نسل المسيح وهو انجيل متى الذي بدؤه: كتاب ميلاد يسوع المسيح »

٥ً اوريجنس . قال اوريجنس في شرحه انجيل متى[٤] : « في ما يخص الاناجيل الاربعة المقبولة وحدها بدون خصام في الكنيسة جماء التي تحت السماء قد علمت من التقليد ان الانجيل الاول كتبه متى الـذي كان قبلًا عشّارًا ثم

١) طُبع هذا الاثر النفيس عن نسخة عربية قديمة عني بنشرها في مطبعة البروباغندا برومية سنة ١٨٨٢ العلّامة السيد اوغسطين شياسكا . والنسخة العربية نُقلت عن السريانية ، نقلها في القرن العاشر للمسيح ابو الفرج بن الطيب . والنسخة السريانية عرفها وشرحها القديس افرام ، مباح الكنيسة السريانية .

٢) الاباء اليونان لمين المجلد ٧ ، العمود ٨٤٤ و٨٤٥

٣) تاريخ اوسابيوس الكنسي ك ٦ ف ١٤ (الاباء اليونان لمين ، المجلد ٢٠ ، العمود ٥٥٢)

٤) الاباء اليونان لمين ، المجلد ١٣ ، العمود ٨٣٩

صار رسولًا ليسوع المسيح ، وكتبه في اللغة العبرانية لاجل اليهود المرتدين الى الايمان . والانجيل الثاني هو لمرقس . فهذا دوّن بالكتابة ما كان شرحه بطرس . ولهذا السبب يقول عنه بطرس في رسالته الكاثوليكية انه ابنه « تسلم عليكم الكنيسة التي ببابل ومرقس ابني »[١] . والانجيل الثالث هو للوقا كتبه لاجل الامم وقد وصّى به بولس . ثم انجيل يوحنا . »

شهادة الهراطقة

ليس فقط الآباء الرسوليون ، وآباء الكنيسة الذين اتوا بعدهم ، يشهدون بحقيقة انجيل متى ، لكن ايضاً الهراطقة الذين ظهروا قبل القرن الثالث للمسيح فحرّفوا او فسّروا الكلام بغير معناه الحقيقي اثباتاً لبدعهم ، وحاولوا ان يدعموا اضاليلهم ببعض آيات انجيل متى . وهكذا اعترفوا بحقيقة هذا الانجيل :

١ً . فالهرطوقي باسيليد[٢] الذي ظهر في آخر حياة يوحنا الحبيب ، رغبة منه في تأييد مبداه من الاناجيل ، يذكر انجيل متى الآية ٧ : ٦ « لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها وترجع فتمزقكم » يعني بالجواهر الذين هم من حزبه وبالخنازير والكلاب الذين يقاومونه .

٢ً وڤالنتين[٣] الذي عاش في القسم الاول من القرن الثاني يدعم تعليمه الهرطوقي بآيتين من انجيل متى ٥ : ١٨ و١٩ و٩ : ٢

٣ً ايزيدور بن باسيليد الهرطوقي[٤] يورد آيتين من الفصل ١٩ من انجيل متى .

٤ً وكذلك سردو الهرطوقي[٥] الذي عاش في القرن الثاني للمسيح ، اورد جزءا من خطاب يسوع المسيح على الجبل (متى ٥ : ٢٢ و٣٨—٤٠) .

٥ً وكذلك تيودوت ومرقيون الهرطوقيان كثيراً ما يذكران في تعاليمهما انجيل متى .

١) رسالة القديس بطرس الاولى ٥ : ١٢

٢) القديس ايفانيوس : ضد الهرطقات : الهرطقة ٥٤ العدد ٥ (الاباء اليونان ٤١ : ٣١٢)

٣) ايريناوس : ضد الهرطقات ك ١ ، ف ٣ عدد ٢ (الاباء اليونان لمين ٧ : ٤٦١)

٤) كليمنت الاسكندري : *Stromata* ، ك ٣ ف ١ (الاباء اليونان لمين ٨ : ١١٠٠)

٥) تيودوريت في مختصر الهرطقات ، ك ١ ف ٢٤ (الاباء اليونان لمين ٨٣ : ٣٧٢)

فكل هؤلاء المراطقة، بالتجائهم الى انجيل متى، اعترفوا بوجوده في ايامهم وسلطانه ككتاب موحى به . ولهذا قال القديس اوغسطينوس [1] مخاطباً المرطوقي فوست (ك ٢٨ ف ٢):

« عندما تُتلى قصة ميلاد المسيح بكاملها تعترض انت حالاً وتقول ان القصة ليست لمتى ، بينا الكنيسة جمعاء بسلسلة ثابتة متسلسلة من عهد الكراسي الرسولية الى كراسي الاساقفة في ايامنا تعترف بانها لمتى.»

وقال ايضاً اوسابيوس [2] في تاريخه الكنسي (ك٣ ف ٢٥) :« اعتبر انجيل متى من الاسفار القانونية التي لا ريب في صحتها . »

نسخة انجيل متى الآرامية

ان متى كتب انجيله اولاً في اللغة الآرامية اي العبرية التي تكلم بها اليهود على عهد المسيح . ولم تكن بعد تعددت نُسخ هذه النسخة الارامية ، لما تبدَّد المسيحيون بسبب الاضطهاد الذي ثار عليهم . وكان تبدّدهم امتثالاً لوصية السيد المسيح [3]، فانتقلوا الى ما وراء الاردنّ في بقعة العشر المُدُن ، والى اماكن اخرى ، وامتزجوا مع المتنصرين من اليونان . وشيئاً فشيئاً التزموا ان يلتجئوا الى اللغة اليونانية ، حتى في الامور الدينية ، فاستعملوا الترجمة اليونانية لانجيل متى . وهكذا مع تمادي الزمان أُهملت النسخة الاصلية الآرامية ، وفُقدت لعدم امكان استعمالها في الكنائس اليونانية . فان اقدم الآباء الذين ذكروا انجيل متى نراهم يذكرون النسخة اليونانية . ومن ثم انتشرت منذ اواسط القرن الاول للمسيح نسخة انجيل متى اليونانية كما هي في ايامنا.

في اي سنة كتب متى انجيله

ان اصحاب النقد لا يتفقون على تعيين الزمن الذي كتب فيه متى انجيله . لانّ آباء الكنيسة ذهبوا في ذلك الى آراء مختلفة : فرأي الاقدمين من الآباء هو ان كتابة انجيل متى سبقت كتابة سائر الاناجيل ، وهذا لا ريب فيه .

---

١) الاباء اللاتين لمين المجلد ٤٢ ، العمود ٤٨٥

٢) الاباء اليونان لمين المجلد ٢٠ ، العمود ٢٦٨

٣) متى ٢٤ : ١٥-٢١

هكذا إرتأى ايريناوس[1] ، واكليمنضوس الاسكندري[2] ، واوريجنس[3] ، واوسابيوس[4] ، وايبفانيوس[5] ، واوغسطينوس[6] ، ويوحنا فم الذهب[7] ؛ ومن رأيهم هذا يمكن ان نعرف زمن كتابة انجيل متى. وذلك بالمقابلة مع انجيل مرقس ، اذ اننا بيّنّا ان انجيل مرقس هو الثاني في الكتابة . وقد قال اوسابيوس[8]، مردّدًا قول ايريناوس: «ان متى نشر الانجيل عند العبرانيين مكتوباً بلغتهم اذ كان بطرس وبولس برومة يبشران ويؤسسان الكنيسة» . وقد عيّن البعض لكتابة انجيل متى السنة ٤٢ للمسيح . اما القديس ايريناوس فانه مع قوله ان انجيل متى هو الاول في الزمن ، يظهر انه يؤخر كتابته الى زمن وجود الرسولين بطرس وبولس معاً في رومية. وهذا لم يحدث الا بعد السنة ٦١ للمسيح.

ويمكننا ان نوفّق بين الرأيين بقولنا ان النصّ الآرامي كُتب في السنة ٤٢، وان الترجمة اليونانية كُتبت بعد السنة ٦١ ، ولكن قبل خراب اورشليم الذي تمّ في السنة ٧٠ للمسيح . لانه لو كانت كتبت بعد هذا الخراب ، لكان ذُكر فيها ما يُشير اليه، الّا اننا لا نرى في انجيل متى ما يشير الى ان هذا الخراب كان قد تمّ ، بل انه مزمع ان يتمّ.

في اي مكان كتب متى انجيله

ان جميع الآباء الذين تكلموا عن كتابة متى الانجيل الاول بين الاناجيل، وعن زمن كتابته ، وعن غايته في الكتابة ، قد اكدوا انه كتبه باللغة العبرانية للعبرانيين ، وقبل ان يفارق البلاد الفلسطينية ليبشر في غيرها من البلدان .

١) في كتابه ضد الهرطقات ٣: ١ (الاباء اليونان المجلد ٧ ، العمود ٨٤٤)
٢) في تاريخ اوسابيوس ٦: ١٤ (الاباء اليونان المجلد ٢٠ ، العمود ٥٥٢)
٣) في شرحه متى (الاباء اليونان المجلد ١٣ ، العمود ٨٢٩)
٤) تاريخه ك ٣ ف ٢٤ (الاباء اليونان المجلد ٢٠ ، العمود ٢٦٥)
٥) الهرطقة ٥١: ٥ (الاباء اليونان المجلد ٤١ ، العمود ٨٩٢)
٦) في اتفاق الاناجيل ك ١ ف ٢ (الاباء اللاتين المجلد ٣٤ ، العمود ١٠٤٣)
٧) في شرحه متى: العظة ١ ع ١ (الاباء اليونان لمين المجلد ٥٧ ، العمود ٢١ و٤٠)
٨) في تاريخه ك ٥ ف ٨ (الآباء اليونان لمين المجلد ٧ ، العمود ٤٤٩)

فيكون اذًا قدكتبه في فلسطين. وقد قبل هذا القول معظم الناقدين الحديثين، وزادوا ان هذا الانجيل كتب في اورشليم.

لمن كتب متى انجيله

ان اقدم الآباء في كلامهم عن انجيل متى يقولون انه كتب لاجل اليهود. فهذا ايريناوس [١] قال «ان انجيل متى كُتب لاجل اليهود». فان هؤلاء كانوا يرغبون جدًا ان يُبيَّن لهم ان المسيح كان من نسل داود. واذ كانت رغبة متى في ذلك اشدّ من رغبتهم، اجتهد بكل الطرق ان يبرهن لهم ان المسيح هو من نسل داود، ومن ثم ابتدأ انجيله بايراد نسب المسيح. وفي كتابه ضد الهرطقات (ك ٣ ف ١) [٢] عيّن المتنصرين من اليهود. ويوضح اوريجنس [٣] اللفظة «اليهود» بقوله: «ان متى كتب انجيله للذين آمنوا من اليهود» وقال اوسابيوس [٤]: «إن متى بعد ان بشر العبرانيين بالايمان وازمع ان ينتقل الى امم اخرى كتب انجيله بلغته الوطنية معوّضاً هكذا بالكتابة عمّا كان ينقصهم من التبشير لدى حضوره». ويتفق مع اوسابيوس القديس ايرونيموس [٥] بقوله: «ان متى، وهو لاوي وكان عشارًا وصار رسولًا، هو اول من كتب في اليهودية بالفاظ عبرانية انجيل المسيح لاجل الذين آمنوا من اهل الختان»، ولا يُعرف بالتأكيد من نقلها الى اليونانية. ويوحنا فم الذهب [٦] في عظته الاولى في شرح انجيل متى يؤكد الحقيقة ذاتها ان متى اذ تقدَّم اليه الذين آمنوا من اليهود وطلبوا اليه ان يترك لهم بالكتابة ما كان قاله لهم شفاهاً، كتب الانجيل بالعبرانية الحديثة اي الآرامية.

براهين داخلية من الانجيل

. ان جميع شارحي الكتاب من الكاثوليك، وكثيرين من البروتستانت،

١) شذرات الكتب المتقدمة الشذرة ٢٩ (الاباء اليونان المجلد ٧، العمود ١٢٤٤)
٢) (الاباء اليونان المجلد ٧ العمود ٨٤٤)
٣) في شرحه انجيل متى (الاباء اليونان لمين المجلد ١٣، العمود ٨٢٩)
٤) في تاريخه ك ٣ ف ٢٤ (الاباء اليونان لمين المجلد ٢٠، العمود ٢٦٥)
٥) في كتابه عن المشهورين من الكتبة ف ٣ (الاباء اللاتين لمين المجلد ٢٣، العمود ٦٤٣)
٦) راجع مين : الاباء اليونان المجلد ٥٧، العمود ١٧

قبلوا شهادة التقليد الكنائسي وأيدوها ببراهين مأخوذة من الانجيل ذاته.

ان ما يحتويه انجيل متى يدلّ على انه كُتب لاجل أناس من اصل يهودي قاطنين اليهودية وقد آمنوا بالمسيح . لانه لو كان متى قد كتب ، لا لاجل اليهود ، بل لاجل الوثنيين ، لكان سلك طريقاً غير التي سلكها ولما كان اجتهد في تبيان كون يسوع هو المسيح المنتظر من اليهود ، وانه ابن داود ، ومن ثمّ يبتدئ انجيله بنسب المسيح انه ابن داود ابن ابراهيم . ويبيّن تحقيق النبوات فيه فيهم دائماً بذكر العهد القديم ، واتمام النبوات بمثل هذه العبارة « وكان هذا كله ليتمّ ما قيل من الرب بالنبيّ القائل » (متى ١ : ٢٢ و٢ : ١٥ و١٧ و٢٣ و٤ : ١٤ و٢٧ : ٩ الخ)

وزد على ذلك ان متى لم يرَ من الضروري ان يوضح لقرائه بعض عادات اليهود ، كما فعل مرقس ولوقا اللذان كتبا للمرتدّين من الوثنيين . فيذكر غسل اليهود ايديهم قبل الأكل دون شرح (متى ١٥ : ٢) يتضح ذلك اذا قابلناه بمرقس (٧ : ٣ و٤) ، ويكتفي متى (٢٦ : ١٧) بذكر يوم الفطير بدون شرح خلافاً لمرقس (١٤ : ١٢) ولوقا (٢٢ : ٧) . ويذكر متى (٢٤ : ١٥) « المكان المقدّس » و « المدينة المقدسة » (متى ٤ : ٥ و٢٧ : ٥٣) وهي عبارة تُرضي اليهود . ويضع العشارين في درجة الوثنيين « فليكن عندك كوثني وعشار » (متى ١٨ : ١٧) . وفي كلامه عن الفرنسيين يثبت طعن يسوع فيهم طعناً مؤلماً (متى ٢٣ : ١-٤ و١٥-٣١) ولو كان كتب لليهود الغير المؤمنين بالمسيح ، لما كان كتب هكذا .

اما بعض الشروح مثل « عمانوئيل اي الله معنا » (١ : ٢٣) و« الجلجلة الذي هو موضع الجمجمة » (٢٧ : ٣٣) و« ايلي ايلي لما شبقتني اي الهي الهي لماذا تركتني » (٢٧ : ٤٦) فتنسب الى ناقل عبارة الانجيل من الآرامية الى اليونانية . وكذلك القول عن الاسم بطرس عوض كيفا ، فالمترجم اليوناني فضّل استعمال الاسم بطرس الذي كان كثر وعمّ استعماله بين المسيحيين مع تمادي الزمان .

ثم ان متى يبين في يسوع الصفات المختصة بالمسيح في العهد القديم ، اي انه الملك ، والمشترع ، وصانع المعجزات ، والكاهن الاعظم .

فكل ذلك دليل واضح على ان متى كتب لاجل اليهود المؤمنين بالمسيح

الطول في اللغة

بقلم سالم خليل رزق

١

طال الشيء يطول طُولًا : امتدَّ ، نقيض قصر ؛ ومثله استطال استطالة ، وابتـأخذ الشعر ، وأَزِجَ العشب أزَجاً ، وأَنَكَ البعيرُ ، وبَذخَ الجبلُ ـَ بَذَخاً فهو باذخ ج بواذخ ، ويقال على المجاز عزٌ باذخ ، وشرف شامخ . وابلَوْلى العشب ، وابهارَّ عليه الليل ، وتَلِع عنُقُهُ تَلَعاً فهو اتلع وتليع ، وجَارَ النبات ، واجرَهَدَّ الليلُ والطريق ، وحَرْجل الشيء ، وحُشَّ ظهر الجمل ، وخَبَّ البغي والنبات ـُ خَبًا ، واسترَّألَ النبات (تشبيهاً له بعنق الرأل) ، وارتفع النهار ، وأَزْقلت النخلة ، وتروَّح النبت ، وزَّخَرَ النبات ، وأزرع الزرعُ ، وسَمَق النبات ـُ سَمَقاً وسُمُوقاً فهو سَمِق وسامِق ، قالت صفية الباهلية :

كنا كغصنين في جرثومة سمقا حيناً باحسن ما تسمو له الشجر

وقال احمد شوقي يخاطب النيل :

وصلاة بر فوق زرعك لم يزل يزكو لذكراها النباتُ ويسمُقُ

وشَجِع شَجعاً فهو اشجع ، واشمخرَّ الشيء ، وشَرِهت عنقُهُ ، وصَبَغت عضاته ، وصَدِيَ الشيء يصدى صدًى ، وصاحت النخلة تصيح ، وضَرَبَ الليلُ ، وأطلعت النخلة ، وطَمَا النبتُ يطمو طُمُوًّا وطمى يطمي طَمْياً ، وتطاول عليهم العمر ، قال الأُبَيْرد اليربوعي :

تطاول ليلي لم انمهُ تقلبّاً كانَ فراشي حالَ من دونه الجمرُ

وطارَ الشَعر وتطاير الشيء ، وظلَّ ، واعتمَّ الشاب وعَمَّ ، وتعفَّر النبات ،

وغِلا به عظم، وتكفَّى النبات ، ومَتَع مُتُوعاً الشيء ، ومدَّ النهار ، وامتدَّ بهم السير وامتدت به العلّة ، وتمادى به السفر ، ومَطِيَ الشيءُ يطى مَطْاً ، ومَغَد الرجل والنبات وكل شيء ، ومَلَّ علي فلان السفر وامِلَّ عليه ، ونَسَع الشيء نُسُوعاً ، وانتشر النهار ، ونَشَصت سنُّهُ ، وانتصى الشعر ، وناف البعير يَنُوف نَوْفاً ، واستودف النبات ، وَوَرِم النبت ، واتَّسع النهـار ، ووفى الشيء يفي وَفَاء . ومنه يقال « مات فلان وانت برفا » اي بطول عمر .

وقد أبَل العشب ـُ أُبُولًا : طـال فاستمكنت منـه الابل ، واستأسد النبت : انتهى في الطول وبلغ غايته ، وانتصر اذا طال وكثر والتفَّ ، وائتلخ العشب : عظم وطال ، وبَسَق النخل وغيره : طـال ـ والشيءُ بُسُوقاً : تمّ طولُهُ ، وتَلَع ـُ تلاعةً : طال ، واجثألَّ النبتُ : طال وغلظ والتف ، وجَثَم الزرع : ارتفع عن الارض شيئاً واستقلَّ نباته فهو جَثِم وجَثَمٌ ، وجَيِد الغلام يجاد جَيَداً : طال عنقه وحسن فهو أجيَد ج جُود ، وقد يوصف العنق نفسُهُ بالجَيد فيقال عنق أجيد ، وحَبَت الشراسيف حُبُوّاً : طالت وتدانت ، وأخرفت الذرة : طالت جدّاً ، وَرَجا الثوبُ رَجْواً : سبغ ؛ قيل لاعرابي « بِمَ تعرف حمل شاتك ؟ » قال : « اذا استفاضت خاصرتها ودجت شعرتها » اي وفت فسترتها ، وأذفى الظبي اذا طال قرناه حتى كادا يبلغان عجزه ، واستـدام السفرُ : طال عهدُهُ ، وذمي الرجل يذمي ذماءً : طال مرضه ، وذال الثوب يذيل ذَيْلًا : طال حتى مسَّ الارض ، ورَوِق يَرْوق رَوَقاً : طالت اسنانُهُ ، وزَمخر العشبُ : برعم وطال ، وزَهَا النخل : طال ، وسَجِح الخد ـَ سَجَحاً وسَجَاحـة : سهل ولان وطال في اعتدال وقلَّ لحمُهُ ، واسجَنْرَ النبات : طال وانبسط ، وسَحُقت النخلة : طالت ، واسخنطر الرجل : طال ، وسَنِق سَقْفاً : طال في انحناء ، وسالت الغرة : استطالت وعرضت ، وأشبى الشجر اشباء : طال والتفَّ غضوضة ونعمة ، وشَدَخت غرة الفرس شدخاً وشُدُوخاً : انتشرت وسالت سفلاً فملأت الجبهة ولم تبلغ العينين وقيل غشت الوجه من اصل الناصية الى الانف ؛ وشاك لحيا البعير : طالت انيابه ومثله شوَّك لحياه ، وصاح العنقود : استمَّ خروجه من اكنته وطال وهو في ذلك غضٌّ ، وضَفا الثوب : سبغ اي تمّ فطال الى

الارض ، وطَول البعير يَطُول طَوّلاً : كان في مشفره الاعلى طول ، وعَنِق الرجلُ عَنَقاً : طال عنقه وغلظ فهو اعنق وهي عنقاء ، وعنقت كوافير النخل : طالت ، وأعنق الزرع : طال وخرج سنبله ، واغدودن الشعر : طال وتمَّ ، وغَضِفَت الاذن : طالت واسترخت وتكسرت خلقة فهي غضفاء ، وتفرعن النبات: طال وقوي ، وقَصِفَ النبت قَصَفاً : طال حتى انحنى من طولِهِ ، وتقاعس الليلُ : لم يبرح طولاً ، قال النابغة :

تقاعس حتى قلت ليس بمنقضٍ ، وليس الذي يرعى النجوم بآيبِ

وكَثّا الزرع : غلظ والتفَّ — والنبتُ : طال وكثف وغلظ — واللحيةُ : طالت وكثرت وكذا اكثّت اللحية وتَكَهّلَ النبات : تمّ طوله ، واكتهل : تمّ طوله وظهر نَوْرُه وشمله ، ومَتَح النهار : طال وامتد لغة في متع ، ومُشِقت الجارية مَشقاً : طالت مع رقة ويقال تمّ خلقها وحسنت ، وقدٌ ممشوق: طويل مع رقة . امتطل النبات: طال والتفّ وعبارة اللسان التفَّ وتداخل ، وامْمَطَ الحبلُ : انجرد وطال ، وامتعط النهار : ارتفع اي امتدَّ وطال ، وانتصى الشعر : طال — والحبلُ والارض : طالا وارتفعا ، وهَدِبت العينُ : طال هدبها — والشجرة : طالت اغصانها وتدلّت من حواليها وكذا أهدبت الشجرة . وهَدَر العشب كالعرفج ونحوه هدوراً وهديراً : طال جداً وعظم وكثر وتمّ — والارضُ هديراً : انتهى بقلها طولاً ، وهَيْكَلَ الزرعُ : نما وطال ، واولخ العشبُ : طال وعظم.

واتهلَّ الشيء واتْأَلَّ : طال واشتد ، وتطاول : اظهر الطُول او الطَول ، وأَتَمَّ النبت : اكتهل ، وجُنَّ جُنُوناً : غلظ واكتهل ، وأنجل الحمض : طال والتف ، وسَطِع الرجل ـ سَطَعاً : كان اسطع اي طويل العنق ، ويرادف هذا قولهم : عَيِطَ الرجل يَعْيَط عَيَطاً اذا كانت عنقه طويلة فهو أعيط وهي عيطاء ، وقَيِد قَيَداً اي كان طويل العنق وقيل ضخم العنق في طول ، وعاطت العنق تعوط عَوطاً وتعوّطت : طالت ، وكذا عاطت تعيط عَيطاً .واسلَهَبَ الفرس اسلهباباً : كان سَلِهباً ، ومنه قول الاعرابي في صفة الفرس : « واذا عدا اسلهبَّ ، واذا قِيد اجلعبَ ، واذا انتصب اسلأبَّ » .والسلهب من الخيل الطويل

على وجه الارض يقال فرس سلهب وخيل سلاهب . وعَطِف الرجل عَطَفاً : كان فيه عَطَف اي طول اشفار ، وقَوِد الفرسُ وغيره يقوَد قَوَداً : طال ظهره وعنقه فهو أقود وهي قوداء ، ومَخَنَ مَخْناً ومُخُوناً : كان طويلاً ، ونَسَعت المرأةُ نَسْعاً ونُسُوعاً : طال ظهرها او سنُّها ، وأهيَق الظليم : صار هَيْقاً اي طويلاً وسمي الظليم هَيْقاً لطوله ج اهياق وهُيُوق .

التطويل

طوَّل الشيء تطويلاً : جعله طويلاً ، ومثله أطاله إطالة وأطوله إطوالاً ، وقد ازَّجَ البيت اذا بناه وطوَّله ، وتأزَّم القومُ دارهم : اذا اطالوا الاقامة بها . وبَسَّق عليهم اي طوَّل ، وخَزر خَزراً : سكت طويلاً ، وذَيَّل ثوبه : طوَّله ، ورَازم الدارَ : اقام بها طويلاً ، وأرمَلَ الحبل : طوَّلهُ ، ورَازم الدارَ : اقام بها طويلاً ، وأرمَلَ الحبل : طوَّلهُ ، وآلَ غرار النصل اذا اطاله واتمّهُ ، وآشَبَّ الله قرنه : اطال عمره ، وهو من الكنايات لانه اذا شبَّ قرنه وهو مساوٍ له في السن شبَّ هو ايضاً ، ويقال لمن يدعى عليه « لا اشبَّ الله قرنك » اي لا اطال عمرك . وشَرْعب الاديمَ : قطعه طولاً وشَطَبت المرأةُ الجريد : شقّته طولاً لتعمل منه الحصير ، وشوَّط الرجلُ : طال سفره ، واشاد البنيانَ : طوَّلهُ ، وصمت المتكلم ـ صَمْتاً وصُماتاً وصُموتاً : اطال السكوت ، وطرمَح بناءه : طوَّلهُ ومثله طنّه الشيء ، وطوَّدَه ، وقد عزَّب الرجل اذا اطال النية ، وفدّن البناء اذا طوّله . وقَـدَّ الشيء ـ : قطعه مستطيلاً او شقّه طولاً ، وقَنطر علينا : طوّل واقام لا يبرح . وتلعَّب الانسانَ والحيوانَ : طرده طويلا يقال : تلعّبني الدهر وتلعّبتهم الاسفار ، ومتَّع الشيء : طوّله — والله فلاناً عَمّره اي اطال عمره ، ويقال : « ابقاك الله وامتع بك اي اطال عمرك » ، ونبلاء الكتاب يكتبون بها الى الاتباع والادنى ولا يكتبون بها الى الاكفاء والاعلى . ومدَّ اللهُ عمرَهُ : اطاله — وفي غيّه : امهله وطوّل لهُ — والحرفَ : طوّله ، ومرّد البناء : طوّله وملّسهُ ، ومَغَط الشيء : مدّه يستطيله يقال مغط الحبل وخصَّ بعضهم به الشيء اللين كالمصران ، وملّاه اللهُ

عمره قليلةً : اطاله ومتَّعه به – وجيبهُ : متعه به واعاشهُ معه طويلاً ، ومُلِّيَ فلاناً : أعيش معه ملاوة فبقي ممتَّعاً به ، واملاهُ اللهُ عمرَه : اطالهُ ومتَّعه به ، واملى له في غيه : اطال له – واللهُ الظالمَ : امهله وطوَّل له ، وتنفَّس الرجلُ : اطال ومنه : « لقد ابلغت واوجزت فلو كنت تنفست » اي اطلت ، وتنفُّس الصُعَداء . اي تنفساً طويلاً من تعب او كرب ، وهزَّ النباتَ الريحُ والريَّ : حركاه واطالاه ، ووانى القوم دارهم : اطالوا الاقامة فيها .

الطويل

الطويل : ذو الطول ج طِوال وطِيال وهي طويلة ج طويلات ، وكذلك الأَزَب والآزب والأزيب والتار والتليع (من الرجال) والجسرب والجنشوش والجلحب (الرجل الطويل القامة) والجلادح والجلعاب والجنخ والخرانف والخناب والخنب والأذب والمرطل والوخري والسط ج سِباط يقال هو سبط اليدين وسبط الجسم ، والسباطر والسطر والسيطار والسبندى ، والسيحف والسيحف (من النصال والرجال) ، والسحلان والسحلاني (من الشبان) ، والسرب والسرجم والسرعرع والسلجم والسلب والسلهم والسلهج والسدوك والسندري والسطيل والسنبع والاسنع والسجب والأشجع والشجم والسحشار والشخشع والشحشان والشوذب (الطويل النجيب من كل شيء) والشرجب والشرجع والشرحب والشرعب والشرمح والشلع والشمموم والشنلع ، والأشقع والشردل والشخاوط والشيق والشقمق ، ومن سجعات الاساس : « ما خلق الشقمق الا لينادى بيا احمق » ، والشخوط والشنخف والشنخف والشنخب والشنخف ج شناخف وشنخفون ، وقال الشاعر :

واعجبها فيمن يسوج عصابةٌ من القوم شنخفون جدُّ طوال

والشنخاف والشنغم والأشنق : يقال عِرق اشنق ، والأشوق والشيحان والصُمادي : يقال جمل صُمادي وناقة صُمادية ، والصاعد يقال عنق صاعد قال بعضهم :

واسدُدْ بندب خلة خلَّى بنا قد لا تُسدّ الى زمان صاعد

والصَعل والصَيهَد والطُرحوم والطِرماح والطِرماح والطُرموح والطرثيم والطاط

والطوط والطيط والعَرَنْدل والأعطُ والعَذَلّسُ والعِليان والعَنهج والعُنْهوج والعَمَرَّد يقال ذنب عمرد وسبسب عَمَرَّد ، والعُنرود والعُمُدَّان والبندل والعَنشط والعَنَشَّطُ والعَوهَق (للمذكر والمؤنث) والأغين والأفرع والمُقَرَّعج وفي اللسان المقرعج بالزاي ، والعُماسب ، والتِلعِمُ والتِلعَمُ والقَند والقَندل والتَّنُّور والقَهَنَّب والقَهَنْبان والتِياقُ واللُّهوف والمِلواح والماتع والمديد يقال فلان مديد القامة ، قال الشاعر :

فتترك خلفها خطاً مديداً بوجه البحر يمكث مستبينا

وايضاً :

واعزّ الاعمار عمرٌ قصير تحت ظلّ من السيوف مديد

وايضاً :

لست انسى يوماً تفيأت فيه وارف الظلّ من ذراك المديد

والمَنن والأمَقُ وهي مَقّاء. يقال رجل أمَقّ وفرس أمَقّ ، ووجه امقّ : طويل كوجه الجرادة ، قال امرؤ القيس :

ألم انض المطيّ بكل خرق أمَقّ الطول لمّاع السراب

وقال المتنبي :

وامقّ لو خدت الشمال براكب في عرضه لأناخ ، وهي طليح

.والمَلَع واليَنخوب والنَطَنَط والنَطناط والهِرجاب والهِرجَبُ والهِرطال (وفي اللسان الرجل الطويل العظيم الجسم) والهَيَنسع والوارد يقال فلان وارد الارنبة اي طويل ، الانف وشعر وارد اي يرد الكفل بطوله.

الطويل من الرجال

والأطَطُ : الطويل من الرجال وهي ططّاء. وكذلك البَتع والبَخنُ والبُطارق والتليع يقال رجل تليع وعنق تليع ، والتَيم والحِقُّ والأخدب والسَوحَق ، والأسحُلان (خاص بالشاب تقول شاب اسحلان اي طويل سبط الشعر افرع وكذلك صبية اسحلانية ومثله شاب مُسحُلانٌ ومُسحُلانيٌّ) والسِرياح والسِرناف والأسقَبُ والسَكبُ والسُلاجم والسِلِطاع والسَلهَب ج سلاهب وسلاهبة ، والسَنروت والسِيق والشَبحان ، والشرمَحي والشَرمَحُ (الرجل الطويل القوي)، والشَطوب والشَوقب والشِنَباب والشِنغاب والمُشَنَخر والصَلهب والصَيهَبُ ، والضَبَنطري والعَباب والعَثمَث (الرجل الطويل التام وقيل الطويل المضطرب) ،

والعُطْبول (الرجل الممتد القامة الطويل العنق) ، والمِلطَوْس والمَلْهَب والعِمْرِط والعُمْرُط والعِدَّفل والعَيْهَق والفِرْضاخ والقَاهبان واليَمْخُور والمَخْن والمِخَن والمِخَنّ والممشوط (الرجل فيه طول ودقة) ، والناغط ج نُغُط ، والمُتَمَهِّل ، والهِبلّ والمَجْهاج والمَدِيد والمُرْجول ويقال رجل طويل الباع اي الجسم ، وطويل النجاد وهو من باب الكناية لان طول النجاد يستلزم طول القامة قال المتنبي :

طويل النجاد ، طويل العماد ، طويل القناة ، طويل السنان

ويسمى الرجل الطويل « ابن بُحَيْنَة » والأبدح.

من الابل

والجُلابة من الابل والجَلَنْبى والجَلَنْبا.: ما طال في هوج وعجرفة ، والجُمَّة: الناقة الطويلة ، والدَّجوجاة : المنبسطة على الارض ، والرَّزوف : الطويلة الرجلين الواسعة الخطو ، والسُّباعِيّ :الجمل العظيم الطويل ، والسَّرمط والسُّرامِط والسَّرَوْمط والسَّرَمطيط والسُّرْمط : الطويل ، والسِّطاع : الطويل الضخم ، والأسطوان:الطويل العنق المرتفع ، والسَّمَطرى والسَّمَطري : اطول ما يكون من الابل والرجال ، والمُسْتَغِل : الطويل منها ، وناقة شَوْدح : طويلة على وجه الارض ومثلها الشَّرْذح ، والشَّرْجع : الطويلة ، والشِّرْداح : الطويل العظيم ، والشِّرْواط : ما كان طويلًا وفيه دقة ، وناقة شعشمانة: طويلة حسنة ، والشَّغُور: الناقة الطويلة تشغر بقوائمها اذا أُخذت لتركب ، والشَّنَاح والشناحي والشناحيّ والشناحِيَة : الجمل الجسيم الطويل وهي شناحية ليس غير ، والعَشَنَّم: الجمل الشديد الطويل ومثله العَرَنْدس يقال بعير عَرَنْدس وناقة عرندس وعَرَنْدسة ، والعَلَطْبيس : الشديدة العالية . والعِلْيان : المشرفة ، والعَلاة : المشرفة الصلبة يقال ناقة علاة الخَلْق ، والنِّهِق : الطويل من الابل ، والقِرْواح : الناقة الطويلة القوائم ، وكذا القَلُوص وهذا الحرف خاص بالاناث ج قلائص وقِلاص وقُلُص وقُلصان ، والنِّياف من الابل : الطويل في ارتفاع يقال جمل وناقة نِياف وامرأة نياف : تامة الطول والحسن ، والهَجْهاج البعير الطويل ، والهِرْجاب الطويلة على وجه الارض ، وجمل هَيْضَلٌ : ضخم طويل عظيم وهي هيضلة.

من الخيل

والسَّلْهَبُ من الخيل : الطويل على وجه الارض يقال فرس سلهب وخيل سلاهب ، والشَّرْجَطة : الطويلة ، والشَّدِف من الخيل : الطويل العظيم السريع الوثبة ، والمشذَّب : الطويل ليس بكثير اللحم استعير من الجذع المشذب ، والاشقُّ : الطويل ، والشَّيْظَم : الطويل الجسم والفتي من الخيل والابل وهي شيظمة وقد اجتمعا في قول عنترة :

والخيلُ تقتحم الغبار عوابساً ما بين شيظمة واجرد شيظم

وفرس شَنَاص وشَنَاصِيٌّ : جواد طويل شديد ، والشناصية : الفرس الطويلة الشديدة النشيطة ، والشَّوْهاء التي في راسها طول وفي منخريها وفمها سعة ، وفرس صَقِل : طويل الصُّقلين ، والصَّقَل طول الصقلين في الفرس ، وقد طَنِب الفرسُ اذا طال ظهره وطالت رجلاه في استرخاء فهو أطنب وهي طنباء ، والطِمِر : الفرس الطويل القوائم الخفيف ، والعُرْيان : المقلَّص الطويل ، والقُلَّاص : المشرف المشتر الطويل القوائم ، وفرس قُوقٌ : طويل القوائم ، ونَشَاصِيٌّ : مشرف الاقطار ، والهُذلول : الطويل الصلب ، وفرس هَيْكل : مرتفع ، واليَعْبوس : الفرس السريع الطويل وقيل الجواد السهل في عدوه . والسُّرعوف : الفرس الطويل ايضاً وكذا السُّلاجم والذُّعبوب والشُّنْغُبُ والعَنْداق .

من النبات

والأَزْعل من النبات : ما طال وانثنى ، والرَّقْلة : النخلة الطويلة التي تفوت اليد ج رَقْل ورقال ورَقَلات ، ونبات مُسْتَرْوِضٌ : تناهى في طوله وعظمه ، والزَّمخر : الطويل من النبت ، ونخلة سحوق : طويلة ج سُحُق ، والسُّحُوق : النخلة الطويلة ج سحاحيق ، والسَّنِمُ : النبت المرتفع الذي خرجت سنمته اي نَوْره ، شجرة سَهْوَق : طويلة الساق ، والشأشاء : النخل الطوال ، والصادية النخلة الطويلة التي لا تشرب ج صوادٍ ، والطَّرِيقة : النخلة الطويلة وقيل اطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة ج طَرِيق ، ونخلة مُطامة : مشرفة على ما حولها اطول من سائرها ، والعُلْبة : النخلة الطويلة ، ونخلة عَمَّاء : طويلة ج عُمٌّ ، وكذلك نخلة عَمِيمة ، ونبت يعموم ، ونخلة عَوَان وعَوَانة وعَيْدانة ج عَيْدان ،

والقِرْواح : النخلة الطويلة الملساء ج قراويح وقراوح ، والقَضْبُ : كل شجرة طالت وسبطت اغصانها ، وشجرة قنواء : طويلة ، والكَوْكَبُ : ما طال من النبات ، والوَأْخ من العشب : الطويل ويقال أَوْلخ العشب اذا طال وعظم .

من الاعناق

والتَّليع : الطويل العنق ومثله الأَتْلع وهي تلعاء ، والتَّلَع والتَّلاعة طول العنق ، وقد اتلع الرجل اذا مدَّ عنقه متطاولاً ومنه حديث علي: « لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله فوقعوا دونه » . والجِرْواط مثل التليع ، والجَيداء : الطويلة العنق الحَسَنَتُهُ لا يُنعت به الرجل ج جود ، وكذلك الجَيدانة : الحسنة الجيد ، والخَرُوج : من صفات الخيل وهو الذي تطول عنقه فتختال بطولها كل عنان جُمل في لجامه والانثى خروج ايضاً ، قال الشاعر :

كل قبَّاء كالهراوة عَجْلى وخروج تختال كل عنان

والخَيْطاء : النعامة الطويلة العنق ج خِيط ، والدَّفواء : الناقة النجيبة الطويلة العنق ، والرَّعشاء : الطويل العنق من النعام وغيرها ، والسَّطعاء : الطويلة العنق وهو أسطع تقول سَطِع يَسْطَع سَطَعاً سَطَعاً اي كان اسطع ، والأُسطُوان : الجمل الطويل العنق المرتفع ، والسِّمْرَ : العنق الطويل ، والسَّقْفاء : الناقة الطويلة العنق ، وعنق شجعم : طويل مع عظم ، والشِّراعيُّ من الابل الطويل العنق وهي شراعية وشِراعية ، وعنق صاعد : طويل ، ومِصلات العنق : المنجرده البارزه ، وهو صِنْتِل الهادي : اي طويله ، والسَّلِق : الطويل العنق ، والعُطُل والعُطْبول والعُطْبولة والعَيْطَبول : المراة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق ج عطابل وعَطابيل ، والعَنَط : طول العنق وحسنه ، ورجل مُعنِق : طويل العنق ، والعَوهج : الطويلة العنق من الظلمان والنوق والظباء ، والأَعيَط : الطويل الراس والعنق ، والعيطل : الطويلة العنق في حسن ، والعَنْتَلَط : الطويل العنق ، والعُنْثوط : الرجل الطويل العنق ، والتَّلداء من النوق : الطويلة العنق ، والاقْمَسد : الطويل العنق وقيل الضخمها في طول ، والقُمُد والقُمُدَّة والقُمُدانيّة والقَمَداء : الطويلة العنق وقيل الضخمتها في طول ، والزَّمريس : الطويل من الاعناق ، والنَّجود من الابل والأُتن : الطويلة العنق ، والناسع : العنق الطويل ، والأَهيَق : الطويل العنق .

الطويل من الشعر

والخِذْبُ: الطويل من الشعر، والدجواء من المعز: السابغة الشعر، والرَّفال من الشعر: الطويل: والرَّسْلة: المراة الطويلة الشعر في ساقيها، والمراسل: المراة الكثيرة شعر الرجلين الطويلته، والزَّبَب: كثرة الشعر وطوله، وشعر سِبَطْرٌ: طويل، والشعر المسدَّل: الكثير الطويل، والعَشْوَة: اللمة الطويلة ج عُشًى ومنه قيل: شابت عشى الارض اذا هاج نبتها، والوافي: الطويل الشعر، والعِفاء: الشعر الطويل الوافي، وقد اعنونس ذنب الناقة اذا وفر هلبه وطال، وشعر غَدَوْدَنٌ: كثير ملتف طويل، واغدودن الشعر طال وتمّ، والفينان: الحسن الشعر الطويله وهي فينانة، ورجل قُشابر اللحية وقشبارها اي طويلها، والقُنْزُعة قيل هي ما ارتفع من الشعر وطال تقول: خذ من قنازع شعرك، واللمة: الشعر المجاوز شحمة الاذن فاذا بلغت المنكبين فهي جُمّة ج لِمَم ولِمامٌ، والوارد: الشعر المسترسل الطويل يقال شعر وارد اي يرد الكفل بطوله، وفلان موفّر الشعر اي كثيره طويله، والوَفْرة: الشعر المجتمع على الراس او ما سال على الاذنين منه او ما جاوز شحمة الاذن ثم الجمة ثم اللمة ؛ والوَمْغة: الشعرة الطويلة.

الذنب الطويل

والأذْنب: الطويل الذنب، والمِذنب: الذنب الطويل، والذَّيال: الطويل الذيل ومثله المُذَيَّل والمذيال (للمذكر والمونث) والرِفَلّ: الطويل الذنب من الخيل — والطويل الذيل من اللباس، وكذلك الرِفَنّ للطويل الذنب من الخيل، والعَنْس: الناقة التي اعنونس ذنبها اي وفر هلبه وطال، والعَيْتَل: الطويل الذنب من الظباء والوعول

الطويل الساق

والأزَجُّ: الرجل الطويل الساقين، والأسوق: الحسن الساقين الطويلهما وهي سوقاء ج سُوق، والسُّواق: الطويل الساق، والسَّهوَق: الطويل الساقين من الرجال ويستعمل لغيرهم.

الانف الطويل والطويله

والأخطَم : الطويل الانف ومثله الخُرطان والأزعن والِلعام والسَّاقم وتقول: فلان شِراع الانف اي طويله ممتده ، والأشرَع: الانف الذي امتدت ارنبته ، والنارض : الانف الطويل.

الاذن المعوية والطويلها

والأذنان : العظيمة الاذنين الطويلتهما ، والجَدلا. : اذن طويلـة ليست بمنكسرة وقيل كالصمعاء الا انها اطول وقيـل هي الوسط من الآذان ، والأخطل : الطويل الاذنين المسترخيهما ، والسَبّاء : المنتشرة الاذن في طول او قصر ، والشرفاء : الاذن الطويلة القوف وهو اعلى الاذن وقيل مستدار سمتها.

الطويل الظهر

والخَبَركى : الطويل الظهر القصير الرجلين ، والسَجحاء : الطويلـة الظهر ، والسَنحج : الطويل الظهر من الخيـل والاتن ومثله السحاج ؛ والسنـاب والسِنابة : الطويل البطن والظهر ، والمقروري: الطويل الظهر ومثله جمل أقرى ، وناقة قيدود .

الطويل الضرع

والنَسُوق : الطويلة الضرع من الشاء ومثله الِمساق ، والخطلاء : المرأة الجافية الطويلة الثديين ، والطُرطبة والطُرطُبة والطُرطبانية : الطويلة الضرع من الناس والحيوان ، والطُرطُب والطُرطُب الثدي الضخم الطويل المسترخي ويقال للواحد طُرطبى فيمن يؤنث الثدي ، والهَضلاء : المراة الطويلة الثديين.

الحبل الطويل

والشَطَن : الحبل الطويل يستقى به وتربط به الدابة ج اشطان ، وصف اعرابي فرساً لا يُخفى فقال « كأنه شيطان في اشطان » . والطُنب : حبل طويل يُشدّ به سرادق البيت او الوتد ج اطناب وطنبة ، والطِوَل والطيَل والتِطوَل : حبل طويل تشد به قائمة الدابة وقيل تشد وتمسك طرفه ، وقيل تربطه الى وتد وترسلها ترعى فيه،يقال: «ارخى طِول فرسه » والمانُ: الحبل الطويل ، والمريرة: الحبل الطويل الدقيق وقيل الشديد الفتل

(للبحث صلة)

باب وانتقاد

بقلم حضرة الاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي

١

في ردود مجلة « لغة العرب » على مقالاتي علل شتى : منها ما ينوط بنطس اطباء الادمغة ؛ ومنها ما يرجع الى دواوين الاصلاح ؛ وغيرها ما يعود الى الالسُنية . فاعمد الى معالجة العلة الاخيرة ، تاركاً البقية الى من يهمهم الشأن.

تدّعي هذه المجلة النازية في ربوع العلم الهادئة اني ، عند نقدي بعضاً من آرائها ، ارميها بسهام التهكم والازدراء. لكن عليها ان تنعم النظر في انجيل مار متى (٧:٥) وتراجع «كتاب الامثال» لابن الاحدب الطرابلسي (بيروت: جزء ١ ، ص ٢٣٩ س

هذا ، وافيد القراء الكرام ان هذه المجلة قد اقرّت ، في الايام الاخيرة ، بعجزها واخذالها فانهزمت ، على الطريقة البدوية ، شرّ هزيمة ، من ميدان الحرب العلمية ، لائذة بالبيداء وطنها ، ظانّة انها في مأمن من كلّ هجوم. فبخٍ بخٍ بهذه البسالة الادبية والعلمية ! انها بالحق لبدوية. اما انا فاذ كان لا يهمني ردّها عليّ ام عدمه ، فأواصل – دون الحاجة الى الاستعذار من صاحبها البتة – تشهير اغلاطها ، كلما سنحت الفرصة تقريراً للحقيقة ، واثباتاً بان ليس كل ما يرد فيها « وحي من السماء ، لا يقدر الملائكة ولا الانس ولا الجن ان يأتوا بمثله ، وان كان بعضهم لبعض ظهيراً» على ما يتصوره بعض المتهوّسين المغرورين في عراقنا.

الآن اوجه الخطاب اليك يا حضرة المتستر بحجاب هذه الاحرف (ب م م)[1] ألا قل لي، من انت ؟ أبشرٌ انت ؟ وان كنت رجلاً من البشر حقيقيًا ، أمسلمٌ انت ام نصراني ؟ ابرز اذنيك ، لاعرف هل انت ليث ام... ثعلب... ام ؟ تهجني « بالحمل على الآيات القرآنية »[2] اي التهجم عليها فان كان لك شرف وشجاعة ، هاجني وجهاً لوجه ، دون التخفي تحت ستار الحروف المستعارة . ان كنت من المؤمنين بالقرآن ، ومن اهل الغيرة عليه ، فاظهر نفسك . ألا أنشئ مقالًا أبنْ فيه كيفية تهجمي على المصحف ، وذيّله بتوقيعك الصريح . وبعد ان يشهد ، كتابةً ، على صحة وجودك ، وانتساب المقال اليك ، اشخاص ذوو ذمة وانصاف ، في دواوين البطريركية الكلدانية ، والمطرانيتين السريانية والارمنية الكاثوليكية في بغداد ، ابعث بالمقال المذكور ، مع الشهادة عليه ، الى هذه المجلة الزاهرة . وبعد ان تنشره واطلع على الحقائق كما هي ، حينئذٍ اجيب بما اراه ملائمًا .

على كل حال اعلم — ان استولى عليك جهل ، او خامرك في الامر شك — اني مسيحي كاثوليكي . وحسب ايماني وصفتي هذه الشريفة ، « لا اوقن بمحمد نبيًا ، ولا بقرآنه كتاباً منزّلًا » . انما المصحف في نظري « كتاب بشري » مثل بقية الاسفار ، وهو من الآثار اللغوية العربية « لا غير » . ولي الخيار — دون امتهانه ، اذ ما الداعي لذلك ؟ — ان ارتئي فيه ، من الباب العلمي اللغوي ، « ما تحملني عليه الادلّة العلمية . »

فالى ان تقوم بطلبي ، ايها المتستر ، اقول — غير خاش في القول لومة لائم — ان هذه الحروف (ب م م) « مختلقة صرف الاختلاق »[3] اذ انها لا تدلّ على شخص موجود ؛ وان هي دلّت على احد ، فهذا الادمي ليس سوى

١) لغة العرب ج ٦ ، س ٦ ، ص ٤٧٣ .

٢) لغة العرب ، في الموضع عينه .

٣) لا يستغرب في « لغة العرب » الوضع والاختلاق . فان احد العلماء قد قال عنها : « انها تبين بصراحة واخلاص... » وغني عن البيان ان في ذلك ما فيه . ومن اختلاقاتها ذاك المخطوط المهود الملفّق ، المتخيّل فيه اثبات نزول « احدى الطرائق النسكية » من « الطريقة الخضيرية » « بيّنات ومستندات قديمة... عربية... بدوية » الخ...

صنيعةٍ او آلة صماء ، متخذة لنيل المآرب . اذن ليس هو بطارح السؤال على المجلة النازية ، بل ان ملقيه الحقيقي — كبقية الاسئلة المتظاهر طرحها للردّ عليّ — ان هو الا « صاحب هذه المجلة » ، « السائل والمجيب معاً » . ودليله اوضح من الشمس في رائعة النهار . فان للسؤال والجواب انشاء واحداً ، لهجة واحدة ، روحاً سامًا واحداً [1].

فان كان الامر كذلك ، كان حضرة صاحب المجلة هو الموافق على ما جاء في السؤال ، « ومن ثم المسؤول عنه » ؛ وهو عينه الذي تظاهر بالغيرة والشهامة على القرآن ، فقام لنصرته ، مستلاً سيف قلمه البتّار لطعني « بجريمة التهجم » على . . . « كتابه المقدس » ! !

واذ كان الشيء بالشيء يذكر ، يخطر على بالي انه يوم صدرت تلك « القصيدة السمجة » في احدى نشرات بغداد الاسلامية العمياء بعمى التعصب الذميم ، مهينة السيد المسيح ، ربنا لاسمه السجود ، لم يكن من حضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي الحافي المرسل الرسولي الّا ان لازم السكوت العميق ، ولم يكتب ولو كلمة واحدة ، ردًّا على تلك الشتيمة الشنعاء في مجلته . . . الكاثوليكية . . . اما الردّ على تلك « القصيدة الوقحة » فقد قامت به — والحمد لله — لا في بغداد بل في بيروت — جريدة « البشير » الغراء المشهورة بمواقفها الشجيعة النبيلة ، للذبّ عن حرمة الدين الكاثوليكي القويم . فسقياً ورعياً لاهل الغيرة الرسولية ! وخزياً لاولي الجبانة والمصانعة الشائنة !

فاذا كانت هذه حالة هذه المجلة ، وكان هذا جبن صاحبها في ما يخص الدفاع عن دينه ، وكان هذا تظاهره للانتصار لما كان الاولى به ان يقاومه ويدحضه ، وكان هذا تذبذبه وتحبّبه لاعداء ديننا ، ولعصابة الملاحدة الذين زعيمهم في العراق « صديقه الحميم !!! » جميل صدقي الزهاوي الكردي ؛ اجل اذا كانت هذه الحالة حالته الملومة ، فما تكون يا ترى مسؤوليته ؟

***

١) ومن قرأ ذلك ، وكان من المتادين مطالعة هذه المجلة ، وطريقتها المعيبة الشائنة ، ظهر له ، لاول وهلة ، حقيقة ما ابديه .

٢

بعد هذا البيان آتي الى الرد والنقد.

وقف صاحب المجلة الغازية على مقالي في اصل كلمة «هيكل»[١] وهو دحض لرأيه ؛ فوقع في حيص بيص . واذ شق عليه الاقرار بغلطه صراحةً ، اخذ يتعلّل باني أتثر منه. ولما افحم بالبراهين الدامغة التي اوردتها تبياناً بان اصلها «شُمَري» تشبّث بالقاء الملام على صاحب المعجم الاشوري - الفرنسي . فرداً على هذا اقول : انه في جوابه الاول[٢] ابدى الرأي كانه رأيه الخاص ومن مكتشفاته العجيبة. فجاء بما هذا حرفه: «كلمة هيكل سامية الاصل. وهي كذلك او ما يقاربها لفظاً ومعنى في الارمية والعربية والحبشية والاشورية. . .» لكن لما ضيّقت عليه مقالة «الى ساتسنا الامكح المتيوبل» التي نشرت في جريدة «العراق» البغدادية ، بقلم صاحبها الذي دعاه حضرة الامام «الكاتب الارمنية بحروف عربية» ، اقرّ حينئذ بانتحاله اي بسرقته ذاك الرأي . فقال في جوابه الثاني[٣] : «ان ما ذكرناه عن اصل هيكل » فليس لنا» انما هو للعلّامة انطوان صوبين ، احد اعضاء الجمعية الاسوية . . . »

فان كان القول « ليس له » فلِمَ لم يذكر « مصدره وقائله » من البداية ، بل نسب الى ذاته « ابوّته الشرعية » وهو بالحقيقة منتحله ، بطريقة الغزو البدوية ؟ على كل حال انه لم يعد يجسر الادعاء بان اصل « هيكل » عربي ، وان الكلمة مركبة من « حَيّ وَجلّ» وهذا برهان كافٍ على انه القم الحجر.

اما في شأن اصل كلمة « الحوازيين » فقد بيّنت الحقيقة[٤] ؛ فلا موجب بعد الى الاعادة ؛ ولكل امرئ الخيار في ان يصدق وان لا يصدق.

اما عبارات القرآن التي سردتها في مقالة « طريقة في العلم معيبة[٥] » فاني لم اقع عليها في كتاب « الهداية » كما اتهمني الامام المتحجب بحجاب الحروف

---

١) المشرق ٢٩[١٩٣١]٨١...)

٢) لغة العرب ج ٦ س٧ ص ٢٦٣

٣) لغة العرب ج ١ ، س ٨ ص ٥٨

٤) المشرق (٢٩[١٩٣١]٢٤٩)

٥) المشرق (٢٩[١٩٣١]٢٤٠)

المستعارة. وذلك لسبب بسيط وهو اني لا املكه، ولم اسمع باسمه سابقاً. هذا ونصوص القرآن موجودة في القرآن عينه، وهو مصدرها الاصلي؛ فما الداعي الى استمدادها من غيره؟ وهل يا ترى اذا اورد مصنف بعض الآيات من الانجيل الطاهر، يقال عنه انه سرقها من كتب الآباء والواعظين، لانها جاءت فيها؟ وكذا القول في وقوفي على التباين الواقع بين هذه النصوص وقواعد النحو، فان ذلك معروف من القرآن ذاته، ومن اسفار مفسّريه الذين حاولوا منذ القديم، ان يجدوا لها مسوّغاً بالتخريج والتأويل. وهل من عجب في ان اعرف هذه الامور وانا أدرّس، منذ سنين، القرآن واترجمه وافسّره لطلاب العلم في معهدنا، مما اضطرني الى ان انقّب فيه وفي مؤلفات اشهر شرّاحه؟ ومن وصل الى العين، اتراه يفتقر الى الجداول النائية، ككتاب الهداية وغيره؟ فليعلم اذن ذلك ذوو النيات السيئة، وليجبنوه في عقولهم

دونك الآن كلمة عن «الداوية»[1]

عرف من قرأ مقالتي اني أوثر القول بان اصلها من «Dâwayyâ» السريانية، وانكر كل الانكار انها من «Templiers» الفرنجية. فهل انتحلتُ ذلك من معجم «باين سميث» كما يرميني به الخصم؟ ان من ينتحل او يسرق سرقة ادبية هو ذاك الذي يستلّ عمودين كاملين من معجم ڤيگورو، دون ادنى ذكر للمصدر، مدعياً ان ذلك من نتاج قريحته الوقّادة[2]. واما من يحيل القارئ — في حاشية مقاله — الى معجم «باين سميث» مع ذكر الجزء والعمود[3] — كما فعلت انا — فذاك ليس بمنتحل بل هو هو الامين في النقل، والمراعي جانب الحق. هذا، وكيف اكون منتحلاً رأي «باين سميث» القائل — حسب توهم الخصم — ان اصل الكلمة «عربي»[4]، وانا اجاهر بانه «سرياني»؟ احيل حلّ هذا المشكل العويص الى اهل المنطق والذوق السليم. على ان النقطة المهمّة في القضية ليست ما جاء في المعاجم؛ فان ما تحويه هذه الاسفار

---

١) المشرق (٢٩[١٩٣١]٢٤٢...) ٢) المشرق (٢٩[١٩٣١]٢٢٤...)

٣) المشرق (٢٩[١٩٣١]٢٤٦) حاشية ٦ ٤) لغة العرب ج ٥ س ٩ ص٢٨٩ سطر ٩

مستمدات على علاتها ؛ ولم تتصدَّ لتأصيل اللفظة ؛ انما اكتفت بسرد المتقابلات في اللغات المختلفة . لكن المهمّ هو أنّ الفرنج والسريان قد اتفقوا في تسمية المسكلين « فقراء » كل قوم في لغته ؛ كما اتضح من الشواهد التأريخية التي استشهدت بها . وهذا ما قد قيّض لي بالبحث الوقوف عليه ؛ وما قد تعامى الخصم عن رؤيته ؛ وشقّ عليه الاقرار به . ان « باين سميث » — الذي نقل عنه القسّ منا ، دون تحقيق — مع ايراده الكلمة بلفظ « Dêwâyê » يشك ويتردد في هذا التحريك ، مفضِّلاً عليه لفظ « Dâwayyâ » [1] الموافق كل الموافقة لقواعد اللغة السريانية المتطلبة ان الاسماء والصفات المنتهية بـ ܝܐ (Yâ) اذا كانت من الافعال الناقصة تجمع على وزن « Fâ'layyâ » مثال ذلك ، من الاسماء : ܡܪܝܐ (ربّ) جمعه ܡܪ̈ܝܐ « Mârayyâ » (ارباب) ومن الصفات : ܛܥܝܐ (ضالّ) جمعه ܛܥ̈ܝܐ « Tâ'ayyâ » (ضالّون) ؛ ܕܘܝܐ (فقير) جمعه ܕܘ̈ܝܐ «Dâwayyâ» (فقراء)[1] . فالناجم من هذا ان صيغة « Dewâye » تحريف بحت ، صدر من جهل النسّاخ ، كما نوّه بذلك المحققون [2] . اما تشديد الياء ، فهو من مطلّبات قواعد السريانية الشرقية ، فضلاً عن ملاءمته لروح بقية اللهجات الارمية ، وسائر اللغات السامية . فان الفتحة تشدّد الحرف الذي

---

١) Payne Smith, *Tes. syr. t. I, c. 829.* وهذا نصه اللاتيني الظاهر منه شكّه وتردده :
« *Dixerte scriptum est* ܕܘ̈ܝܐ *ib. 470 ; alias scriptissem* ܕܘ̈ܝܐ = *pauperes cum* Bernst. *et* Raediger *in suis chresth.* » اما جهلاً وقد ترجمها الخصم ترجمة سقيمة ، واما عمداً ؛ وهذا تعريبه : « وقد كتب عنها مطوّلاً في رسم دوبي ، فيه ص ٤٧٠ . وقد كتبها دوبي (بالامالة المفخمة) الفقراء مع برنشتين وروديجر في منتخباتهما » (ل . ع ج ٩ س ٩ ص ٢٨٩) اما الترجمة الصحيحة فها هي ذي : « وقد كُتب بوضوح (ܕܘ̈ܝܐ *Dêwâyê*) في عين الكتاب المذكور وجه ٤٧٠ . » ولولا ذلك « لكنت (انا باين سميث صاحب المعجم) كتبتُ (ܕܘ̈ܝܐ *Dâwayyâ*) اي « فقراء » على مثال (ما فعل) برنشتين وروديجر في منتخباتهما . »

٢) Mingana, *Clef de la langue araméenne, Mossoul, pp. 124, 125, N° 381, 2° ; 282, 2°.*

٣) Brockelmann, *Lex. syr. p. 143*

تاريخ ابن العبري السرياني ، نشر الاب بيجان اللعازري ، الصفحات : ٣٧٠ و٣٧٣ و٣٧٤

يتبعها اذا كان متحركاً[1]. والتشديد ولفظ الرّقاف « فتحة مشبعة » كان جارياً في فلسطين ولبنان وسورية ، قبل وبعد انتشار اللفظ الغربي فيها . والى اليوم — رغماً عن استعمال اللهجة الرهوية في الطقوس ، عند الموارنة والسريان — نجد دليلاً ، في اسماء الامكنة ، على ان اللهجة الشرقية او الارامية الاشد ملاءمة لروح اللغات السامية قديمةٌ فيها ، اذ يقال ، بالفتح المُشبَع والتشديد : راشيّا ، حاصبيّا ، بكفيّا ، ولا يقال : رُوشايُو ، حوصبايُو ، بكفايُو.

اما في شأن « الاسبتارية » فانهم ، وان كانوا معاصرين للهيكليين ، فالظاهر ان التاريخ لم يذكر انهم سمّوا «فقراء» لا في الفرنجية ، ولا في السريانية ، ولا في العربية ؛ بخلاف الهيكليين الذين دعاهم الفرنج والسريان بهذا الاسم ؛ والمسلمون عرّبوه عن السريانية ، فقالوا في « Dâwayyâ » « داويّة ». والتشديد في « داويّة » ليس للنسبة الى « دَاوُ » المدعي الخصم انها تعريب « Temple !!! » بل انها من لوازم صيغة الجمع في كلمة « Dâwayyâ ».

والقول بان «الداويّة» «لم ترد في كل النسخ بهذه الصورة» لا يصدّق الا بنصّ صريح واردٍ في كتاب حقيقي ، لا في « نسخة وهمية يشعوذ بها بعضهم » بالقول : « كان عندنا نسخة قديمة كاملة » !! واذا كان لهذه الصور حقيقة ، فلِمَ لم ترد في النسخ التي اعتمد عليها ناشرو « الصليبيات » بالعربية ؟ ولِمَ لم يثبتوا في مجموعتهم الصورة الاقرب الى « Templiers » مثل « التاملية » بل انهم استعملوا في كل موطن « الداويّة » وحدها ؟ فليعلم اذن الملتقون ان العلم في عصرنا « لا يوقن الّا بما يراه بعينيه ، ويمسّه بيديه ».

هذا وان الاغلاط الواردة في كل عدد من المجلة الغازية لكثيرة هذه الكثرة حتى انه لو اراد المرء تتبّعها ، لاقتضى عدة مقالات في كل عدد من « المشرق » . لكن لا حاجة الى ذلك . انما اجتزئ ، في هذه الفرصة ، بلفت النظر الى احد آرائها القائلة ؛ بما دلّ على قلة بضاعة صاحبها في السريانية ؛ فان معرفته ، كما يظهر ، لا تتجاوز كيفية كشف الكلمة في المعاجم.

***

[1] Mingana, *op. cit*, p. 9, N° 16.

بترا ، قمايا ، كسيا

وقعت في الجزء ٢ ، السنة ٩ ، الصفحة ١٣٣ ، من المجلة النازية ، على هذا الكلام الذي وجّهه الى صاحبها حضرة صاحب المعالي السيد غنيمة ، وزير مالية العراق الاسبق ، ونائب نصارى بغداد في المجلس النيابي . قال : « وورد في الصفحة عينها في الابيات « قمايا » . وقد شرحتموه في الحاشية ٨ . واعتقد ان هذا الحرف الارمي يدلّ على معنى المتقدّم ، كمقدّم السفينة . لاني سمعت القرويين من الارميين يقولون « بترا وقمايا » بمعنى الوراء والامام . وليس لي متسع في الوقت لتحقيق المعنى . فربّما توفقون له . » انتهى كلام وطنينا السريّ ، الكاتب الاديب ، والسياسي الاريب . فكان جواب صاحب المجلة ما يأتي : « نعم « بترا » بالارمية معناها الخلف والوراء . وربّما كان هذا المعنى معروفاً ايضاً عند السلف . لاننا نقول : بَتِرَ الذنب (كعلم) انقطع . فلا جرم ان البتر كان يفيد الذنب ، اي الذيل والخلف والوراء . ومنه ايضاً الابتر : المقطوع الذنب ، والذي لا عقب له . وضدّ « بترا » الارمية « قُودَاما » . واما « قمايا » فتعني هذا المعنى في النبطية العامية . اما في الفصحى ، فلا اثر لها . اذن لا نظن ان « القمايا » في البيت المذكور يعني مقدّم السفينة . ولو فرضنا ان الجاحظ تلقى اللفظ عن عوام النبط ، يبقى ان لا معنى للمقدم يوجه توجيهاً مقبولاً سياق البيت . اذ المطلوب هناك معنى يدل على عاقل ، لا على غير عاقل . »

بعد ايراد هذه الاقوال ، ابدي رأيي في القضية ، وان شقّ على حضرة الامام ان القي عليه درساً في نحو اللغة السريانية ، « لغة سلفه الصالح » ، لكن قصد احاطة القارئ علماً بالامر من جميع اطرافه ، افيده ان كلام السيد السري غنيمه بك يدور على بيت وجده في جملة اشعار واردة في رسالة الجاحظ ، عنوانها « ذمّ القوّاد » نشرها حضرة اللوذعي المدقق الدكتور داود بك الجلبي الموصلي ، في الجزء ١ ، السنة ٩ ، من مجلة لغة العرب . ودونك البيت المذكور :

« إنّ « القمايا » شاهدٌ لي بالهوى وكذا الكشيا « عنده » برهان »

فشرح حضرة الامام العلامة « القَنَايا » في الحاشيـة . بما يلي : « لعلهـا « القنايا » وهو بالارمية الكتب ، والقاذب اي التاجر الحريص مرة في البحر ومرة في البر . » وفسَّر « الكشيا » بقوله : « لعلها « الكُسيّا » بتشديد الياء ، اي « المخفي » باللغة الارمية . وقد استعملت هذه الالفاظ الارمية ، لان اغلب البحّارين يومئذٍ كانوا من الناطقين بهذه اللغة . »

اما رأيي فهو الآتي :

كلمة « بَترَا » أرمية سريانية تأتي بمعنى الخلف ؛ لكنها ليست بمشتقة من فعل (ܒܛܪ ، btar) بمعنى قطع ، مقـابلةً للفعل العربي : بَتر ، قطَع ؛ او بَتِر ، انقطع . واول سبب هو ان ليس في السريانية ، ولا في غيرها من اللغات او اللهجات الآرامية ، فعل (btar) بمعنى قطع او انقطع ، كما هو الشأن في العربية والعبرية . اما (ܒܳܬ݂ܪܳܐ bâtrâ) هذه ، فاصلهـا (ܒܳܬܰܪ batar) بمعنى الظرف « وراء » . الا انها ليست صيغة اصلية ؛ بل هي مركبة من لفظة (ܐܬܪܐ او ܐܬܰܪ atrâ, atar) ومن حرف الجرّ (ܒ ,b) . وتنظر اليها الكلمة العربية « بأثرِ » المؤلفة هي ايضاً من الاسم « أثر » وحرف الجرّ « با » . وكيفية وصول الكلمة السريانية الى هذه الحالة هي انه — كما لا يخفى على من له اطلاع على اسرار اللغات السامية — ان في السريانية اربعة احرف مجموعة في كلمة (ܒܕܘܠ ,bdôl) يدخل كل منها على اللفظة ؛ فان كان اول هـذه متحركاً ، بقي الحرف المذكور ساكناً ؛ وان كان اولها ساكناً ، تحرك الحرف بفتح . اما اذا كان اول الكلمة همزة متحركة ، لا سيا بفتحة ، فلسهولـة اللفظ وعذوبته ، تنقل حركة الهمزة الى هذا الحرف ؛ وتستحيـل الهمزة الفاً ساكنة[1] . وهذا ما جرى في لفظة (batar) فان اصلها (ܐܬܪܐ atrâ) ؛ حرفت فصارت (ܐܬܰܪ atar) ؛ دخلت عليها الباء ، فـاصبحت (ܒܐܬܰܪ ,b'atar) ؛ انتقلت حركة همزتها الى الباء ، فلفظت (ܒܐܬܰܪ batar) ؛ ولكثرة الاستعمال ، جاز حذف الفها بالكتابة ، فقام مقامها الرقاف او الفتحة المشبعة ؛ فقيل (ܒܳܬܰܪ

1) Mingana, *op. cit*, pp. 24,25.

(bâtar) ؛ ومن هذا الظرف صيغ اسم وهو (ܒܵܬܪܵܐ bâtrâ) اي الخلف والوراء.[1]

الناجم من هذا ان ليس في كلمة (bâtar او bâtrâ) ادنى معنى للقطع او البتر. واذا ثبت هذا ، فكيف يمكن مقابلة « بَتَرَا » السريانية بـ « بَتَرَ الذَّنَب » ؟ وكيف يسوغ القول بان « البَتر يفيد الذنب » ؟ او ليس بالاحرى ان هذا التأويل ، تأويل الامام الاعظم ، هو الاولى بان يوصف « بالابتر » اي « مقطوع الذنب » ؟

اما « قَمايا » السريانية الدارجة ، فهي تخفيف (قَدْمَايا ، ܩܕܡܝܐ)[2] السريانية الفصيحة ، وما هو ضد « بترا » ليس « قُودَاما » كما توهم حضرة الاستاذ[3]. وكلتا الكلمتين السريانيتين ، الفصيحة والدارجة ، تدل لا على « غير عاقل » اي مقدَّم السفينة ، او القسم المقابل مؤخرها ؛ بل على « عاقل » اي الرجل المقدَّم ، او الرئيس ، او الربّان . ولذا فلا حاجة بعد الى ان يُفترَض ، افتراض الاستاذ الكبير ، ان « قمايا » ربما تكون « قنايا » او الكسب او ما اشبه ذلك . »

اما « الكَشْيَا » او « الكسيا » فهي ارمية سريانية ايضاً ؛ بيد انها ليست (ܟܣܝܐ Ksayyâ) بل (ܟܣܝܐ Kasyâ)[4] لان الصيغة الاولى جمع ، والثانية صيغة افراد . وكلتاهما للعاقل ، مثل « قَمَايا » على ان سياق الكلام يتطلب صيغة الافراد ، لا الجمع ؛ لان كلمة « عنده » العائدة الى « الكَشْيَا » تدل على المفرد المذكر ، لسبب ضمير الغائب المتصل بـ « عندَ » ، وهو الهاء .

---

١) القس منّا : دليل الراغبين الخ ، ص ٨٤ و٨٥

٢) عين المعجم ، ص ٨٥٨

٣) (ܩܘܕܡܐ qûdâmâ) مصدر (ܩܕܶܡ qaddêm) ومعناه تقديم وتقدّم (دليل الراغبين الخ ،ص ٦٥٧) ،اما ما يأتي خلاف « بَتْرا » فهو « qudmâ » ، وقد وجد حضرة الامام في معجم القس منّا ، ص ٥٨ ، ما يلي : ܒܬܪܐ (bâtrâ) الوراء ، خلاف ܩܘܕܡܐ (qudmâ) ، فضلّ متوهمًا اياها « qûdâmâ » لعدم مكنته حتى القراءة . اما (ܩܘܕܡܐ qudmâ) فأكشف عليها في عين المعجم ص ٦٥٨ ، تجد هذا « ܩܘܕܡܐ » : « قدّام ، (ضد وراء) ، أمام » فتأمل.

٤) Mingani, *op. cit.* p. 125, N° 381, 1°.

وعليه يسوغ الاستنتاج بان « تَمَايَا وكَنْيَا » مطلقتان ، في البيت الوارد اعلاه ، على رجلين موظفين في السفينة ، اولهما : « التمايا » اي الربّان ؛ وثانيهما : « الكَنْيَا » ؛ وهو مجريّ يظهر ، من اسمه ، ان وظيفته تفرض انه كان يشتغل في داخل السفينة « مخفيًّا » غير ظاهر للعيان ، وقت قيامه بمهمته ؛ على مثال « الوقّاد » في « البواخر » في عصرنا هذا ؛ خلافاً للربّان « التّمَايا » الذي يقف او يجلس في موضع بارز من السفينة . وهكذا يوجه – حسب مشترط الامام الاكبر – توجيهاً مقبولاً سياق البيت . اذ المطلوب هناك معنى يدل « على عاقل ، لا على غير عاقل » ويكون مراد قائل البيت : « ان جميع موظفي السفينة يشهدون له ، من اولهم الى آخرهم ، من الربّان الى الوقّاد ، من « التّمَايا حتى الكَنْيَا . »

هذا رأيي : واملي انه يلفت نظر صاحب المعالي العالي ، نظر السيد غنيمة الذي يؤسف غاية الاسف على ان السياسيّات قد حالت دون مزاولته العلميّات ؛ ثم نظر السيد الجلبي ، الدكتور المحقق المعتق الذي حذق في استخدام آلات العلم ، حذقه في استعمال آلات الطب ؛ واخيرًا حتى نظر الاستاذ العلامة صاحب المجلة الغازية . ومما يشفع فيه انه ليس بآتٍ من اجنبيّ عن حضراتهم الكريمة ؛ بل موجّه من آرامي ، سرياني ، عراقي ، وان سكن اليوم بيت المقدس ، الى الاستاذ الامام الاجل الاب الآرامي ، السرياني ، الماروني ، اللبناني ، البحرصافي ؛ والى حضرة صاحب المعالي العالي ، السيد الآرامي ، السرياني الشرقي ، او الكلداني العراقي ؛ والى حضرة الدكتور النطاسي الموصلي ، الذي لا اخال اصله غريباً عن العراق ؛ فهو اذن – اذا عمقنا في ارومته – وجدناه آرامياً ، سريانياً ، أشورياً . هذا بمعزل عن ان اللغة الارمية السريانية هي لغة آبائنا واجدادنا الكرام ، اولي السؤدد والمجد الاثيل ؛ وهم « سَلَفُنا الصالح » . فمن النجابة وكرم العنصر ان لا ننكر لغتنا واصلنا العريق في القدم ؛ اذ « من انكر اصله ، فلا اصل له » .

المعهد الكتابي - الاثري الفرنسي في ا[illegible]س الشريف ، ١٦ – ٦ – ٣١

الاب مرمرجي الدومنيكي

انطاكية والسياحة

بقلم الاب لامنس اليسوعي

اذا عُدّت المدن ذات التاريخ المجيد والشهرة العالمية، كانت انطاكية بين الستة الاولى منها ، فاحتلّت مركزًا عاليًا الى جنب اورشليم، وروما ، واثينة ، والقسطنطينية . . . وان تاريخها يلخص عدة قرون من تاريخ سورية العامّ ، بل من تاريخ الشرق الادنى ، اذ كانت عاصمته مدة نحو الف سنة.

مدينة عجيبة بين المدن العريقة في القدم بما ازدانت به من موقع جميل على ضفاف العاصي ، ومن مساحة تبلغ ١٠٨٠ غلوة (كانت الغلوة تعادل ١٧٨ مترًا) مربعة ، ومن سكان يتراوح عددهم بين الثلاثمائة والاربعمائة الف ، ومن آثار فخمة ومن شوارع فسيحة تحيطها الاروقة وتزينها التماثيل العديدة.

ولم تحرم انطاكية التذكارات الدينية الشائقة . ففيها دعي اتباع المسيح « بالمسيحيين » لاول مرة ، وفيها اقام القديس بطرس كرسيه الاول ، وقد قرن تاريخها اسمي القديسين الرسولين بولس وبرنابا. ثم اصبحت مدينة القديسين والشهداء والبطاركة العظام ، امثال يوحنا الذهبي الفم ، ومقام آباء الكنيسة المشاهير ، ومركز المجامع والمناظرات اللاهوتية . وفي بلاد انطاكية تنسّك القديس مارون ، ومن انطاكية سار المرسلون الاولون الذين نصّروا اهالي لبنان.

وكانت انطاكية ايضاً مركزًا مهمًا للحركة الفنية في القديم ، حتى ان مذهبها الفنيّ أثر كل التأثير في الفنّ البيزنطي ، وبواسطته ، في الفنّ الاوربي في القرون الوسطى. فاي مدينة في العالم جمعت ما جمعته انطاكية من دواعي

الفخر واسباب العزّ والمجد ؟

* * *

على ان هذه المدينة العجيبة ، الغنية بتذكاراتها ، الفخمة بآثارها ، دخلت في حيّز النسيان منذ نحو سبعمائة سنة ، منذ جلا عنها الصليبيون ، وكانوا قد عملوا نوعاً ما على اعادة شيء من رونقها التالد . اما في عصرنا فلا تكاد ادلّة السياح ، كدليل بديكر ودليل جوان ، تخصّ بها بعض الصفحات.

ولهذا اراد الليوتنان - كولونيل پول جاكو ان يثأر لانطاكية من اجحاف العصر بحقها ، ويلفت اليها نظر السياح والروّاد . وكان قد نشر ، منذ سنتين ، كتاباً في « دولة العلويين » نال رواجاً سريعاً ، فاستحق مدالية ذهبية من الجمعية الجغرافية في فرنسة ، وأُعيد طبعه ثانية وقد وصفناه بما يستأهله ، حال ظهوره لاول مرة[1] . فاستأنس المؤلف بهذا النجاح ، وتابع خطّته الحميدة ، فنشر مؤخرًا كتاباً جديدًا في انطاكية ومركزها في السياحة[2] ، ظهر في ثلاثة مجلدات متوسطة الحجم ، يزينها اكثر من ١٠٠ صورة مطبوعة على حدة ، وعدد كبير من الرسوم ، وخطط المدن والآثار ، والخرائط المفصلة مع خريطة كبيرة تاريخية أثرية مثلثة الالوان تشمل سورية الشمالية كلها (مناطق حلب والاسكندرونة واللاذقية) . فيزيد كل هذا قيمة الكتاب زيادة مهمة ، ويدلّ على ما امتازت به المطبعة الكاثوليكية ، في بيروت ، من الدقة الفنية والاتقان المستوفي جميع شروط الكمال.

غاية الكاتب ان يضع أولًا دليلًا لمريدي السياحة ، وهو ما يشير اليه عنوان الكتاب . ولذا دقق في وصف الطرق ، وفي تعيين المسافات بالمقياس المتري ، وفي الاشارة الى كل ما يراه المسافر في طريقه . حتى ان المطالع يشعر بان المؤلف جال بنفسه في تلك الانحاء ، وتفقد مختلف جهاتها قبل ان وضعها وصف

١) المشرق (٢٧[١٩٢٩]٦٦٢)

٢) Lieutenant-Colonel Paul Jacquot, *Antioche centre de tourisme. 3 vol. in-12, 640 pp* — *Imprimerie Catholique, Beyrouth - Mai 1931.*

وعنه اخذنا صور هذا المقال .

رسام ومخطط خبير. ولم يتراجع امام ذكر كل ما ينفع السائح الغريب ، فالقى اليه بعدة نصائح يقوم بها في معاملاته مع السكان فيجتنب الخلاف وسوء التفاهم.

على ان الكاتب لم يكتفِ بوضع دليل للسياح خاصة ، بل فكر بجميع من يقرأون كتابه ، غير السياح ، من هواة التاريخ والجغرافية والاثريات وعلم السلالات البشرية. ولا يخفى ان في تلك الناحية ، ناحية انطاكية ، على حدود سورية وبلاد الاناضول ، مزيجاً عجيباً غريباً من السلالات والشعوب ، فهناك السوريون والعرب والاتراك والارمن والتركمان والاكراد والعلويون وغيرهم ... يقابل هذا المزيج مزيج آخر من الشيع والبدع لا يقل غرابة عن الاول، نكتفي منها بذكر النصيريين ، واليزيديين ، واتباع الشيعة علي - الهي وما شاكل. ومن جبال انطاكية الشمالية ، خرج الجراجمة او المَرَدة الذين رافق اسمهم منشأ الشعب الماروني. اما اصل هؤلاء المَرَدة فلا يزال سرّاً من اسرار علم السلالات البشرية ، رغم ما أُهرق من الحبر وسُوّد من الورق حول الموضوع. وحتى الآن لا نعلم هل كانوا يمتّون بصلة الى الاكراد ، سكان تلك الجهات في يومنا الحاضر ؟ بل اننا لا نعلم هل كانوا مسيحيين ؟ ومن ايّ شيعة كانوا ؟ كلها اسئلة لا يمكن الجواب عنها بسهولة.

ولما كانت تلك الجهة تؤلف الحد الفاصل بين سورية وجاراتها من المناطق ، فقد اصبحت نقطة خلاف دائم بين الشعوب المتتابعة منذ البابليين ، فجرت فيها المعارك الحاسمة التي كثيراً ما كانت تقوّض عروشاً وترفع غيرها ، وتلاشي دولاً وتُنشئ اخرى. ولا نزال نرى في ايامنا الآثار المهمة للقلاع والحصون التي انشأها الصليبيون والمماليك [1] كحصون بغراس ، وقُصير ، ودرابساك ، التي تمكّن المقابلة بينها وبين حصون بلاد العلويين. هذا وان صفة المؤلف العسكرية دفعته الى التوقف عند هذه الآثار ، فوصفها في صفحات تظهر من اوفر اقسام الكتاب جمالاً وحياةً ، زينها بعدة رسوم واضحة. نذكر من ذلك الفصل الذي يبحث فيه المؤلف في كيف نظّم الصليبيون طرق الدفاع عن امارتهم في

١) ورد خطأً في الصفحة ٣١٠ ان ابن حوقل كان يعيش في عهد المماليك . والصواب انه تقدّمهم بما لا يقلّ عن مائتي سنة.

انطاكية (ص٢٨٨وما تبعها) .اما قبل الصليبين ، فكان الرومان والبيزنطيون قد اقاموا المنشآت العظيمة للدفاع عن انطاكية. فكانت الاسوار تتسلق الجبل المطلّ على المدينة من جهة الجنوب ، وترتفع الى علوّ ١٨ متراً بسماكة ٣ امتار ، وكان فيها ٢٤،٠٠٠ شرفة.اما دائرة الاسوار فكانت تبلغ ١٥ كيلومتراً.ولم يبقَ منها اليوم الّا بعض الخرائب المبعثرة . ولا عجب فان الاهلين استعملوها استعمالهم المقالع ، فاستلّوا حجارتها ليبنوا منازلهم . على ان اثر السور لا يزال ظاهراً ، ويمكن السائح ان يتبعه على طوله ، دون انقطاع ، دائراً حول المدينة، كما فعلنا سنة ١٩٠٣ . وفي مكان منه ينحدر الحائط انحداراً هائلاً على طول الجبل . فيدهش الناظر ويقف سائلاً : بايّ اعجوبة من اعاجيب فنّ التوازن، تمكّن المهندسون من اقامة هذا البناء الضخم ، ومن حفظه مدة قرون عديدة، على ذاك الثغر الهادي في منطقة كثيراً ما تهزّها الزلازل ؟ . . .

***

من ذكر انطاكية ذكر دفنة التي يسمّيها العرب تارةً باسم غريب هو « بيت المال » ، وطوراً باسم أغرب هو « بيت الما. » . تبعد انطاكية عن دفنة نحو الساعتين ، ولهذا كان اليونان والرومان يسمّونها : « انطاكية قرب دفنة » ليميزوها عن غيرها من المدن التي كانت تُسمّى « انطاكية » وهي عديدة نعرف منها لا اقل من اثنتي عشرة . وكانت دفنة اهمّ معبد لوثنيي انطاكية ، تقوم فيه الهياكل البديعة على اسم جوبيتر وغيره من الهتهم . وكانوا يقصدونه جماهير قصدهم اماكن اللهو والمسرّات ، فيجتمعون هناك في مسارح الطبيعة الفتانة ، وسط غابات الدفلى ، الى جانب الشلالات المتراحمة القاذفة بالمياه المزبدة ، متهافتين على ما لا يليق ذكره من اساليب الملاهي المخجلة التي لم تكن الديانة الوثنية لتحرّمها . ولم يبقَ اليوم من كل هذا الا المشهد الطبيعي : غابات الدفلى ، والشلالات المزبدة التي تنحدر مياهها في الوادي فتصبّ في العاصي.اما الهياكل ، والميدان ، والقناطر ، والتماثيل التي كانت تزين الغابات ، فاضمحلت كلها . وكذلك اضمحلت تلك الكاهنة المتنبئة التي كانت تقود الى دفنة الالوف من الحجاج السذّج البسطاء .

وقد استفادت المدينة من تلك المياه ، فاتقادت امّ الشلّالات من معينه ، واستعملته لتوزيع ماء الشرب على السكّان ، وتوليد القوّة المحركة والنور الكهربائي .

في انطاكية جامع مشهور يزعمون ان فيه قبر حبيب النجّار [1] . اما حبيب هذا فيزعم مؤلفو المسلمين انه كان تلميذًا لحواريّي عيسى ، سمع مواعظهم فدان بدينهم ، وقد يكون هو ذاك الرجل المجهول الذي يذكره القرآن (٣٦ : ١٢) فيقول : « وجاء من اقصى المدينة رجلٌ يسعى » . ويرى المطالع قصته في كتب تفسير القرآن ، كتفسير الطبري وتفسير البيضاوي . وقد سمّي باسمه الجبل المُطلّ على انطاكية فدعي جبل حبيب النجار ، وهو ما كان يدعوه الاقدمون « سيلبيوس »

***

على ٢٥ كيلومترًا من انطاكية ، تقع سلوقية ، ميناء انطاكية منذ القدم ؛ وقد قامت اليوم في مكانها تقريبًا السويدية ، وهي قرية كبيرة سكانها من العلويين ، مع عدد مهمّ من الروم الارثوذكس . وهي تستحقّ الزيارة لما خُصّت به من موقع جميل قرب مصبّ العاصي ، ومن مياه غزيرة تجعل الخصب في تربتها ، والخضرة في جميع جهاتها ، حتى ان الناظر الى بيوتها ليراها غارقة وسط الشجر والنبات .

أُسست سلوقية في العصر الذي أُسست فيه انطاكية . ولكن لم يبقَ منها الا ما يراه المسافر من آثار الميناء الماثلة ببعض البلاط في الارصفة حيث كانت ترابط السفن ، وحيث ركب البحر رسل السيد المسيح . وفي وسط حقل من التوت ، يرى السائح تمثالًا من الرخام الابيض اكبر من القياس الطبيعي . الا انه مشوّه بتحطيم اعضائه لسوء الحظّ ، وقد زاد تشويهه اليوم على ما كان عليه اذ زرناه سنة ١٩٠٣ . وهو يمثل ، بلحيته ، وقدره ، اله النهر العاصي . وهكذا كان الاقدمون يمثلون آلهة الانهر .

---

١) ليس معنى اسمه بالفرنسوية : « *l'ami du charpentier* » ، كما ترجمه المؤلف (ص ٣٩٢) ، بل « *Habib le charpentier* »

ومع كون ذاك التمثال ليس من آيات الفنّ، فهو لا يخلو من دقة صنع تظهر عليه الطمأنينة مقترنة بالقوّة والعزم.

على ان اهم اثر في سلوقية ، في نظري ، هو ما يدعونه « بالدهليز » . و« الدهليز » قناة محفورة في الصخر ذات تاريخ عجيب لا بأس بذكره : يُطلّ على سلوقية من الشمال ومن الشرق جبل موسى . فكان انه بعد امطار الشتاء المتواصلة ، يتألف ساقية جارفة تنحدر من جهات ذاك الجبل ، وتهبط على المدينة مجتاحة ما تصادفه ، حاملةً ما تمرّ به الى الميناء ، ملقيةً كل ذلك في البحر . فكانت خطرًا دائمًا لا على المدينة فحسب بل على المرفأ ايضًا، لانها كانت تعمل على طمره بما تلقي في البحر من الركام . فرأى الرومان ان يحوّلوا وجهة ذاك السيل بان يحفروا له في الصخور مجرى جديدًا . وكان ذاك العمل الذي قد يُعدّ بحق اعظم أثر جبّاري تجرّأ على القيام به مهندسو الاقدمين. فبدأوا الشغل في اول الوادي بان شيّدوا سدًّا مهمًّا كان من شأنه ان يكسر من حدّة ذاك السيل . ثم شاؤوا تصريف تلك المياه ، فنقروا في الصخور العالية المرتفعة من ٦٠ الى ١٢٠ مترًا نفقًا بلغ طوله ١٣٨٠ مترًا ، وعرضه ٦ امتار. ويرى المنقّب حتى اليوم في عدة اماكن من جهات النفق ، محفورةً في الصخر ، اسماء الفرق الرومانية التي اشتغلت في ذاك العمل الجبّاري ، مع ذكر اسماء قوّادها.

فكان من نتيجة هذا النفق العجيب ان بَعُد كل خطر عن المرفأ وعن المدينة . فروّض ذاك السيل الجارف ، وحوّلته حكمة الرومانيين الجريئة الى مجرى نافع يوزّع مياه الشرب على اهل سلوقية . وفي الشتاء كانت المياه ، على كثرتها وازدحامها ، في النفق ، تصبّ في البحر فتسهّل الصلة بين المرفأ الرسمي والرصيف المتقدّم . ولا يزال الاعجاب بهذا الاثر الهندسي عظيماً حتى في عصرنا ، على رغم تقدّم العلوم الحليلة من نظرية وعملية . ومن عوامل هذا الاعجاب دقة الحفر في صخر كلسي صلب على طول ما يقرب من كيلومتر ونصف ، وانتظام جهات النفق العمودية الملساء دونما نواتئ ولا احافير ، كأنها صُقلت بفارة النجار . فاذا زار السائح هذا النفق ، وتحقق ما قام به مهندسو القدماء في سبيل الخير العام ، شعر بمدنية راقية مهتمة بالترتيب والدقة حتى في

اصعب مشاريعها ؛ وراح ، عن غير قصد منه ، يقابل بين هذا العمل الفني التام المادي ، وما يقوم به مهندسونا الحاليون ، في انفاق السكك الحديدية مثلاً ، من اعمال الهدم والتدمير بواسطة ما لديهم من المدمّرات والمنفجرات .

***

طال كلامنا على ذاك « الدهليز » ، لانه يمثل بكل وضوح مدنية الرومانيين القديمة ؛ بل قد يمثلها باوفر وضوح مما تمثلها به هياكل بعلبك ، واعمدة تدمر . ولا ننس ان الرومانيين كانوا اول من اختط الطرقات العمومية في سورية ، وان كثيراً من الجسور التي بنوها لا تزال قائمة ، بينا لا يمكننا تعداد الجسور التي بناها مهندسونا في النصف الاخير من القرن الماضي والتي تفككت قناطرها وسقطت بعد حياة قصيرة ...

يُطل على السويدية ، من جهة الجنوب ، الجبل الاقرع الذي دعاه الاقدمون باسم « كاسيوس » ، وهو ذو قمة دقيقة ترتفع الى علوّ ١٨٠٠ . متر وليس من الضروري ان نسير بالمطالع الى ذاك المرتفع ، بل نفضّل ان نحيله الى كتاب الليوتنان الكولونيل جاكو ، ومن الصعب ان يجد دليلاً اوفر معلومات ، واحسن عشرة .

يسأل المؤلف نفسه في آخر كتابه (ص ٦٠٥) : « هل يمكننا ان نسرّ في وقت معاً الشعراء ، والمؤرخين ، والجغرافيين ، والاقتصاديين ، والحربيين ؟ » اما نحن فنجهل هل نجح في هذه الغاية المتعددة الدقيقة . ولكننا نرى انه جرّب النجاح ، فنهنئه على هذه الجرأة . ويمكننا التأكيد ان المؤلف يسرّ من شاء الفائدة واللذة من المطالعين ، ومن شاء ان يسير وراء دليل امين على شرط ان يحيي امامه الماضي المجيد . من هذه الجهة ، نرى المؤلف نجح كل النجاح ، فاعاد الى الحياة انطاكية العصور القديمة والوسطى ، واثار في صدر المطالع رغبة شديدة تدفعه الى قضاء مدة الحرّ بين غابات الامانوس والجبل الاقرع .

احدث الآفات

للنفوس والاجسام

للحكيم امين الجميل

حتى امس كانت اشجار الليمون ، بخضرتها الدائمة ونضارة ازهارها مع عطر اريجها ورونق ثمارها ، احلى حلية لجنائننا واجمل زينة لارضنا . ومن نحو عشر سنين اخذت تلك الزينة بالتلف وتحولت تلك الاغراس الباسقة الى عيدان يابسة ، والثمار الذهبية الى كُرَيات مصرصرة قذرة أولى بالمزابل مما هي بالموائد .

لان حشرة[1] دقيقة ذميمة حلّت فيها وفتكت بها فتكاً .

وليسمح القارئ ان نسأله رأيه بأناس قُدّر انهم عرفوا منذ البدء هذه الحشرة وادركوا اضرارها وسُبل اتقائها ، ولم يُنذروا بالخطر ولم يفعلوا شيئاً لتلافي الضرر ؟ . .

ان هذه المقدّمة ما هي الا صورة لما نحن عليه من أخطار ادبيّة وأخلاقية ، وأضرار مادية ، واوبئة حقيقية ، تُفني النفوس والاجسام على السواء ، ولما يجب من سهر وحيطة .

عاد الينا في القرن الماضي من اوربة كما جاءنا من اميركة الكثير من علم اساتذتهما وفضائل المرسلين ونشاط التجار وصناعة العمال . وليتهما اقتصرتا على هذه الواردات وعلى الآتين بها ، ولم يختلط الشوك بالورد ويتسرب الذئب الى حظيرة الغنم

---

١) حشرة تُسمى بالافرنسية : *Cochenille noire de l'oranger*

الخلاعة ، الدعارة

ليس شيءٌ يكاد يحدونا الى الاسف على سرعة اضمحلال الحجابات والشمريات والمبالغة في التصوُّن الّا تهتُّك اليوم والتبذُّل المتفاقم كلّ يوم.

كان زواج الاجداد والآباء في عزّ الشباب ؛ كانت العقليَّة ان البنين اكبرُ نِعَم الله وقوّةُ الأُسرة والوطن ، وان اعظم قيمة للارقام ما جاء يدلُّ على عدد الاولاد . فلم تكن البلايا النفسيّة ولا الامراض البدنيّة (الزُّهريّة) الناصَّة بها العيادات والمآوي والمستشفيات ، اذ لم تكن اتتْ من وراء البحار بناتُ الغناء والبغاء والرقص والهوى ، وفُتحت بيوت الفجور وسائر ما هو من الفساد والإفساد . استشارتني بالامس احدى هذه الفتيات فعجبتُ كيف، على غضاضة شبابها وحداثة سنّها ، انهكتها العلّة بل الملَل . فقلتُ لها : وما هذه المعيشة وما هذا التهتُّك والمقدار الذي تشربينه من المُسكر ؟ فأجابت : معاشي ! فسألتها وكيف ذلك ؟ فزادت : ان أُجرتي على قدْر ما استهوي من الخمّار واستغوي من الزبائن واسقي من الاقداح .

اذًا بنسبة ما تصبُّ من السموم تُنقَد من الفلوس . . . !

وهل من حاجة الى التذكير ان بالخمر الدعارة ، وبالدعارة علَل الشبيبة : من الشلَل ، الى العمى ، الى الجنون ، الى الآلام المبرّحة ، والف بليَّة ، الى إسقاط الاجنّة ، والبلاهة في السلالة وعاهات البنين وسقام الشيخوخة ، وضروب الاذى في جسم او عقل المُبتلى .

المراهنات ، القمار

اجدادُنا كانوا من اجوَد الفرسان ، ولخيلهم شهرتُها بين الخيول . رأيناهم لخمسين سنةً خلَتْ يتبارون في الميدان مباراةً كلّها حماسة وعياقة وكياسة ، لا يطمحون الّا الى إعجاب الجماهير المتألّبة مباهين بجمال خيلهم وإتقانهم لضرب الجريد . وكانت السهرات تُقضى بالتحدُّث بالسياسة (وكل لبناني « سياسيّ ») وأُمور الاملاك والزراعة ونوادر او قصص الاقدمين ولطائف الاسبقين ، وتُصرَف

اوقات الفراغ في الرياضة من «قيسات» وحَكَم وقنز وصيد او مباراة بالرجل، غير مفكرين بربح غير الفوز المعنوي، ولم تكن قط مراهنات درهمية. ندرت بينهم الالعاب الجلوسية التي نزذلها باسم الصحة الرذل كله لما يأتي من الاسباب. اما الميسر، وبالدارج «القمار»، فجاء على يد بعض العيال البيروتيـة، ففشا كوباء في السيدات والرجال.

والمصيبة ان طُرُق الشرّ، مع ميلنا الفطري اليه، تجدها ابدًا رحبة غزارة فيؤمها الكثيرون. والحكومة التي من واجبها، فضلًا عن عهودها لجمعية الأمم، احترام الاديان، لم تحفل قط بتحريم القرآن ولا بجرم بطرك او مطران، وكأنها قد ذهلت كلها عما بهذا التحظير من حكمة واقتصاد بالمال والزمان ورفاهية وعافية. وربما ظلّت «معالي» الوزارة تتابع الجوائز لمراهنات الخيل مع انها، كصيد الحمام، الميسر بعينه! وهي، التي تلكّأت عن الإنفاق على مجمعها العلمي الوحيد فأقفلته[1]، وبالخصوص عن أعمال الريّ — وهي قبل كل شيء — والتحريج ومناهضة البعوض والامراض وسائر ضروريات الصحة والعمران، لم تبخل بهذه الجوائز. وهل ننسى ان المجلس النيابي وافق على كل هذه الغرائب. والحكومة تنظر ولا تبصر ان هذا الميسر الجديد (المرمح وصيد الحمام) «رجسٌ من عمل الشيطان» يذهب براحة الأُسر مع أجرة المنزل وخبز البنين وصدق المستخدَمين وأمانة المُوظَّفين. وكثيرًا ما نقرأ في الجرائد كيف ادّى الى اليأس والانتحار.

أليس كل ذلك الضلال بعينه، اذ أيّة فائدة لجواد يسرع عن ندّه ببعض خطوات او يبطئها بزيادة بعض سنتيمترات ونحن في عصر السيّارات والطيّارات؟ بجياتكم ايّ ربح للأمة من البراعة في قتل حمامة؟ ان الربح في كل المراهنات — وأخطره ما يقع في الابتداء — انما هو الخسارة بعينها وهو البطالة بذاتها: والبطالة أمّ الرذيلة.

---

١) تأمّل ان المواخير الشاغلة قلب العاصمة والفاتحة ابوابها على السكة مباشرةً لم يُقفل منها واحد. بلدية بيروت تصبّ المال في لجّة البحر بدون لزوم، كما بدون حساب، لما سمّته «الكورنيش» ولم تكترث لنقل المواخير لجّة البلايا ولم تنفق لذلك بارةً.

الاسراف، البذخ

وُلد الانسان، وبالخصوص الشرقي، طمّاحاً الى الظهور، مُوجِدًا لنفسه احتياجات هي التوافه بالذات ان لم تكن المؤذيات، منها التبغ مثلًا، حتى ركوب السيّارات للكثير من الناس في اكثر الاوقات. او ما هو ذلك بعينه ركوب «الخواجا جوزف» الذي اذا همّ «لقتل وقته» وقصد الى نهر الكلب للنزهة، ركب سيّارةً فخمةً وسار بسرعة هائلة تجعلك تظنه طبيباً يجدُّ لإسعاف جريح ينشبُ دمُه، آنفاً من ركوب عربةٍ تجرُّها خيلُ بلاده الجميلة المغتذية من شعير ارضه، عربةٍ شغلتها يدُ ابناء قومه وتمكّنه من ان يتمتّع مليًّا بمشاهد بلاده الفتّانة ومناظرها الفريدة.

ولم نكن لنطرق هذا الباب لولا ما ينجم عن التبذير من هموم وارتباكات تُميتُ الوجدان والامل والرفاهية فالعافية: بَعُدتْ سنّ الزواج او احجموا عنه؛ نظروا الى الطفل في البيت كما الى غولٍ او حيّة، فلجأوا لتلافيه الى طرائق ملتوية وأوثان التي انزلت عليه غضب الله. مع ان الولد اشرف ما في نظر السماء، واثمن ما في الارض.

زار يوماً دير بجرصاف (بكفيّا) سيّدان كبيران: المطران بطرس البستاني والمطران يوسف الدبس وتهافت الناس لتحيّتهما؛ ودار الحديث على المهاجرة الى اميركة وكانت في اوائل عهدها. ففسّرها الحبر البستاني بتزايد السكّان فضيق المكان فردّ بعض السامعين بان بلادًا لا تضيق بظرف عشر سنين على قومٍ يقطنونها منذ الخليقة. وهي ان ضاقت فلاتساع ضروب الإنفاق والخنخ والبذخ والانصراف الى الفضوليّات. وهل ضاقت ارضنا عن قبول المهاجرين من ارمن وغيرهم على الرحب والسعة وفي اصعب الايام واحرج الاحوال؟

ومنتهى المصيبة انّا في كل هذا الاسراف لا ننظر الا الى الذات والملذات، ولا نفكر بما حقّ للرحمة او واجب الخير العامّ من كرم وإنفاق.

٣٩

المخدرات ، المسكرات

من افيون ومورفين وحشيش وكوكايين . وشيخها وابدًا فتاها الكحول من وسكي وكونياك وقس عليهما . جميع هذه حيّاتٌ بنات افاعي يجب خنقهــا في مهدها . فهي متى تأصلت في بلد او في جسم استحال استئصالها : المرّةُ تأتي بالعادة والعادة تصبح ملكةً تملك الحواسّ والعواطف . والخبرة على ذلك اقوى برهان .

ومن الواجب في هذا المقام التنويه بفضل جمعية الأمم . وهي ، ما عدا حربها للحروب ، تناهضُ الآنَ الشرور المعنويّة كما الاوباء البدنيّة . فتكافح الاتّجار بالأعراض اي ما سمّوه الرقيق الابيض ، والمخدّرات وما هو من نحو هذه الآفات .

* * *

ان ما تقدّم من شرورٍ واخطار يقضي على الجميع بعمل سريع يقوم بــه كلٌّ في نطاقه ما اطاق .

قــد استشفّ القارئ اللبيب بدون ريبٍ في اثنــاء هذه اللمحة خطّة المقاومة . فبقي ان نخصّها بشيء من العناية والإسهاب الجديرة بهما .

غنيٌّ عن البيان ان اساس كلّ صلاح وإصلاح هو في البيت والمدرسة . في أميلة تنشأ المبادئ وترسخ النيّات ، وفي المدرسة يتمّ صرحُ بناء التربية العظيم . فلا يبقى الا الاحتفاظ والازدياد والازدياد بما وراء المدارس من عشرات طيّبة وجمعيّات صالحة وأندية خيرٍ وأدَب وامثالٍ صالحة . والمثل قوة عجيبة بقدر ما هي ذات لطف ورفق . ولا بدَّ لنا من ذكر خاصٍ لامرٍ خطيرِ الشأن وهو أندية الرياضة البدنيّة . فما اجمل ان يتبارى شبانُنا بعزمٍ وانتظامٍ وكياسةٍ في ميدان « الفوت بول » (كرة القدم) ، وافضل منه « التنس » ، ومن حولهم صفوفٌ كثيفةٌ من اهل واصدقاء ومتفرّجين يصفّقون ويهتفون ، غير ناظرين الى ربح محرّمٍ دنيء ، كما في مرمح او مصاد للدراهم اي للحمام ! ما افيد ان يتمرّنوا منذ الصغَر على الألعاب ويكتتبوا في اجواق « السكوت » ، الكشافــة ، الواجب تنشيطها وتعميمها !

ان التوفّر على تطهير المحيط والجوّ الذي فيه نعيش لمن اقدس الواجبات. فانه للآداب غازات خانقة ووسط فاسد سامّ. ومن العمل ما لا يحتمل ادنى إمهال او إهمال كتطهير قلب العاصمة. وهل يجوز ان يبقى قلب مدينة الكليات والجامعات بيئةً مواخير وخمامير، وان يُشاد في كل زاوية «مقمرة» وان يصبح نهار الاحد، لا يوم الرب والاستراحة، بل يوم المراهنة والمجازفة؟

ما فكرت بهذا الموضوع ولا كتبتُ فيه سطرًا حتى تجلّت لي حكمة رائعة للصديق الكريم امير الشعر وفيلسوفه شوقي:

وانما الأممُ الاخلاقُ ما بقيتْ فان همُ ذهبتْ اخلاقهم، ذهبوا

فلم يبقَ قط ريبٌ الآن في نقص المواليد عن الوفيات في فريقٍ كبير من الناس والسير الى الانقراض؛ ولما كان خيرُ البرّ عاجله، وافيدُه اعمّه، وانجعُ المعالجة اعجلها نعتبر هذا الاصلاح عملًا حكومياً اكثر منه فردياً.

ان الاصلاح عن طريق العيلة والمدرسة لعملٌ لازمٌ محتوم شريف خطير، ولكنه يستوجب اجيالًا والوفاً بألوف من العاملين؛ ولكنه اذا تولّاه حاكم نشيط غيور وحكومةٌ حكيمةٌ اصبح حاصلًا في الحال.

بدقيقةٍ أُوقفَ تيّار المُسكرات في كل الولايات المتحدة وآفة الحشيش الفاشية في القطر المصري؛ وبغطسةٍ قلم قضى موسوليني على الكثير من المحرّمات والمُنكرات. هذا ما ينبغي لحكومتنا ان تحقّقه حالًا وبدون تردُّد كما طلبتُ بإلحاح، وان على غير جدوى الى الان، في لجنة الاصطياف والاقتصاد، عن القمار والمراهنات وسائر الموبقات، اي قبل ان تتأصل فيستحيل اقتلاعها.

فان يفعل اوليا. امرنا فهم اصحاب الفضل العظيم والاجر العميم؛ وان لم يفعلوا فهم — امام التاريخ، امام الله الديّان — الجناة على امّتهم ووطنهم لا سواهم، اجل لا سواهم!

انتصار الكنيسة

في المجمع الافسي سنة ٤٣١

بقلم الاب يوسف نادر الانطوني

توطئة

توافق السنة الحاضرة ١٩٣١ التذكار المئوي الخامس عشر للمجمع المسكوني الثالث، المنعقد في افسس، مدينة سيدتنا مريم العذراء، وتلميذها الحبيب يوحنا الرسول. فهذا الحادث خطير الشأن في التاريخ الكنسي العام، وممتلئ من افادات شتى بعضها لاهوتية وبعضها نسكية، ثمينة جدًّا لمن يطالع بصدق النية تاريخ المجمع الافسي . فلذلك تحتفل الكنيسة الكاثوليكية بمزيد الفرح والفخامة بتذكار ذلك الحادث الهام، عملًا برغبة سيدنا الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر المالك سعيدًا (رسالة ٢٥ كانون الاول سنة ١٩٣٠) . وقد انبأتنا الجرائد ان الطوائف الشرقية الكاثوليكية لبّت هذا الطلب الشريف، واقامت وستقيم احتفالات تذكارية بهيجة منها اجتنت اثمارًا روحية شهية لا تقدر قيمتها .

فبهذه الفرصة الهمنا الرب ان ندرس عن كثب هذا الموضوع النفيس من وجهته التاريخية واللاهوتية والنسكية، مستندين الى اصدق الاسانيد التاريخية التي تركها لنا المؤرخون المبرّزون المعاصرون للمجمع الافسي خاصة، فرغبنا تدوينها على صفحات مجلة «المشرق» الغراء تعميماً للفائدة.

* * *

في اوائل القرن الخامس، دخلت كنيسة القسطنطينية في طور جديد يُرثى له . كان قد جلس على كرسي هذه الكنيسة، بعد نفي القديس يوحنا فم الذهب († ٤٠٧) عمود الكنيسة ومصباح الحق وبوق المخلص، ارساقيوس

(† ٤٠٠) وكان رجلاً ضعيفاً خسيساً ، ثم القديس اتيقوس[١] († ٤٢٥) الذي كان في بادئ الامر احد خصوم الذهبي الفم، وبعدئذ جاهر بفضائل سلفه القديس، واشتهر بمساعدته للفقراء ، وتأليفه كتاباً سبق فيه ورذل البدعة النسطورية. ثم سيسينيوس الذي ما ظهرت قداسته لدى الجميع حتى مات († ٤٢٨) .

١

في سيرة نسطور وظهور بدعة في القسطنطينية

بعد وفاة سيسينيوس ظلّ كرسي القسطنطينية فارغاً نحو ثلاثة اشهر ، في اثنائها كان البعض يطلبون اسقفاً الكاهن فيلبوس ، وغيرهم برقاوس . لكن الملك تودوسيوس الثاني استحسن انتخاب كاهن غريب عن الاكليروس القسطنطيني ، تخلصاً من حيل المرشّحين الى الاسقفية ، كما ذكر سقراط المؤرّخ فوقع نظر الملك وحاشيته على نسطور.

وُلد نسطور في جرمانيقية[٢]، وتربى في انطاكية ، حيث تعمد منذ صغره. ولما شبّ مارس السيرة الرهبانية في دير مار اوبربيوس في نواحي انطاكية ، ورسمه اسقفها تودوطس قساً ، وعيّنه معلماً للموعوظين ليلقنهم مبادئ الايمان ويناضل عنها ضدّ الهراطقة ، فاظهر نفسه غيوراً ضد جميع اعداء الدين القويم المنتشرين يومئذ في الشرق اي الاريوسيين والابوليناريين والاوريجانيين . وكان يتباهى بالانشغاف بآثار يوحنا فم الذهب والاقتداء به. اجل انه كان جميل الصوت طلق اللسان ، لكن فصاحته كانت فارغة ولم يقصد منها سوى استرضاء الشعب ومدائحه . فبلغ مسامع الملك صيت فضيلته وعلمه ، فانتخبه اسقفاً على القسطنطينية . ولما بلغته اوامر الملك توجه الى العاصمة بصحبة امين اسراره الكاهن انستاس ، وزارا بطريقهما تودورس[٣] المصيصي الذي اخذ عنه نسطور التعاليم الكفرية التي اذاعها بعدئذ ، كما يزعم بعض المؤرخين.

١) *Cf. acta S. S. Boll.*, édit. Palmé, 8 jan. ٢) التي تسمى اليوم مرعش .

٣) توفي سنة ٤٢٨ بحضن الكنيسة الكاثوليكية . شجب هراطقة الابوليناريين ، لكن لسوء الحظ وضع في كتبه ، التي حُرمت بعد موته ، مبادئ البدعة النسطورية ..

عند وصول نسطور الى عاصمة الدولة الرومانية الشرقيــة ، سيم اسقفاً في العاشر من نيسان ٤٢٨ ، فبلّغ الاساقفة الحاضرون البابا مار شلستينوس ، ومار كيريلس الاسكندري خبر رسامته . فارسل اليه كلاهما رسالة بهـا يهنئانه على هذه النعمة الشريفة . وفي اوائل اسقفيته ابدى علامات الغيرة الرسولية لتعليم الشعب ومحاربة اعداء الايمان . لكن ، يا لـلاسف ، لم تثبت هذه الافراح كثيراً لانه كما قال مار كيريلس الاسكنــدري(١) : « انتُخب نسطور نعجةً فوجد ذئباً . عُدَّ راعياً صالحاً فاصبح اقسى من الوحوش الضارية .» ولا يختلف عن مار كيريلس معاصره الشهير مار منصور الليريني اذ يقول : « ان نسطور التعيس من نعجة انقلب ذئباً وشرع يمزق قطيع المسيح » .

من مستهلّ اول عظة القاها نسطور ، اطلع على طبعه اثقب السامعين عقلاً ، لانه قال مخاطباً الملك :« مولاي اعطني المسكونة مطهّرة من الهراطقة أعطك السماء جزاء ؛ لاش معي الهراطقة الاش معك الفرس . » راقت هذه الكلمات لبعض الجهال ، مبغضي الهراطقة . لكن العقلاء اكتشفوا من معانيها رجلاً طائشاً طموحاً الى المجد . وبعد مرور خمسة ايام على ارتقائه كرسي الاسقفية ، امر بهدم كنيسة كان يجتمع فيها الاريوسيون سرّاً ، فقطع هؤلاء امامهم واضرموا فيها النار حتى انتشرت الى البيوت المجاورة وجعلتها رماداً . ان هذا العمل الفظيع حمل الهراطقة والكاثوليك نفسهم على ان يلقبوه حرّاقاً . ولم يلبث ان اضطهد «الاربع عشريين» اعني بهم المحتفلين بعيد الفصح في الرابع عشر من القمر ، حسب تقليد اليهود . فكل هذه الحوادث والشرور سببت فتناً شنيعة في نواحي ميلاط وسرديس حيث قُتل اشخاص كثيرون . وقد لاحظ هذا المؤرخ سقراط فقال : « ومن المؤكد ان تلك الخطــة التي تبعها نسطور تخالف عادة الكنيسة معلّمة الحق والاستقامة » .

وان اضاليله الكفرية قد انتشرت بين الشعب حتى استحبها السخيفو العقول والقليلو الحكمة . واقتدى بمثله انطونيوس اسقف جرما التابعة لبطريركية القسطنطينية ، واخذ يعذب المقدونيين مدعياً انه تبع في ذلك نوايا بطركه

(١ *Ac. S. S. vita S. Cyril. Alex.*, 28 jan.

واوامره. فعاملهم معاملة بربرية لا تطاق، حتى هاج عليه الشعب اخيرًا وقتله. فعندئذ استنهز نسطور هذه الفرصة وبالغ في اضطهادهم. فنال امرًا من الملك به نزع عنهم الكنائس الخاصة بهم في القسطنطنية وقوزيقا وبلاد الهلسبونطس. وبخلاف ذلك اظهر حلماً خاصاً للبلاجيين، واكرمهم تابعاً تعليمهم قلما يكون بشأن الاختيار المطلق، واذن لهم بالاشتراك في الاسرار الالهية. ولما علم الملك حقيقة امرهم امر بطرد يوليانوس وقلاستيوس وتباعهما من العاصمة. فتشكى من ذلك الامر قلاستيوس الى نسطور الذي ارسل اليه رسالة تعزية لم يخجل ان يشبه فيها القصاصات الصوابية المنزلة بهذا الكافر ورفقائه بعذابات الرسل والشهداء، ويطلب منه عون تضرعاته، لا بل يحثه ان يقيم دعوى على الكاهن فيلبوس، الذي عند تبليغه الشكوى، حضر ليدافع عن نفسه. اما قلاستيوس فلم يحضر الجلسة التي عينها نسطور لمحاكمة ذلك الكاهن لعلمه ان لا حجة له عليه.

اذًا ما هو يا ترى الداعي الحقيقي لتلك الشكوى؟ ان الكاهن فيلبوس كان من اخصام نسطور الذين يخزونه جهرًا على اضاليله، ورفضوا الاشتراك معه بالقدسيات، لان نسطور وضع في المسيح اقنومين: الاول اقنوم الانسان يسوع المسيح، والثاني اقنوم الله الكلمة. ومن هذا المبدأ الفاسد استنتج ان المسيح ليس الهًا، بل هو انسان مرتبط بالله ارتباطاً ادبيًا اشدّ خلوصاً منه بغيره. وان مريم العذراء ليست ام الله بل ام انسان بسيط يدعى المسيح به ارتبط الله الكلمة.

ان هذه الاضاليل لثقيلة جدًا لابادتها سرّ التجسد، ولاهوت المسيح، والامومة الالهية للبتول المجيدة. ولذلك لم يتجاسر نسطور، في باديء الامر، ان يوضحها تماماً بل شرع يبثها بكلام مموّه غامض متناقض. فكلف الكاهن انستاس الانطاكي ان يطرح تعليمه على مسامع الشعب، فاستجاب هذا الكاهن طلب نسطور، والقى عظة فيها عرض هذا القول: «لا يدعُ احد مريم امّ الله لانها كانت امرأة، ومن المستحيل ان يولد الله من امرأة». فما فاه بهذا الكلام حتى اضطرب الشعب، واستشاط غضباً محتجًا على هذا التعليم الجديد. وعلامة كافية لسخطهم هو ان كثيرين من اكليريكيين وعلمانيين رفعوا دعوى على

الكاهن انستاس الوقح . واول من قاوم هذا الكافر هو اوسابيوس المتعاطي يومئذ مهنة المحامي ، والمسقف من ثمة على دوربليا . وما اشد الغم الذي ألمّ باكليروس القسطنطينية ! وما اعظم الاضطراب الذي عمّ قلوب شعبها الجزيل الورع! اما نسطور فلم يتأثر من ذلك ، او يغير افكاره الكفرية ، بل شرع يدافع كل المدافعة عن انستاس كاهنه . وفي العظة التي القاها في عيد الميلاد سنة ٤٢٨ حسب رأي المؤرخين ، اصرّ على ضلاله قائلاً: « ان من يدعو البتول ام الله يُثبت خرافات الوثنيين الذين كانوا ينسبون امهات لآلهتهم ».

٢

في محاربة البدعة النسطورية في القسطنطينية والاسكندرية ورومه

من شرّفهم الرب تعالى بمقاومة نسطور وشجب كفره ؟ من أهلتهم ام الله المجيدة لاحتمال الاضطهادات حبًّا بالايمان المستقيم ؟

في القسطنطينية اشتهر رهبانها الافاضل بتمسكهم المتين بتعليم الكنيسة الجامعة . فلما بلغهم خبر تلك الاضاليل لم يسرعوا لتصديقه ، فـذهب البعض منهم الى نسطور عينه،يترأسهم الانبا باسيل والقارئ طلاس،واخذوا يستفهمونه بهذا الشأن . اما الكافر فبادر حالاً وقبض عليهم وطرحهم في سجن الـدار الاستقفي حيث اذاقهم كاس العذابات والاهانات . وبعد مرور عدة ايام ، اطلق سبيلهم واكد لهم انه يعتقد ان ابن الله الاب الازلي وُلد من العذراء ام الله . وما كان ابعد هذا التأكيد عن الصدق !

وفي تلك الايام اضاء عاصمة الشرق كوكب منير باستقامة ايمانه وحسن سيرته ، ألا وهو القديس برقلوس († ٤٤٧) تلميذ الذهبي الفم ؟ ان هـذا القديس كان قد سُقف على كرسي توزيقا . لكن اهالي هذه المدينة لم يقباوه بينهم لاتباعهم البدعة الاريوسية ، فاضطر ان يمكث في القسطنطينية ويفيد شعبها بمثله ووعظه حتى استحق حبه واعتباره . ثم ان نسطور نفسه دعاه ليلقي بحضوره ميمرًا في عيد البشارة . فلبى القديس طلبه ; واستنهز هذه الفرصة الثمينة ليناضل عن تعليم الكنيسة الكاثوليكية بشأن سر التجسد . فـالقى

ميمرًا بليغًا لا يزال محفوظًا الى الآن ، ويلذ لنا ان نسمع انفس ما ورد فيه :

« لقد جمعتنا الآن ، في هذه الكنيسة ، ام الله القديسة مريم البتول . فذلك الكنز الطاهر كنز البتولية اصبح فردوسًا روحيًا لآدم الثاني ومعملًا لاتحاد الطبيعتين ... حقًا ان الله اخذ الطبيعة البشرية ، وان كان الوثنيون يستهزئون بهذه الاعجوبة . لهذا يصرخ بولس قائلًا : « اما نحن فنكرز بالمسيح مصلوبًا شكًا لليهود وجهالة للامم » (اقو ١ : ٢٣) فالذي كان ، حسب طبعه ، غير قابل الآلام اصبح ، برحمته ، خاضعًا لآلام كثيرة... ان المسيح لم يصر فقط الهًا بسبيل التدريج ، حاشا ! لكن بما انه كان الهًا كما يعلمنا الايمان تحنن علينا وتجسد . نحن لا نكرز بانسان متأله ، بل نعترف بالله المتجسد . فيا ايها اليهودي ، ان من افتدانا ليس هو انسانًا محضًا . اذ كان الجنس البشري بأسره مثقلًا بعبودية الخطيئة ؛ لكنه ، ايها المنوي ، ليس باله فقط خالٍ من الطبيعة البشرية ، اذ كان له جسد . فان قلت ، ايها الهرطوقي ، ان في المسيح اقنومًا مختلفًا عن اقنوم الله الكلمة انكرت الثالوث ، ووضعت حسب رأيك اربعة اقانيم في اللاهوت . فلتحسم اذن كل مناقضة ، ولنرتشد بتعليم الاسفار الالهية لنربح الملكوت السماوي بالمسيح ! »

فما انتهى القديس برقلوس من عظته حتى تهلل الشعب فرحًا ، وعم التصفيق . اما نسطور فازداد استياء ، واضاف كلمة على هذا الميمر بها يبذل الجهد في اثبات بدعته . . . فمن هذا الحين لم يحضر الشعب وكثير من الاعيان الحفلات الكنسية ، وقسم من الكهنة انفصل جهرًا عن شركة اسقفهم ، واهمله اقدس رؤساء اديرة القسطنطينية ورهبانها خاصةً ، وهو القديس دلماط († ٤٤٠)

ان هذا البار كان من اشرف أسر الدولة ، ترك حمل السلاح ، وانخرط مع ابنه فوستوس في السيرة الرهبانية . فاشتهر بفضائله النسكية واستحق ان يبين له الرب ، بنور سماوي ، الشرور العظيمة التي ستنجم من تعاليم نسطور . فلذلك حينما اتى نسطور ليزوره في قلايته ، قال له بجرأة : « اذهب بسلام ! انني لن اقبلك حتى ترذل اضاليلك » فاضطر الزائر ان يرجع على عقبه مخجولًا ، واخذ القديس ينبه رهبانه قائلًا : « حذار ، يا اخوتي ، اتى الى هذه المدينة وحش ضار سيجرح بتعليمه كثيرًا من الناس . »

وماذا فعل نسطور لينتقم من خصومه ؟ حشد مجمعًا فيه حط وحرم الكهنة والرهبان والعلمانيين الذين قبحوا بدعته ودافعوا عن تعاليم الكنيسة ؛ وشرع يبث ميامره الكفرية خارج ابرشيته ؛ فانتشرت في بلاد مصر ، وانسلّت في

ادبرتها ، وهاجت رهبانها اي هيجان.

فاختار الرب من آباء مصر رجلاً ليمزق حجاب هذه البدعة الجديدة ، وهو كيرلس اسقف الاسكندرية ، خلف مار اثناسيوس الشهير بفضيلته وعلمه ، بشجاعته وغيرته ! لما علم هذا الاب الابر بفاسد التعاليم النسطورية ، بادر وكتب الى الرهبان المصريين رسالة نفيسة فيها يثبت سر التجسد ببراهين كتابية فأبوية ، ويحثهم على رذل الهرطقة الجديدة ؟ وبعد قليل من الزمن ، أذيعت ميامر نسطور في رومية نفسها ، فاطلع عليها الحبر الاعظم البابا شلستينوس الجالس يومئذ على السدة البطرسية . فحزن جداً وكتب الى مار كيرلس رسالة فيها يستفهمه عن صحة نسبة هذه الاضاليل الى نسطور.

وفي تلك المدة كانت انتشرت في القسطنطينية رسالة مار كيرلس الى رهبان مصر ، ومن مطالعتها اكتسب الشعب والاكليروس فوائد جمة ، فكتبوا رسالة شكر الى مؤلفها القديس الغيور . ثم ان مار كيرلس دعا كل اساقفة مصر ليقرروا الخطة الواجب اتباعها لشجب الهرطقة ، فاستحسن القديس ان يحرر اولاً رسالة الى نسطور نفسه فيه يذكر الاضاليل المذاعة باسمه ويدعوه الى رذلها ، فصنع ما قرره وبعث اليه رسالة في اواخر تموز سنة ٤٢٩، فاجابه جواباً مرّاً . وفي الوقت نفسه كتب نسطور رسالة الى البابا مار شلستينوس ليستجلبه اليه ، يسرد فيها ما بذله من الجهد ليطهر ابرشيته من الهراطقة الذين كانوا معززين في عهد سلفائه ... ثم يعرض على قداسته كيف قاوم الذين لا يشمئزون من تسميتهم واعتقادهم ان مريم العذراء هي امّ الله والمولود منها هو الله حقاً ؛ ومع هذه الرسالة بعث نسطور بقية مؤلفاته بشأن سر التجسد مختومة باسمه . فما اطلع عليها الحبر الاعظم حتى تأكد كل التأكد ان نسطور هو مُبدع جميع تلك الاضاليل ، فاخذ يفحصها ليحكم بشأنها حكماً رسمياً وامر بنقلها الى اللغة اللاتينية ؛ وعملاً بنواياه النبيلة ، كلف مار لاوون ، رئيس شمامسة الكنيسة الرومانية ، صديقه الانبا يوحنا كاسيانوس المتضلع من اللاهوت والآداب اليونانية ان يؤلف بحثاً عن سرّ التجسد فيه يشجب البدعة الجديدة. فلبى بطيبة خاطر هذه الدعوة ، وألّف كتاباً نفيساً قسمه الى سبعة اسفار

انجزها قبل التئام المجمع الافسسي . وفي ابان ذلك التجأ الى القسطنطينية بعض اشرار من الاسكندرية كان قد حرمهم اسقفها النشيط لقبائحهم ، فاستخدمتهم نسطور آلة ليشنع صيت القديس ، وحملهم ان يرفعوا شكوى ضده الى نسطور نفسه والى الملك . . . فلما علم مار كيريلس بهذا الامر حرر الى نسطور رسالة اخرى في شهر شباط سنة ٤٣٠ ، يظهر له فيها انه لا يجهل التهم المقذوف بها ولا المتهمين ، ويقول انه حرم واحدًا منهم لانه ظلم عُماة وفقراء ، وآخر لانه استل السيف على امه ، وآخر لانه سلب ذهباً وخادمة ، وله صيت ردي. لكن القديس لم يُطل الكلام عن هؤلاء الشلابين ، بل حثّ نسطور حثّ الاخ على اصلاح مذهبه واتباع تعليم الآباء القديسين ، وذلك للاشاة الشكّ الذي سببه ، ولتوطيد روح الامان بين الكنائس و لاتحاد بين رعاتها . فاجاب نسطور كيريلس جواباً اشد مرارة وغيظاً من الجواب الاول ، قائلًا له ان يهتم بشؤون كنيسته ، ويجسن مطالعة الآباء الاقدمين ، لانه لم يدرك قوة تعاليمهم . فلما لاحظ القديس ان نسطور يستند الى سلطة الملك وله نفوذ عند حاشيته ، حرر الى تودوسيوس واخواته رسائل مطولة فيها يسرد تعليم الكنيسة بما يخصّ سرّ التجسد . وكتب الى الاكليروس القسطنطيني يشجعه على الثبات في الايمان المستقيم ثم يذكر زعم نسطور انه لم يرَ شعبه منوّرًا وذلك بذنب سلفائه، ويصرخ قائلًا:

« ايا ترى نسطور افصح من يوحنا ، او احذق من الطوباوي اتيقوس ؟ لمَ لا يعترف بصدق انه يُدخل تعليماً جديدًا ؟ ؟ ان شاء السلام فليكتب صورة ايمان كاثوليكي صادق ، وليرسلها الى الاسكندرية ، وانا من جهتي اكتب انه لا يجب ان نتعب اخوتنا الاساقفة لاننا نعلم ان لكلامه معنى حسناً . لكن ان اصرَّ على ادعائه فلا يبقى لنا سوى مناقضته بكل قوانا . »

اخيرًا كتب مار كيريلس الى مار شلستينوس رسالة فيها يطلعه على مجرى الحوادث، وعلى رسالته الى الرهبان، ورسالتيه الى نسطور، ويذكر الضرورة الماسة التي الزمته مقاومته الى ان يقول : « اننا لم نشأ قطع شركتنا معه جهرًا قبل ان نعرض هـذه الاشياء لقداستكم ؛ فتنازلوا اذن وصرحوا لنا رايكم ليكون لنا دستورًا ، ونعرف هل يجب مواصلة الاشتراك معه او تبليغه

ان الكل سيتركونه ان اصر على آرائه . » واضاف الى هذه الرسالة ذيلاً فيه حصر الاضاليل النسطورية في اربعة بنود.

ولما استلم البابا مار شلستينوس جميع هذه الاسانيد، عقد مجمعاً في رومية في اوائل آب ٤٣٠ ، وفحص، مع آباء المجمع، تصانيف نسطور، فرآها مخالفة الكتاب الكريم والآباء القديسين. فرذل جهراً المذهب النسطوري، وكتب حالاً الى كيريلس رسالة فيها يمدح حسن معتقده وغيرته وتيقظه، ويفوّضه بتنفيذ الحكم قائلاً: « انكم بسلطان كرسينا وقائمين مقامنا تنفذون هذا الحكم بقساوة يُعتبَر بها بنوع انه اذا مرّت عشرة ايام ابتداء من هذا التنبيه ولم يرذل تعليمه الكفري بقانون ايمان خطياً، ولم يعترف في المستقبل بشأن ميلاد يسوع المسيح الهنا بالايمان الذي تعلّمه الكنيسة الرومانية وكنيستكم والنصرانية بأسرها، يدبّر قدسكم امر كنيسة القسطنطينية، وليعلم انه سيكون مقطوعاً من جسمنا على الاطلاق.»

وبلّغ الحبر الاعظم الامر نفسه الى اهم اساقفة الكراسي الرسولية القديمة، اي الى يوحنا البطريرك الانطاكي، والى يوفنال البطريرك الاورشليمي، والى روفس اسقف تسالونيكي، وفلاڤيانس اسقف فيلبي، ثم كتب ايضاً الى الاكليروس والشعب القسطنطيني يشجعهم على الثبات في الايمان الكاثوليكي، ويعزي مَن اضطهدهم نسطور، ويُبطل جميع التأديبات الكنسية التي انزلها بهم نسطور ابتداء من ظهور بدعته. وفي الوقت عينه كتب الحبر الاعظم الى نسطور نفسه رسالة بليغة فيها يكشف له انه محّص تعاليمه، فرآها تناقض الايمان الكاثوليكي فحرمها؛ ويذكره ان رسالتي مار كيريلس الموجهتين له سابقاً تقومان مقام التنبيه الاول والثاني، ورسالته هذه تنوب عن التنبيه الثالث، فان لم يرذل بدعته يُقطَع حالاً من شركة الكنيسة الجامعة.

فما استلم مار كيريلس جميع هذه الرسائل حتى اوصلها الى اصحابها بكل امانة. وفي شهر تشرين الثاني سنة ٤٣٠، جمع في الاسكندرية اساقفة مصر سعياً وراء تنفيذ اوامر البابا. فاثبت الاساقفة المجتمعون رسالتي مار كيريلس الى نسطور. ثم ارسل مار كيريلس الى نسطور رسالة ثالثة باسم المجمعين الروماني

والاسكندري لتكون بمثابة التنبيه الثالث والاخير، والى هذه الرسالة اضاف القديس الغيور اثني عشر قانوناً ايمانيا او حرماً فيها تتجلى روح مؤلفها النبيلة لسداد معانيها وبلاغة عباراتها.

فلنسمعها الآن نقلاً عن اصلها [1] اليوناني:

ق ١: ان لم يعترف احد ان عمانوئيل هو حقاً الله، وعليه ان القديسة البتول هي ام الله لانها وَلدت حسب الجسد كلمة الله المتجسد؛ فليكن محروماً.

ق ٢: ان لم يعترف احد ان الكلمة المولود من الله الآب اتحد بالجسد حسب الجوهر، وانه مع جسده الخصوصي يؤلف مسيحاً واحداً، الذي هو معاً اله وانسان؛ فليكن محروماً.

ق ٣: ان فصل احد بعد الاتحاد طبيعتي المسيح الواحد، واصلاً اياهما فقط باقتران شرف او سلطة او قوة، وبالاحرى لا برباط الاتحاد الحقيقي (الجوهري)؛ فليكن محروماً.

ق ٤: ان نسب احد الى اقنومين او جوهرين الكلمات المتضمنة في الاسفار الانجيلية والرسولية او ما قاله القديسون عن المسيح او ما فاه به المسيح عن ذاته، وطابق بعضها على الانسان المعتبر منفصلاً عن كلمة الله، وبعضها على كلمة الله الابن وحده كانها جديرة بالله؛ فليكن محروماً.

ق ٥: ان تجاسر احد وقال ان المسيح هو انسان ثوفوروس اي حامل الله، وان لم يقل بالاحرى انه اله حقاً لكونه ابناً وحيداً بالطبيعة، بمقتضى ان الكلمة صار جسداً وشاركنا بالجسد والدم؛ فليكن محروماً.

ق ٦: ان تجاسر احد وقال ان كلمة الله الآب هو اله المسيح او ربه، وبالاحرى لم يعترف انه هو نفسه اله وانسان معاً، لان الكلمة صار جسداً كما كُتب؛ فليكن محروماً.

ق ٧: ان قال احد ان يسوع بصفته انساناً هو مقوى بكلمة الله، ونسب اليه مجد الابن الوحيد، كانه واحد آخر غيره؛ فليكن محروماً.

ق ٨: ان تجاسر احد وقال ان الانسان المأخوذ من الكلمة يستحق مساواة

(1 Denziger: *Enchiridion Symbolorum*, nº 113-124.

السجود والمجد وتسميته الهاً مع الكلمة ، لكونه واحداً ضمن الآخر (لانه عند اضافة الكلمة «مع» يفهم هذا المعنى ضرورة) ولم يُكرّم عمانوئيل بسجود واحد ويؤدِّ له مجد واحد حسبما الكلمة صار جسداً ؛ فليكن محروماً .

ق ٩: ان قال احد ان سيدنا يسوع المسيح مجّده الروح القدس ووهبه قوة غريبة ليقهر الارواح الشريرة ويصنع العجائب بين البشر ، وبالاحرى لم يقل ان الروح الذي به كان يفعل العجائب هو خاصّ به ؛ فليكن محروماً .

ق ١٠: ان الكتاب الالهي يقول ان المسيح صار حبر اعترافنا ورسوله ، فانه قدم نفسه عنا رائحة مرضية لله الاب . اذن ان قال احد ان حبرنا ورسولنا ليس بكلمة الله عينه منذ صار جسداً وانساناً مثلنا بل هو انسان مولود من امرأة كانه واحد آخر غيره ، او ان قال احد انه قرّب الذبيحة عن نفسه وبالاحرى لم يقل انه قربها فقط عنا لانه لم يفتقر لذبيحة ذلك الذي كان جاهل الخطيئة ؛ فليكن محروماً

ق ١١: ان لم يعترف احد ان جسد الرب محيٍ وخاص بالكلمة عينه المولود من الله الآب بل ينسبه الى واحد آخر متصل معه حسب الشرف ، فيه فقط مسكن اللاهوت بدلاً من ان يقول انه محيٍ لانه خاصّ بالكلمة القدير ان يحيي كل شيء ؛ فليكن محروماً .

ق ١٢: ان لم يعترف احد ان كلمة الله تألم حسب الجسد ، وصلب حسب الجسد ، وذاق الموت حسب الجسد ، وصار البكر من بين الاموات حسبما انه حياة ومحيٍ لكونه الهاً ؛ فليكن محروماً .

ما ادق ما لاحظه العلامة بوصويت[1] بهذا الصدد . قال: «في رسالتي القديس كيرلس يتلألأ حقاً روح واحد ومعنى واحد ، وجميع فحواها يتعلق بمبدأ واحد قِوامه أن شخص الله الكلمة هو شخص يسوع المسيح الانسان عينه لا غير ، فمن هذا المبدأ الموضوع سابقاً يكون لجميع الحُرُم تسلسل واضح» (له صلة)

(1 Bossuet: *Remarques sur l'Histoire des Conciles d'Ephèse et de Chalcédoine* de M. Dupin. *Besançon. Edition Outhenin, t. 7. p.* 226.

الرسالة الحاتمية

فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة

نشرها عن مخطوطتي المكتبة الشرقية (بيروت)

فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٣٣ قال ارسطو

الظلم من طبع النفوس[١]. وانما يصدها عن ذلك احدى[٢] علتين[٣][٤]: علة[٥] دينية[٦] لخوف[٧] معاد، او علة سياسية لخوف الانتقام[٨].

[١٩ ق]

قال ابو الطيب

والظلم[٩] من شيم النفوس. فان تجد ذا عفة، فلعلة لا يظلم

٣٤ قال ارسطو

الدنيا تطعم[١] ولادها، وتأكل[٢] مولوداتها[٣]

قال ابو الطيب

ابدا تسترد ما تهب الدنيا؛ فيا ليت جودها كان بخلا

---

٣٣ هي الفقرة ٥٢ في ت، و٦٦ في ق، و٤٠ في ل.
١) في ت: النفس. ٢) سقطت في مم وت؛ وفي ل: احد.
٣) في ت: خلتان. ٤) في ق: إما.
٥) سقطت في ل ٦) ورد في ت بعد دينية: «وخلة دنيوية سياسة خوف الانتقام.»
٧) في ل: لأجل. ٨) في ق ول: السيف. ٩) في ت: الظلم.
والبيت هو ١٣ من القصيدة المذكورة (د: ٦٢٠ - الروائع ١١: ٢٢)
٣٤ هي الفقرة ٤٧ في ت، و٢٩ في ق ول.
١) في ل: تأكل ٢) في ل: وتطعم.
٣) في ت وق ول: مولودها.
البيت هو ٢٩ من القصيدة في رثاء اخت سيف الدولة المذكورة سابقاً. (د: ٤٢٠)

٣٥ قال ارسطو

اذا كانت الاشياء فاعلة[١] بالطبع ، لم تحمد على فعلها ؛ لان الشمس لا تحمد على ضوئها [ولا حرارتها][٢]

[٢٠ و] قال المتنبي

ربّ أمرٍ أتاكَ لا تحمَد الفعَّالَ فيه ، وتحمد الأفعالا .

٣٦ قال ارسطو

الجُبن ذِلّة كامنة في نفس[١] الجبان[٢] ، فاذا خلا[٣] بنفسه[٤] أظهر شجاعة[٥]

قال ابو الطيب

واذا ما خلا الجبان بأرضٍ ، طلب الطعن[٦] وحده ، والنزالا .

---

٣٥ هي الفقرة ٤٨ في ت ، و ٣٠ في ق و ل

١) في ل : تفعل بلا علة

٢) زيادة في ل . وفي ت : على حرارتها ولا على ضوءها . وفي ق : على حرارتها وضوئها .

البيت هو ١٦ من قصيدة في مدح سيف الدولة وذكر نهوضه الى ثغر الحدث (٩٥٥) مطلعها :

ذي المعالي ، فليعلُوَنْ من تعالى ! هكذا هكذا ! والا فلا لا !

(د : ٤٣٤)

٣٦ هي الفقرة ٤٩ في ت ، و ٣٢ في ق و ل

١) في ل : النفس ٢) في م و ل : الحيوان . وفي مم : الهوان

٣) في ل : خلى ٤) لم ترد في ق

٥) في ق : الشجاعة . وفي مم : شجاعته

٦) في ق : الحرب . وفي مم : الطعان .

والبيت هو ٣٢ من القصيدة نفسها (د : ٤٣٦ - الروائع ١٢ : ٥١)

٣٧ قال ارسطو

الغلبة بطبع الحياة ، والمسألة[١] بطبع الموت ؛ والنفس لا تحب ان تموت[٢] ، وكذلك[٣] تحب ان[٤] تأخذ الشيء[٥] بالغَلَبة لا بالمسألة[٦]

[٢١ق]

قال المتنبي

من أطاقَ التماسَ شيءٍ غِلاباً واغتصاباً ، لم يلتمسه سؤالا.

٣٨ قال ارسطو[١]

ثلاثة ان لم تظلمهم ظلموك: ولدُك ، وزوجك ، ومملوكك[٢]. فسبب صلاحهم التعدّي عليهم.

قال المتنبي

من الحِلمِ ان تستعملَ الجهلَ دونَه ،
اذا اتّسعت في الحِلْم[٣] طرقُ المظالِمِ[٤]

---

٣٧ هي الفقرة ٥٠ في ت ، و٣٣ في ل ، و٩٤ في ق .
١) في ت : والمسالة ٢) في ق : فكما ان النفس لا تحب الموت . ولم ترد الجملة كلها في ل . ٣) في ق : فكذلك . وفي ت فلذلك .
٤) في ت : اخذ . وفي ل : ان تحيا وأخذ ٥) في ت وق : الاشياء .
٦) لا بالمسألة : لم ترد في ت .
والبيت هو ٤٦ من القصيدة نفسها (د : ٤٣٧)

٣٨ هي الفقرة ٥٣ في ت ، و٦٧ في ق ، و٦٠ في ل .
١) سقطت في م . ٢) في ت وق ول : ولدك وعبدك وزوجتك .
٣) في ت وق : الظلم . ٤) المظالم : ج . مظلِمة : ما يُتظلّم منه ، المعنى : اذا كان حلمك داعياً الى ظلم الناس لك ، فمن الحِلم ان تعدل الى معاملتهم بالجهل ، وهو هنا ضدّ الحلم.
والبيت هو ٩ من قصيدة في مدح ابن طُغج مطلعها :
انا لائمي ، ان كنت وقت اللوائمِ علمتُ بما بي ، بين تلك المعالمِ.
(د : ٢١٦)

٣٩ قال ارسطو

اذا لم تَصُنْ[1] بالمال ابناء[2] الجنس، وتقتل[3] اعداء النفس[4]، فما المنفعة به ؟[5]

[٢٢ و]

قال المتنبي

لمن تطلب الدنيا، اذا لم تُرِدْ بها سرورَ مُحِبٍّ[6]، او إساءة[7] مجرم؟

٤٠ قال ارسطو

اقبح الظلم حسدك[1] لعبدك الذي تُنعم عليه.

قال ابو الطيب

وأظلمُ أهلِ الظلمِ من بات حاسدًا لمن بات في نعمائه يتقلّبُ

---

٣٩ هي الفقرة ٤٧ في ق، و٦١ في ل. اما ت فلم توردها.

١) في ق: يصن ٢) في مم: ابن

٣) في ق: يقتل به. ٤) في ل: زيادة: فما تضيّعه الأعراض والاغراض.

٥) في ق: بدل « فما المنفعة به ؟ »: فما يُصنع بالاعراض ؟

٦) كذا في ق ول ود. اما م ومم فورد فيهما صديق

٧) في مم ود: مساءة.

والبيت هو ٣٥ من قصيدة في مدح كافور، مطلعها:

فراقٌ، ومن فارقتُ غيرُ مذمَّمِ، وأمٌّ، ومن يمّمتُ خيرُ ميمَّمِ.

(د: ٤٦٧)

٤٠ هي الفقرة ٤٨ في ق. اما ت فلم تذكرها. و ل ذكرت منها البيت فقط في الفقرة ٦٢.

١) سقطت اللفظة في مم.

والبيت هو ٣٣ من قصيدة في مدح كافور (سنة ٩٥٨) مطلعها:

اغالب فيك الشوقَ، والشوق أغلبُ، وأعجب من ذا الهجر، والوصل أعجبُ.

(د: ٥٠٦)

٤١ قال ارسطو[1]

أيّام الحياة لا موتَ[2] فيها، كما ان ايام المصائب لا بقاء فيها.

[٣٣ق] قال المتنبي

لا تلقَ دهرَكَ الّا غيرَ مكترثٍ ما دام يصحب فيه روحك البدنُ.

٤٢ قال ارسطو

الايام لا تُديم الفرح ولا[1] الترح، والاسف على الماضي تضييعٌ للعقل[2] لا غير

قال المتنبي

فما يديم سرورٌ[3] ما سررتَ به، ولا يردّ عليك الفائتَ الحزَنُ.

---

٤١ هي الفقرة ٤٩ في ق و٦٣ في ل، الّا ان هذه النسخة اوردت حكمة لا توافق البيت وهي: «اعجز العجَزة من قدر ان يُزيل العجز عن نفسه فلم يفعل.» وقد اعادتها في الفقرة ٦٦ منها كما سيأتي. اما ت فلم تورد الفقرة. واما مم فاوردت الحكمة التي توافق البيت في الفقرة التالية، ٤٣، واوردت في ٤١ حكمة الفقرة ٤٢.

١) ورد في م: قال المتنبي. ٢) في ق: لا خوف.

والبيت هو ٣ من القصيدة التي قالها في مصر، اذ اتصل به ان قوماً نعوه في مجلس الدولة، ومطلعها:

بِمَ التعلّلُ، لا اهلٌ، ولا وطنُ، ولا نديمٌ، ولا كأسٌ، ولا سكنُ؟

(د: ٥٠٨)

٤٢ هي الفقرة ٥٠ في ق. اما ت فلم توردها، واما ل فاوردت الحكمة وحدها مع بيت لا يطابقها في الفقرة ٦٤.

١) في ل: سقطت لا. ٢) في ل: العقل. وفي ق للعمر.

٣) سرور: كذا في ق ود. اما في م ومم فورد: فما تديم سروراً.

والبيت هو ٤ من القصيدة نفسها (د: ٥٠٨)

٤٣ قال ارسطو

العشق ضرورة داخلة على النفس، والعاشق[1] جاهل بتلك الضرورة الداخلة عليه[2]

[٣٦و] قال ابو الطيب

مِمّا اضر باهل العشق أنهم
هَوُوا، وما عرفوا الدنيا، وما فَطِنوا

٤٤ قال ارسطو

من صحة السياسة أن يكون الانسان مع الايام، كلما اظهرت سُنَّةً عمل فيها بحسب السياسة.

قال المتنبي

كلما انبت الزمانُ قناةً، ركّب المرءُ في القناة سِنانا.

---

٤٣ هي الفقرة ٥١ في ق، و٦٦ في ل، اما ت فلم تذكرها.
١) في ق: والانسان ٢) الداخلة عليه: لم ترد في ق.
والبيت هو ٥ من القصيدة نفسها (د: ٥٠٨)

٤٤ لم تذكرت هذه الفقرة، ولا ذكرتها ل، اما ق فهي فيها ٥٢ الا ان حكمتها وردت مخالفة لما ذُكر في م ومم، فأتت على الوجه التالي:
«كلما اظهرت الايام قناةً، عمد الانسان لها حسب الطاقة سِنانًا.»
والبيت هو ٥ من قصيدة قالها بمصر مطلعها:
صحب الناسُ قبلنا ذا الزمانا، وعَناهم من شأنه ما عنانا.
(د: ٥١١ – الروائع ١٢: ٤٦)

٤٥ قال ارسطو

اتعبُ الناس من قصّرت مقدرته، واتّسعت مروّته[١]

[٣٥ق] قال ابو الطيب

واتعبُ خَلْق الله مَن زاد همُّهُ، وقصَّر عمَّا تشتهي النفسُ وَجْدُهُ.

٤٦. قال ارسْطو

أعظمُ الناس محنةً[١] من قلَّ مالُه، وعظُم مجده[٢]؛ ولا مالَ لمن كثُر مالُه، وقلَّ مجده.

قال ابو الطيب

فلا مجدَ في الدنيا لمن قلَّ مالُه؛
ولا مالَ في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ..

---

٤٥ هي الفقرة ٥٩ في ت، و٤٣ في ق، و٤٩ في ل.
١) وردت الحكمة في ق على الصورة التالية:
«أتعب الناس من بعدت همّته، واتسعت معرفته، وضاقت مقدرته.»
والبيت هو ٩ من قصيدة في مدح كافور مطلعها:
أَوَدُّ مِنَ الايام ما لا تَوَدّه وأشكو اليها بيننا، وهي جنده.
(د: ٤٨٧ – الروائع ١٢: ٣٧)

٤٦ هي الفقرة ٦٠ في ت، و٤٤ في ق، و٥٠ في ل.
١) الناس محنة: سقطت في ل.
٢) هنا تنتهي الحكمة في ق.
والبيت هو ١٢ من القصيدة المذكورة (د: ٤٨٧ – الروائع ١٢: ٣٧)

٤٧ قال ارسطو

بالغريزة يتعلّق الأدب، لا بتقادم الميلاد[1].

[٣٦ر] قال ابو الطيب

وإذا الحلمُ لم يكن عن طباعٍ، لم يُحَلِّم[2] تقادُمُ[3] الميلادِ

٤٨ قال ارسطو

الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالاجسام.

قال المتنبي

أُصادِقُ نفسَ المرءِ من قبل جسمه، وأعرفها من[1] فعله والتكلّمِ

---

٤٧ هي الفقرة ٤٥ في ق، و٥١ في ل. اما ت فلم تذكرها.
١) في ق ول: السنّ
٢) لم يُحلّم: كذا في م ومم وق ول، اما في د فورد: لم يكن عن
٣) في ق ول: تقدّم.
والبيت هو ١٣ من قصيدة في كافور مطلعها:
حسم الصلحُ ما اشتهته الاعادي وأذاعته ألسُنُ الحسّادِ.
(د: ٤٩٩ – الروائع ١٢: ٥٠)

٤٨ هي الفقرة ٤٦ في ق، و٥٢ في ل. اما ت فلم تذكرها.
١) في ل ود: في
والبيت هو ١٠ من قصيدة في مدح كافور، ورد ذكرها في الفقرة ٣٩.

٤٩ **قال ارسطو**

كلّ ما[١] كان[٢] له أوّل تدعو[٣] الضرورة [الى][٤] ان يكون[٥] له آخر[٦].

[٣٢ق]

قال ابو الطيب

إنعمْ ولَذّ، فللأمورِ أواخرٌ ابدًا، اذا[٧] كانت لهنّ اوائلُ.

٥٠ **قال ارسطو**

النفوس المتجوهرة[١] تترك[٢] الشهوات البهيميّة طبعًا لا خوفًا.

قال ابو الطيب

وترى الفُتوّةَ، والمُرُوّةَ[٣] والأبُوّةَ في[٤] كلّ مليحةٍ ضرّاتِها[٥]؛

هنّ الثلاثُ المانعاتي لذّتي

في خلوتي، لا الخوفُ[٦] من[٧] تَبِعاتِها.

---

٤٩ هي الفقرة ٥٦ في ت، و٦٨ في ق، و٥٣ في ل

١) في م ومم وت ول: كلّما ٢) لم ترد في ت وق ول

٣) في م ومم: تدعوه. ٤) زيادة في ت وق ول

٥) لم ترد في ق ٦) في ل: آخرًا.

٧) في ق: كما.

والبيت هو ١٢ من قصيدة في مدح القاضي احمد بن عبدالله بن الحسين الانطاكي، مطلعها:

لكِ، يا منازل، في القلوب منازلُ، اقفرتِ انتِ، وهنّ منك أواهِلُ.

(د: ١٨١)

٥٠ هي الفقرة ٥٥ في ت، و٦٩ في ق، و٥٦ في ل

١) في ت: المجوهرة ٢) في ت: تشرك.

٣) في د: المروّة والفتوّة. وفي ت الفتوّة والابوّة والمروّة.

٤) في ت: عند ٥) لم تذكر ت ول الّا هذا البيت.

٦) في ق: الاثم ٧) في م: في.

والبيتان هما ٨ و٩ من قصيدة في مدح احمد بن عمران، مطلعها:

سِربٌ محاسنه حُرمتُ ذواتها داني الصفات، بعيدُ موصوفاتها (د: ١٦٠)

٥١ قال ارسطو

اذا لم تتصرف النفس[١] في شهواتها ومراداتها[٢]، فحياتها موت ووجودها عدم.

[٣٨و]

قال ابو الطيب

ذلُّ من يغبط الذليل بعيشٍ، رُبَّ عيشٍ أخفُّ[٣] منه الحِمامُ!

٥٢ قال ارسطو

الفرق بين الحلم والعجز أنَّ الحلم لا يكون الّا عن قدرة، والعجز لا يكون الّا عن ضعف. فليس للعاجز ان يُسَمَّى[١] باسم الحليم، وهو عاجز[٢]

قال المتنبي

كلُّ حلمٍ أتى بغير اقتدارٍ حُجَّةٌ لاجئٌ[٣] اليها اللئامُ.

---

٥١ هي الفقرة ٢٤ في ت و٧٠ في ق، و٥٥ في ل.

١) في ق ول: النفوس.

٢) في ق ول: مرادها وورد هذا المقطع الاول في ت كما يلي: «اذا لم تتصرف عن النفس شهواتها ومرادها». ٣) في ل: الذّ.

والبيت هو ٤ من قصيدة في مدح ابي الحسن المري الخراساني، مطلعها:

لا افتخارٌ الا لمن لا يُضامُ مُدركٍ، او مُحاربٍ لا ينامُ

(د: ١٦٣ – الروائع ١٢: ٤٧)

٥٢ هي الفقرة ٢٥ في ت، و٧١ في ق، و٥٦ في ل.

١) في ت وق: يتسمّى. ٢) وهو عاجز: لم ترد في ل.

٣) في ت: تلتجى.

والبيت هو ٦ من القصيدة المذكورة (د: ١٦٣ – الروائع ١٢: ٤٨)

كنيسة شامات

صفحات تاريخية أثرية

بقلم الخوري يوسف العشيتي المرسل البطريركي

١

توطئة

اتيح لي ان ازور معظم القرى والاماكن في الابرشيـة البطريركية لاسباب اقتضتها مهنتي . وشدّ ما كان سروري وارتياحي لدن شاهدتُ ما تركه الاقدمون من الآثار الجليـلة ، فكنت اودع مفكرتي بعض ما استحسنه من تراث الاجداد ، وبعض ملاحظات تتعلق بتاريخ البلاد .

ساعدني الحظ هذه المرة ايضاً ان ازور كنيسة شامات الاثرية وألقي عظات الرياضة الروحية فيها بايعاز سيادة النائب البطريركي، المطران بولس عقل ، الذي كان يتقدم الجميع بالمجيء الى الكنيسة لاستماع الارشادات في الاوقات المعيّنة، فكان وجوده بيننا افضل الارشاد، وكان لمثله أشد تأثير في القلوب. واما اقبال القوم على استماع الارشادات من اهل شامات والقرى المجاورة كحصارات وعبادات والراموت الخ فاجاهر به وافاخر بحماسة ابناء قومي وحسن تديّنهم .

لا اشاء هذه المرة ان امرّا بهذه الكنيسة الاثرية دون ان اقول كلمتي فيها ، بعد ان أبدت يدُ الحفر في داخلها وخارجها ما كنا نعتقده من عظم امرها وخطورة شأنها .

بينا كان العملة يحفرون مدفناً للحسنة الذكر سعدى عقل ، والدة سيادة المطران بولس عقل ، داخل الكنيسة ، عثروا على قطعة فسيفساء ، واعمدة كبيرة

ذات اطناف ، واشياء اخرى تتدرّج في الكلام عنها . مع ذكر ما اجرته يد الاصلاح من التجديد والترميم داخل الكنيسة وخارجها ، اثر الحفريات التي عني بها سيادة الموما اليه الذي انفق المبالغ في سبيل هذا المشروع .

انما يحسن بنا قبل الشروع ان نضع مقدمة صغيرة في تعريف القرية المذكورة تمهيدًا ، وذكر نتفة من تاريخها ، وبيان قدمها

١

موقعها

على اكمة مرتفعة مطلقة جهاتها الاربع . لم يحتلها الاقدمون الا لما امتازت به من مناعة موقعها وبسطته واشرافه وطيب مناخها . وهي وسط بلدان اخرى لا تقلّ عنها شأنًا في قدمها ، وما كان من امرها فيما مضى . ذات صيغة واحدة في تسميتها كحصارات ، وعبادات ، ومجديدات ، وفي كل هذه الامكنة آثار تدلّ على اهمية مراكزها في عهدها .

قال رينان في بعثته الفينيقية : « واذا رقينا الى اواسط البلاد ، فوق عمشيت ، رأينا ايضاً خرائب الهياكل الوثنية الكثيرة التي اقام على انقاضها الشعب المسيحي المعابد المسيحية . من هذه الخرائب كنيسة شامات التي تبعد عن عمشيت ساعة ونصف . وهي كنيسة مزدوجة فيها آثار هيكل روماني من الطرز اليوني (*ionique*) تشير اليه عُمُده من الداخل . ويعلو بابَي الكنيسة عتبتان : الاولى قطعة ناووس « بسيط » ، والاخرى قطعة ناووس ايضاً حفر فيها رأسا عجل تحيط بهما اكاليل من اوراق الغار . ومذبحا الكنيسة احدهما على اسم القديسة تقلا ، والآخر على اسم القديس اسطفان .

« وبالقرب من كنيسة شامات كنيسة اخرى على اسم القديس ماما ، والقديس ادنا ، وهي مبنية ايضاً على انقاض هيكل وثني . وحول هذه الكنيسة قطع اعمدة وتماثيل وخرائب كثيرة ، مما يُنبئ عن اهمية هذا المحل في القرون الخالية »[1]

(1 Renan, *Mission de Phénicie*, p. 233-234.

ومما زاد هذه البلاد في الاعصر الخوالي حسناً وبهاء غاباتها الكثيفة . فكان حول كل هيكل او معبد طائفة من الاشجار الباسقة تظلله باغصانها الوارفة وتكلله بازهارها العطرة.

٢

اسمها

كثيرة هي الاعلام التي لم يستقص عنها الاثريون في البحث والتنقير ولم يعرها البحاثة نظرة . او انهم لم يهتدوا لمعرفة اصلها وسبب تسميتها . ومن عداد هذه الاعلام شامات ، فلم يرد لها تعليل او مخرج ممن كتبوا عن هذه البلاد ، ولا في معجم الاعلام ايضاً ؛ الّا العلامة لامنس فقد ذكرها في اثناء كلامه عن النتائج التاريخية من درس اعلام الاماكن اللبنانية في كتابه تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار [١] قال :

« كنا الى اليوم نشتبه بوجود الهة كان الآراميون يؤدّون لها اكراماً خصوصياً ويدعونها شيما . وقد استلفت اليها الانظار بمقالاته حضرة الاب سبستيان رنزقال ، فقد اكتشف بجذقه المعروف اسم هذه الالهة في كفرشيما قريباً من بيروت ، وبيت شاما ، على طريق زحلة الى بعلبك ، وشامات في بلاد جبيل . ونحن نضيف الى ما تقدم اسم بعلشميه في المتن الاعلى . فهذا الاسم الذي يبدأ ببعل هو عندنا من اغرب الاسماء الاولية والاصلية في لبنان . »

ولا باس هنا من ذكر ما جال في الخاطر من امر هذه التسمية ولو على سبيل التخمين والحدس . فلعلّ في ذلك ما يفطّن البحّاثة والرحّالة الاثريين الى ما لم نفطن نحن له ولم يدر في الخلد ، فالحقائق هي بنات البحث والتنقيب.

من البيّن ان كثيراً من اسماء الاعلام لم تبقَ على اصلها بسبب ما عراها من تحريف وتصحيف وتغيير وتبديل ، وعليه اضع هذه التسمية موضوع البحث تاركاً الكل حكمه في امرها.

اذا كان شيما احد آلهة الارامين ، ومنها اتخذ اسم شامات كما ذكر الاب

١) جزء ٢ ، ص ٢٤١.

العلّامة لامنس ، فلا يبعد ايضاً ان يكون اتخذ اسمها من شهار العبرية الاصل بابدال الراء تاء ، كما يحدث في اسماء الاعلام ، ومعناها المرصد ومكان الحراسة والمراقبة مما يطابق موقع هذه القرية لارتفاعه وتسلطه.

وفي نشرة سان لويس الفرنسية ، العدد ١٠٨ سنة ١٩٠٥[1] ان قد اكتشف في دير القلعة في بيت مري كتابة يونانية لاتينية تبيّن عبادة اهل سورية وعلى الخصوص سكان دير القلعة الفينيقيين لابنة جوبيتر المدعوة شيما.

ويستنتج الباحثون من هذا الاكتشاف انتشار عبادة ابنة جوبيتر في الاقطار اللبنانية ككفرشيما ، وبيت شاما ، وشامات الخ.

أو من شامَ اي تطلّع نحوه . او من الشامة اي الناقة السوداء ، او الاثر الاسود في الارض. او من ܫܡܥܬܐ السريانية : سنبلة الذرة ، وكبة الغزل . او مما يتناقله اهل شامات واهل الجوار صغارهم عن كبارهم:

زعموا انه كان لملك بيبلوس ابنان احدهما يدعى شاه والآخر اسمر . وابنة تدعى حصن . فاسمر وهو الاكبر سكن اسمر جبيل « سمار جبيل » فدعيت باسمه . وشاه وهو الاصغر سكن شامات ودعيت باسمه . وحصن سكنت في قصر على اكمة تجاه قصر اخيها شاه ودعي محل سكنها حصن عار لارتكابها امرًا منكرًا جرَّ عليها عارًا.

اما شاه فمرض مرضاً ثقيلاً فأودى . ولم يجسر احدٌ ان يخبر اباه بموته ، لانه كان سيء الخلق غليظ الطبع . فاتفق يوماً ان فاوض هذا الملك احد وزرائه بشأن ابنه شاه. فاجابه هذا على الفور ، وكان حادّ الفؤاد لطيف الروح:

هبَّ النسيم على المصباح فانطفأ

فقال له الملك هل ابني شاه مات ؟ فقال له الوزير انت قلت ايها الملك . ومن ذاك العهد دعيت شامات باسمها الحالي . ولا نتحرى هنا سرد اخبار وقصص الاقدمين فلكلّ جيل احاديثه وتقاليده يتناقلها الخلف عن السلف . بعضها لها اصل كالنواة من الشجرة ، وبعضها مختلقٌ اختلاقاً.

(١ *Bulletin St Louis, N° 108, 1905.*

٣

قدمها

شأن هذه البلدة الصغيرة الآن شأن غيرها من هذه البلاد . كانت قديماً موطناً لامم كثيرة توالت عليها كالفينيقيين والرومانيين واليونانيين والمصريين الذين تملكوها في عهد السلالة الثانية عشرة . ثم ثبت ملكهم عليها في عهد رعمسيس الثاني ، الذي نرى كتاباته في صخور مضيق نهر الكلب . وغيرهم من الامم كما تؤيد ذلك اخبار تلك القرون ، وتدل على بعض هذه الامم آثارهم الباقية الى اليوم كآنية خزفية وزجاجية محطمة ، وانقاض وردوم وخرائب ونواويس وقبور محفورة في الصخور ، وآبار كثيرة نحو ٥٠٠ بئر ، واعمدة ، ومساند ابواب ، وحجارة كبيرة محكمة النحت مبعثرة . وقد عثر العملة على هيكل عظمي تناهى في كبره فبلغ نحو مترين و ١٠ س . كما ترى في الرسم الاول.

اما المسكوكات النحاسية وقطع الآجر فقد وجد منها كثير ، عند تشييد منازل اهل القرية، كما يروي شيوخها فلم يكونوا يحفلون بها ولم يقيموا لها وزناً لعدم معرفتهم قيمتها ، فذهبت ضحايا جهلهم . كما انهم لم يكونوا يفطنون للكتابات على الصخور فنحتوا البعض وعدّلوه للبناء،وتركوا البعض عرضة لعوامل الجو فطمست آثار الكتابة فيه.

ولا نتوخى بهذه العجالة كتابة تاريخها حتى نتدرّج في الكلام بالتفصيل عنها. انما يهمنا من امرها ما يتعلق بموضوع بحثنا اي كنيستها وقدمها ، وآثارها؛ وعليه نتكلم بالاجمال عن عهد تنصرها.

مما لا مرية فيه ان عهد تنصر اللبنانيين يرتقي الى الاجيال الاولى ، ولاسيما سكان السواحل الفينيقية كجبيل ، وبيروت ، وطرابلس الخ كما حقق ذلك بباجيوس في تأليفه سورية المقدسة ، ولاكوين في الشرق المسيحي . واول اسقف على جبيل كان يوحنا مرقس سقفه القديس بطرس ، زعيم الرسل ، كما تشهد على ذلك السنكسارات الشرقية اليونانية ، والسريانية المارونية ، والكلندار الروماني ، حيث يذكر في ٢٧ ايلول استشهاد القديس يوحنا الملقب مرقس

اسقف جبيل في فينيقية . ولاكرام هذا القديس بُنيت كنيسة جبيل الكبرى.

وفي « سورية المقدسة » انه كان في جبيل هيكل بيزنطي قديم تكرّم فيه ايقونة عجائبية لسيدتنا مريم العذراء ورد ذكرها في اعمال المجمع الرابع الخلقيدوني ، ولعلها اليوم ايقونة سيدة البوابة العجائبية.

ولما كانت بيبلوس المدينة المقدسة لدى شعوب تلك العصور ، كانوا يحجون اليها من الاقطار البعيدة مرات في السنة للتيمّن بزيارتها كما تدل على ذلك آثار هياكلها الفخمة ، التي توفق علماء الآثار في اكتشافها ولم يزالوا حتى الآن يواصلون التنقيب عنها ، ولاسيما اهل الجوار كشامات وعبادات وبجديدات وغيرها ؛ لما بين جبيل والاماكن الاخرى من العلائق المدنية ايضاً التي لا يمكن الاستغناء عنها.

فقد كانت هذه المدينة منشأ لكثير من الصنائع ، ولاسيما نسج الكتان والحرير ، وصنع الزجاج ، والادوات والاواني البيتية ، وكل ما يحتاج اليه الفرد من ضروريات المعيشة . وايراد البضائع وتصديرها الى الخارج كما ذكر ذلك رينان في بعثته الفينيقية ، ص ١٥٤ .

وهل يعقل ان يلبث اولئك بضلالهم ، اي على معتقدهم الوثني ، دون ان يدينوا بدين مُواطنيهم ورؤسا الامّة او يهتدوا بهديهم بعد ان رأوا من جهاد ابناء جلدتهم في تسجيل حقيقة ايانهم بدمائهم ما يقنعهم بصدق معتقدهم ؟ كاستشهاد لوسيوس ، وتوادوروس ، واكويلينا احدى عذارى جبيل التي قصفها المتصبون كغصن رطيب ، وليس لها من العمر سوى ١٢ سنة. وقد اخبر البولنديون في اعمال القديسين ، في اليوم الـ ١٣ من حزيران ، ان نصارى المدينة جمعوا ذخائرها المقدسة ودفنوها بزيد الاكرام . ثم تعدّدت العجائب على قبرها[1] ويقال ان اهلها من جبيل نصّرها اسقفها اوثاليوس، وهي حديثة السن ، فاضطرم قلبها حبًّا بربها واخذت تدعو مواطنيها الى الايمان المسيحي . فبلغ ذلك مسامع الحاكم ثولوسيان ، فأخذ يلاطفها اولًا لتجحد دينها . واذ يئس اخيرًا من اقناعها ، امر بقطع رأسها . وهكذا قاست الشهيدة الموت الاحمر في سبيل ايمانها وذلك سنة ٣٠٨ .

١) الاب لامنس في تأليفه: « تسريح الابصار » جزء ١ ، ص ١٠٥ .

ومجمل القول ان النصرانية اخذت في الانتشار منذ اوائل القرن الثـاني ، وما لبثت ان ظفرت بصبر ابطالها على كل المصاعب ، ودخلت في طور جديد تتدرّج بمدارج التقدم والانتصار ، حتى قضت اخيرًا على الوثنية وظهرت وحدها منار الانسانية ومرجع سعادتها وراحتها.

٤

بطريركها

تشرفت شامات بحبر من احبار الكنيسة الاجلّاء ، السعيد الذكر ، دانيال الاول ، خلف بطريركنا القديس ارميا العمشيتي. ساس هذا البطريرك الكرسي الانطاكي ، بدراية وحكمة عجيبتين.

ورد في المجلة البطريركية ، لمديرها ورئيس تحريرها صديقنا الفاضل الخوري بولس قرألي ، جزء اذار من هذه السنـة ، ص ١٦٠ : تابع زجلية المطران جبرائيل القلاعي: « وكان البطريرك يومئذٍ يسمى دانيال اصله من قرية شامات راهب من رهبـان وادي علمات وله في قرية رامات قرايب فاخـذوه الى عندهم لمظم الفـتن واسكنوه قربهم في دير مار قبريانوس كفيفان ٠ انتخب البطريرك دانيال الاول سنة ١٢٣٠ بعد وفاة الاب القديس البطريرك ارميـا العمشيتي في دير سيدة ميفوق في وادي ايليج من ابرشية جبيل ٠ ثم ترك دير سيدة ميفوق لاضطراب حبل الامن فيها بسبب الحروب والفتن في ذلك العهـد وسكن دير كفيفان ٠ ثم انتقل من دير كفيفان الى دير مار يوحنا مارون في كفرحي ٠ وفي سنة ١٢٣٦ سكن في دير مار جرجس الكفر الذي يبعد عن شامات مسقط رأسه نصف ساعة ٠ ثم سكن في دير سيدة هابيل ٠ ومنها رجع الى دير مار قبريانوس كفيفان حيث توفي براحة القداسة سنة ١٢٣٩ ٠ وخلفـه البطريرك يوحنا الجاجي [1].

١) ان بطاركة طائفتنا ، قبل ان جعلوا سكنام في دير قنوبين ، غيّروا مواضع كراسيهم حسب مقتضيات الزمان. لكنّهم اتخذوا اخيرًا دير سيدة بكركي كرسيًا لهم في الشتاء ، والديمان مقرًّا في الصيف.

ففي سنة ٦٨٥ للميلاد الالهي ، كان الكرسي البطريركي في دير القديس مارون في قرية

٥

كنيستها

كان محل هذه الكنيسة هيكلًا وثنيًا ، شأن الاقدمين في تشييد معابدهم على رؤوس الروابي والاكام ، وامام مخارج المياه كهيكل افقا وسيدة ايليج في ميفوق الذي حوّله مسيحيو الاجيال الاولى الى معبد مسيحي كما حوّلوا غيره من الهياكل الوثنية ، من عهد الملك قسطنطين الذي امر بهدم جميع الهياكل الوثنية في هذه البلاد واقامة المعابد المسيحية على انقاضها . وهذا ما دعا المسيحيين في ذلك العهد الى السكنى في الجبال ، حيث انشئت تلك المعابد . وحسبنا شاهدًا على ما تقدم بيانه ما ذكره الكتاب المقدس عن بني اسرائيل : « واقاموا لهم انصابًا وغابات على كل اكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء . »[1]

(لها صلة)

كفرحي ، من اعمال البترون . ثم نقل الى سيدة يانوح ، من اعمال بلاد جبيل ، حيث استمر الى سنة ١١٢٠ . ومن هناك نقل لثالث مرة الى دير سيدة ميفوق ، في وادي ايليج ، من اعمال بلاد جبيل ايضًا . ونقل لرابع مرة الى دير مار الياس لحفد ، من اعمال بلاد جبيل ايضًا . وفيه استقر يوحنا اللحفدي صاحب الناقور المعروف باسمه ؛ وهو الذي نقل الكرسي لخامس مرة الى دير سيدة هابيل من ابرشية جبيل عينها . ثم انتقل لسادس مرة الى دير سيدة يانوح ، في عهد رئاسة بطريركنا القديس المشيتي سنة ١٢٠٩ ، وهو الذي ارسل له البابا زخيا الثالث تلك الرسالة المشهورة التي يسمي فيها الكنيسة البطريركية كنيسة يانوح ويعدد الكراسي التابعة لها (راجع مشرق هذه السنة ص ٢٧٠) .

ثم انتقل لسابع مرة الى دير القديس قبريانوس في كفيفان . وهناك جلس البطريرك دانيال الشاماتي الاول خليفة المشيتي القديس ، ونقل الكرسي لثامن مرة الى دير القديس مارون في كفرحي . ومنه لتاسع مرة الى دير القديس جرجس في الكفر من ابرشية جبيل القريبة من مسقط رأسه شامات .

ثم انتقل عاشر مرة الى دير سيدة يانوح ، وهناك اقام يوحنا خليفة البطريرك دانيال . ثم انتقل للمرة الحادية عشرة الى دير سيدة ميفوق ، وهناك اقام البطريرك جبرائيل حجولا الذي توفي شهيدًا .

ثم انتقل للمرة الثانية عشرة الى دير القديس سركيس في حرصين ، من ابرشية طرابلس . واخيرًا انتقل للمرة الثالثة عشرة الى دير سيدة قنوبين ، من اعمال طرابلس .

١) سفر الملوك الرابع ١٧ : ١٠

الحِيَل والمخارج

في الفقه الاسلامي

بقلم الاب لامنس اليسوعي

يمكننا القول ، دون مجازفة ، ان نصف المسلمين السنّيين يتبعون مذهب الامام ابي حنيفة . وهو اكثر المذاهب الاربعة ميلًا الى التساهل والتوسيع . اذ انه يجعل للرأي والاساليب النظرية مركزًا مهمًا بين اصول الشريعة ، لا تجعله لها المذاهب الباقية . والمذهب الحنفي يمتاز منها خصوصًا بدقّته في درس جميع المخارج من الصعوبات ، وجميع الحلول المخلِّصة الانسان من الاثم ، وبميله الشديد الى التعمق في شرح مشكلات الضمير ، وكلها امور على غاية من الدقة والصعوبة يدعوها فقهاء المسلمين بكلمة واحدة هي « الحِيَل » . وقد اشتهر ابو حنيفة في هذا الفن اشتهارًا عجيبًا حتى قيل انه لم يكن من صعوبة الا وجد لها مخرجًا ، ولم يكن من مشكل الا وجد له « حيلة » ، ويذكر عنه مؤرخو الفقه من حلول المشاكل ما يجاور الغرائب احيانًا وينحطّ الى المهازل والمضحكات احيانًا اخرى ، من ذلك الحادثة الآتية التي اثبتها الامام السرَخسي ، من اشهر مريدي ابي حنيفة ، ونحن ، لولا هذا ، لما ذكرناها لانها اجدر بنوادر «الف ليلة وليلة» منها بحوادث الفقهاء . على ان حياة ابي حنيفة ، كما شاء التقليد ان يمثلها ، غنية بامثال هذه الحادثة ، وها هي كما اثبتها السرَخسي عن الخصّاف [1]

« ان بعض من كان يتأذّى منه ابو حنيفة ، رحمه الله ، جرى بينه وبين زوجته كلام ، فامتنعت عن جوابه . فقال : « ان لم تكلّميني الليلة ، فانت

١) كتاب المخارج في الحِيَل الموصوف في هذا المقال ، ص ١٢٥ .

طالق » . فسكتت وامتنعت عن كلامه . فخاف ان يقع الطلاق ، اذا طلع الفجر . فطاف على العلماء ، رحمهم الله ، في الليل ، فلم يجد عندهم في ذلك حيلة. فجاء الى ابي حنيفة ، رحمه الله ، وذكر له ذلك . فقال : « هلّا اتيت استاذك ! » فجعل يعتذر اليه ويقول : « لا فرج لي الا من قبلك . » فذكر انه قال له : « اذهب فقل للذين حولها من اقاربها : « دعوها فماذا اصنع بكلامها ، فانها اهون عليّ من التراب » وأسمعها من هذا ما تقدر . » فجاء . وقال ذلك حتى ضجرت ، وقالت : « بل انت كذا وكذا . » فصارت مكلّمة له قبل طلوع الفجر ، وخرج من يمينه .

« وهذه الحكاية اوردها في مناقب ابي حنيفة ، رحمه الله ، وقال انه قال للرجل: « ارجع الى بيتك حتى آتي بيتك فاتشفع لك . » فرجع الرجل الى بيته . وجاء ابو حنيفة ، رحمه الله ، في اثره ، وصعد مئذنة محلته وأذّن . فظنت المرأة ان الفجر قد طلع ، فقالت : « الحمد لله الذي نجاني منك . » فجاء ابو حنيفة ، رحمه الله ، الى الباب ، وقال: «قد برّت يمينك ، وانا الذي أذّنت ، أذان بلال ، رضي الله عنه ، في نصف الليل . »

وقد عمل على نشر هذه الطريقة ، طريقة ابي حنيفة († ٧٦٣) ، تلميذه ومريده القاضي ابو يوسف المشهور ، مستشار الخليفة هرون الرشيد ، ثم تلميذ ابي يوسف الامام محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ٨٠٥ [١] ، صاحب كتاب « المخارج في الحيل » . وهو تأليف نفيس نشر مؤخرًا [٢] بعناية الدكتور يوسف شخت ، الاستاذ في جامعة فريبورغ من المانية ، مُردفًا برواية بل بشرح مقتطف من « كتاب المبسوط » للفقيه الشهير محمد بن احمد بن ابي سهل السرخسي المعروف بشمس الائمة والمتوفى سنة ١٠٩٠ .

وكتاب الشيباني تأليف مهمّ لقدمه وشهرة صاحبه [٣] . ولم تحُلْ صحة

١) راجع في ما خص الشيباني وآثاره تاريخ الادب لبروكلمان :
Brockelmann, *Geschichte der arab. Litteratur, I, 171...*

٢) في مكتبة هنريخ (Hinrich) ليبسيك ، ١٩٣٠ ، في ١٤١ صفحة متوسطة

٣) راجع ، في ما خصّ هذه الشهرة ، المقدسي : احسن التقاسيم ، ص ٢٢٨

نسبته من شكّ ، الا ان الامام السرخسي ، فخر المذهب الحنفي ، دافع عن نسبة الكتاب ، فبدّد الشكوك بما لا مزيد عليه من دقة ووضوح. وذلك ان الحِيَل من اختصاصيات فقهاء المذهب الحنفي ، وكل ما ورد في كتاب المخارج يدلّ دلالة واضحة على طرق هذا المذهب . فضلًا عن ان اسمي ابي حنيفة وابي يوسف يردان في كل صفحة تقريباً. والنتيجة ان الكتاب قديم بدون شكّ ، واننا لا نرى مبرّرًا للشكّ في صحته وفي نسبته الى الشيباني. اما الناشر ، الاستاذ شخت ، فقد نشر سابقاً كتابين في الحِيَل ، وعرف بعدة ابحاث ايضاً في الامر نفسه [1] حتى غدا اختصاصياً في الموضوع .

* * *

يهتمّ الامام السرخسي ، مستنداً الى امثلة واردة في القرآن ، بان يبرهن عن جواز الحِيَل [2] . ولا يخفى ان الحيل تُفسح المجال واسعاً لما يُدعى بالتقييدات الذهنية او العقلية ، وبمعاريض الكلام . على ان الصعوبة في تعيين النقطة التي تنتهي عندها هذه التقييدات او المعاريض ويبدأ الكذب الصريح ، كما يظهر في « الحيلة » الآتية مثلًا : [3]

« واذا اراد الرجل ان يغيب ، فقالت له امرأته: « كلّ جارية تشتريها فهي حرّة حتى ترجع الى الكوفة » ، ومن رأيه ان يشتري جارية ، كيف يصنع ؟ قال : « اذا حلّفته بهذه الصفة ، يقول : « نعم » . فيريها بهذه الكلمة أنه حلف على الوجه الذي طلبت ، وهو يعني : نعم بني تغلب او غيره من احياء العرب ، او ينوي بقلبه : واحد الانعام . — فانه يقال نعم ، والانعام هي الابل والبقر والغنم ، قال الله تعالى : والانعام خلقها لكم الآية ؛ فاذا عنى هذا لم يكن حالفاً. » — « فان ابت الّا ان يكون الزوج هو الذي يقول: « كل جارية اشتريها فهي حرّة ؟ » قال: « فليفعل ذلك ، وليعن بذلك كل سفينة جارية ؛ قال الله تعالى : « وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام » ، والمراد السفن. » (اه)

١) من ذلك بحثه الدقيق في مجلة *Der Islam, XV, 211.*

٢) راجع ص ٨٧–٨٨ من الكتاب المذكور .

٣) الكتاب المذكور ، ص ١٢٣ .

ويزعمون ان هناك حديثاً يؤكد ان «كل الكذب مكتوب لا محالة الّا الرجل بامرأته وولده ، والرجل يُصلح بين اثنين ، والحرب فان الحرب خدعة.»(١) ونحن نرى ان الحرب لم ترد في هذا الحديث الا تسهيلاً للاقتناع بتحليل الكذب في الحالتين الاولين ، وهما اجدر بالمناقشة والتحفظ من مسألة الحرب.

ولننتبه الآن الى ان الانسان قد يكون في حالة غضب او غيظ او يأس فيحلف ، عن غير قصد تام ، يميناً غموساً لا يكون له مخرج منها ، ولا يكون له استطاعة البرّ بها . فما يفعل ، وهو بين الحنث والقيام بالمستحيل ؟ في مثل هذا المشكل ، يشعر الحالف بفائدة «حيل» ابي حنيفة التي تأتي فتخرجه من المأزق وتخلّصه من الحنث ومن البرّ معاً ، دون ان يُخطئ بشيء في ظاهر الشرع ، يحلّ له ذلك بشرط ان يُدخل في حلفه «ان شاء الله» فيخرج من يمينه أيّاً كانت ، كما ورد في الصفحة الثانية :« قال: من حلف بطلاق او عتاق فقال : «ان شاء الله» لم يقع طلاق ولا عتاق . فمن حلفَ بشيء من هذه الايمان فقال : «ان شاء الله» فقد برّ ولم يحنث ولا يقع عليه شيء . ومن حلف بنذر او غير ذلك من الايمان المغلّظة فقال : «ان شاء الله» فقد برّ وخرج من يمينه.»

وتحسن المقابلة بين هذا التحفظ والتخريج ، وقول النابغة :

حلفت يميناً غير ذي مَثْنَوِيّة

وكذلك قول جرير :

ولا [خير] في يمينٍ غير ذات مخارمِ (٢)

وقد ألف ابن دريد كتاباً في الكلمات ذات المعنيين لفائدة من اراد الخروج من يمين حلفها تحت الضغط او التأثير .

على ان نظرية الحِيَل لا تلبث ان تتيه في مجال الحلف فتلحق بالافتراضات الغريبة ، كما في هذه الفتاوى :

« قلت : «ارأيت ان كان حلف لا يكسوه قميصاً ابداً» ، فكساه هو ورجل آخر قميصاً ؟ » قال: « لا يحنث » . قلت :« أرأيت ان كان حلف لا يلبس قميصاً

---

١) الكتاب المذكور: ص ٨

٢) نقائض جرير ، ٧٥٤ ، العدد ٣

٣) كتاب المخارج ، ص ٦٥

لفلان ابدًا ، فلبس قميصاً لعبدٍ له ؟» قال ابو حنيفة : « لا يحنث » وقال ابو يوسف : « يحنث . » قلت : « أرأيت الرجل حلف لا يكسو فلاناً ثوباً ، فكسا ابنه او امرأته او عبده او مكاتباً له او مدبّرًا له ، لم يحنث ؟» قال : « لا ! الا ترى انه لو حلف ان لا يبيع من فلان شيئاً ابدًا فباعه من عبده لم يحنث ، وكذلك الهبة بمنزلة الشرى في هذا . »

وقد يصل هذا التدقيق الى مفترضات صبيانية فيصطبغ بصبغة مضحكة كما في هذه « الحِيَل » : [1]

« قلت : « أرأيت رجلًا حلف لا يخرج من باب هذه الدار ابدًا ، كيف الحيلة حتى يخرج ولا يحنث ؟ » قال : « ان شاء صعد حائطاً من حيطان الدار ثم نزل الى الطريق او الى دار اخرى فخرج من باب الدار التي نزل اليها ، ولا يحنث . » قلت : « أرأيت رجلًا قال لامرأته : « انت طالق ، ان خرجت من بيتي هذا » ولا نيّة له ، فخرجت من البيت الى الحجرة ، أيحنث ؟ » قال : لا . »

ولنذكر مثلًا آخر يدلّ ، اكثر من الشروح الطويلة ، على ما في نظرية الحِيَل من التسهيل ، وعلى ما تصل اليه احياناً من الغرائب [2] .

« قلت : « أرأيت رجلًا اخذ لقمة ليأكلها وادخلها في فيه ، فقال له رجل : « امرأتي طالق ثلاثاً ان اكلتها . » وقال آخر : « امرأتي طالق ثلاثاً ان اخرجتها من فيك . » ، هل يكون في هذا حيلة حتى لا يحنث واحد منهما ؟ » قال : « يأكل الذي حُلف عليه بعض اللقمة ويُلقي بقيّتها ، ولا يحنث واحد من الحالفَين . » قلت : « فان لم يفعل . ولكنّ انساناً آخر جاء حتى اخذ اللقمة من في المحلوف عليه ، فاخرجها فالقاها ؟ » قال : « ان القاها ، والمحلوف عليه مطاوع له ، حنث الذي حلف لا يلقيها من فيه ؛ وان اخرجها ، والمحلوف عليه جاهد عليه ان لا يفعل ممتنع بجهده مغلوب على ذلك ، فلا حنث على واحد من الحالفين . »

١) الكتاب المذكور ، ص ٧٠ ٢) الكتاب المذكور ص ٧٥-٧٦

هذا قليل من كثير من تطبيقات نظرية الحيل التي اختص بها الحنفيون

اما الشافعيون فطرحوها ، في اول الامر ، كل الطرح حتى ان البخاري ، وكان من الشافعة ، حرّمها في « صحيحه » بكلام لا يحتمل التأويل . الا انهم عندما نظروا بعد ذلك الى نجاح النظرية وتقدّم المذهب الحنفي ، مالوا عن جفائهم شيئاً فشيئاً ، واخذوا هم ايضاً يؤلفون الرسائل والكتب في الحيل . واما الحنبليون فان مبادءهم المضيّقة لم تكن لتسمح لهم بالاخذ بتسهيلات الحيل ومن ذكرها من مؤلفيهم ابن قيّم الجوزية († ١٣٥٠) فقال انه يمكن الاخذ بالحيل التي تمكن الانسان من الوصول الى غايته الشرعية بطرق قانونية . وهو كلام لا يفيد شيئاً في الموضوع ، بل هو من نحو القول: ان لصاحب الحق ان يطلب حقه بالطرق القانونية . او من نحو ما يعبّر عنه الناس عندما يقولون : « فتح باباً مفتوحاً .» لان الحيل ، من حيث وضعها وتحديدها ، لا تفيد الا من وقع ، عن غفلة او سوء قصد ، في مأزق لا يمكن التخلص منه بالسير على الطرق القانونية العادية ، بل بواسطة « حيل » المذهب الحنفي التي تخرجه غير آثم في ما خصّ مظهر الشريعة ، لا في ما خصّ الضمير . وهنا يجب الاقرار ان مجاميع الحيل ، التي يضعها الفقهاء امام طالبي الاستشارة ، أبعد من ان تعزّز في هؤلاء روح حرّية الضمير ووضوح الافكار ، بل هي غالباً ما تعمل على تعزيز التحفّظ في التعبير عن فكر الانسان الحقيقي تحفظاً يشوبه الرياء في كثير من الاحيان . فهي تجتهد في المحافظة على كلام الشريعة لتمكّن المستفيد من نقض روحها حسبما شاء ، دون ان يأثم في الظاهر .

***

على ان هذا لا يمنعنا من ان نشكر للاستاذ شخت عنايته في منشوراته ، ومساعيه التي تفيد علماء الاسلاميات في الاطلاع على هذا القسم الغريب من الفقه ، ولاسيما اذا كان المنشور، كما هو الاثر الذي وصفناه اليوم، من اقدم الآثار الفقهية منتسباً الى رجل من اشهر فقهاء المذهب الحنفي ، تلميذ ابي يوسف الذي لا يزال ، في تقاليد العامة ، مثال القاضي الفيّاض القريحة ، السريع باعطاء الاحكام الصائبة الغريبة .

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل السادس

بعض رجالها المتوفين

١ً الاب انطونيوس ، اول الحبساء في الرهبانية اللبنانية

ان بكر المحابس التي انشئت في الرهبانية اللبنانيــة هي محبسة القديس بولا ، قرب دير قزحيا . والثانيــة محبسة القديس روكز ، قرب دير مـار بطرس كريم التين . واول من سكن فيهـا من الحبساء ثلاثة توفّاهم الله برائحة القداسة ، وقد عُلّق بشأنهم على روزنامات الاديار التي دُفنوا فيها من الكلمات الوجيزة البليغة ما يُغني عن مُسهب الكلام: « ثلاثة ازهار زيّنت جيد المحابس بل جيد الرهبانية جمعاء . وعطّرت بأريج رائحتها الذكية سماء لبنـان العزيز بل ثلاثة كواكب سطعت في جوّ الرهبانية فزادت في محاسنها وبهائها بسناء . فضائلهم وسموّ قداستهم ... نقدتها يد الله من على موائد المحـابس لترصّع بها حلى السماء الخالدة . »[1]

وقد جاء في تاريخ الرهبانية اللبنانية: « ان اول حبيس اقام في محبسة قزحيا وتوفاه الله فيها هو الاب المغبوط انطونيوس الدلبتاوي اصلاً والباني مولداً » . غير ان صاحب التاريخ المذكور لم يورد شيئاً عن عائلة الناسك ، ولم اتوصّل الى معرفتها من الوثائق التي اطلعتُ عليها . لبس الاسكيم الرهباني سنة ١٧٠٥ من يد الاب العام عبدالله قرإعلي ، في دير مار اليشاع ، وهو في سنّ العشرين

١) القس لويس بليبل: تاريخ الرهبانية اللبنانية ، الجزء الثاني ، ص ٢٣٢

دخل المحبسة باذن الاب العام ، في الثلاثين من عمره . وتوفاه الله في ٤ كانون الاول سنة ١٧٢٥ ، غير متجاوز اربعين عاماً . وقد ذكره الاب توما اللبودي في ترجمة الاب عبدالله قراعلي ، قال : « انطونيوس من دلبتا هذا السعيد جاهد في هذه المحبسة جهاداً هذا مقداره حتى من سيرته تيقنت الرهبان وآمنت فيما خبروا به في بستان الرهبان عن جهاد الاباء الاقدمين وعن الحبساء الاولين وجهاداتهم ومرشدُ هذا السعيد انطونيوس الذي فيما بعد انتقل الى الرب بسيرة مقدسة كان الاب عبدالله قراعلي »[1] . وقد كتب اللبودي عن هذا الحبيس ما كتب لانه عرفه معرفة تامة ، فقد عاشا معاً مدة غير يسيرة في دير قزحيا[2] .

وقد ورد في روزنامة دير قزحيا ، بمناسبة وفاة الاب انطونيوس ، ما يأتي :

« انتقل لرحمة الله القس انطونيوس بن مبارك الدلبتاوي وكان حبيساً في وادي قزحيا وهو اول حبيس توفي من هذه الرهبانية بعد ان اقام في المحبسة عشر سنين قضى منها ست سنين يلازم عمل اليد خارج القلاية في الاوقات المعيّنة من القانون الذي رتّبه المطران عبدالله قراعلي منشئ هذه الرهبانية ، والاربع سنين الأُخر اقام حابساً نفسه حبساً تاماً دون ان يخرج من قلايته الا لتقدمة الذبيحة الالهية في مَعبد المحبسة . واخبر عن وفاته بيومين قبل حلولها ودُفن في المغارة خلف المذبح الكبير في كنيسة الدير . ان دفنه وراء المذبح الكبير دليل على نشاطه وجهاده وتقشفه وقداسته رزقنا الله شفاعته امين »[3] .

---

١) القس لويس بليبل : تاريخ الرهبانية اللبنانية ، الجزء الثاني ، ص ٢٧٢ و٢٧٣ .

٢) ان الاب توما اللبودي قضى في دير قزحيا سني الابتداء ، وفيه لبس الاسكيم سنة ١٧٠٧ ، وبعد ذلك انتُخب رئيساً عاماً سنة ١٧٣٥ ، ومكث في وظيفته هذه الى سنة ١٧٤٢ .

٣) القس بليبل : تاريخ الرهبانية اللبنانية الجزء الثاني ص ٢٢٢ . وبيدي ورقة قديمة هذه حرفيّتها : « في ٤ كانون الاول سنة ١٧٢٥ كانت وفاة القس انطانيوس الدلبتاني الحبيس الناسك المجاهد بعد ان مكث في المحبسة عشر سنين منها ٦ يعمل عمل يد خارج القلاية والباقي مكث في القلاية ما خرج منها قط الا لخدمة الاسرار الالهية ومات موت المترفين في رياسة القس جرجس قشّوع على دير قزحيا بعمر ٤٠ سنة وعرف ساعة موته قبل بيومين ودُفن خلف مذبح قزحيا » .

٢ً يوسف الخوري

هو ابن يوحنا الخوري من عائلة الختوني ، ارسله البطريرك يوسف حبيش سنة ١٨٤١ ، مع فرنسيس ابن الشيخ يوسف ابي جبر الخازن ، الى رومية ليقتبسا العلوم في مدرسة انتشار الايمان . فسافرا بصحبة القس عبدالله الدلبتاوي ، الذي عيّن رئيساً على دير رهبانيته في عاصمة الكثلكة[1] . وقد كتب البطريرك الى الكردينال عميد المجمع المقدس يوصيه بالتلميذين المذكورين قائلا « نرجو من عواطف حنوكم ان تشملوهما بكثير انظاركم وتحيطوهما بوفور غيرتكم الرسولية ليمكنهما ان يقتبسا العلوم اللازمة بتلك الفائدة المطلوبة ويضحيا فاعلين كافيين لخدمة كرم الرب الهنا »[2] . انكب يوسف على الدروس فنجح فيها نجاحاً لفت اليه نظر رؤسائه، غير انه مرض سنة١٨٤٦ مرضاً عضالا حتى اشرف على الموت ، فاعتنى به اساتذته اعتناء جزيلا . ولما صار في دور النقه ، رأى الاطباء انه بسبب اجهاد عقله لا يزال فيه آثار التعب فأشاروا عليه بمغادرة المدرسة والتوجه الى الامكنة الباردة . فشق عليه هذا الخبر لانه كان متعلقاً بالدعوة الكهنوتية، وسافر مرغماً الى لندرة ، باذن رئيس المجمع المقدس، وفتح في عاصمة الانكليز مدرسة كاثوليكية يعلم فيها مَن قصده من الطلبة . وما مضت مدة حتى استدعاهُ رئيس الوزارة البريطانية الشهير ، السر روبرت بيل ، فعهد اليه في تعليم ولده اللغة العربية . وبعد ان امتحن الوزير هذا الغريب ورأى ما يزينه من الصفات الحميدة من نقاوة قلب وتقوى ووداعة أعزّه كثيراً وتعلّق به ، وعرض عليه وظيفة في الحكومة ، فأبى يوسف الا المواظبة على التعليم . وفي سنة ١٨٥٠ وكل اليه الوزير السفر برفقة ولده الى مصر وفلسطين وسورية . وبعد ان جال السائحان في تلك البلدان ، رجعا الى لندرة سنة١٨٥٢ . ففتح المترجم مدرسة ثانية ، وانحرف الى تأليف كتاب باللغة الانكليزية

---

١) سجلات البطريركية المارونية : اوراق البطريرك يوسف حبيش ، عدد ١١٣

٢) سجلات البطريركية المارونية : اوراق البطريرك يوسف حبيش ، عدد ١١١ .

يصف فيه رحلته [1] . ثم سأله اباء جمعية القديس فيلبوس ان يلقي في معهدهم دروساً في فنّ الموسيقى ، فمكث عندهم نحو سنة . وبعدها دخل بيتاً تجاريًا اشتغل فيه نحو سنتين . وفي تلك البرهة كلها لم ينفكّ يتبصّر في دعوته ويبحث عنها ، الى ان اقنعه مرشدوه بان لا دعوة له في الحالة الاكليريكية . فاقترن بابنة افرنسية سنة ١٨٥٧ ورجع الى بيروت فتعاطى التجارة ونال منزلة كبيرة . توفي وله من العمر ٥٤ سنة فدُفن في بيروت ، ثم نُقلت عظامه بعد ذلك حسب وصيته الى مدفن ابيه الخاصّ ، قرب كنيسة مار يعقوب في دلبتا

٣ بطرس ابو فرح روفائيل [1]

ممّا يجدر ذكره في حياة المترجم انه عثر في ملكٍ له في اغبه ، وهي مزرعة

---

(١) هذا عنوان الكتاب :

Sea Nile, the Desert and Nigritia

Travels in Company with Captain Peel, *R. N. 1851-1852*

Described by

Joseph H. Churi, *maronite of Mount Lebanon*

Published by the author — 31, King street, Holborn, 1853.

قد اطلعني على نسخة من هذا الكتاب حضرة ابن اخيه السيد بولس عبدالله الخوري الحتّوني ، فاذا فيه على غلافه الداخلي كتابة عربية هذه حرفيتها :

« يوسف يوحنا الخوري عبدالله مارونيّ من قرية دلبتا من مقاطعة كسروان تلميذ مدرسة البروبوكندا بروميه العظمى قدّم هذا الكتاب الى المكتبة . . . تذكارًا وهو تصنيفه عن سفرة عملها في مصر لحدّ بلد العبيد من مصر الى الصعيد وبربر والخرطوم ابن (حيث) بتلاقيا البحران نيل الازرق ونيل الابيض وينصبّا سويّةً لاراضي مصر وللبحر الوسطاني وكان معلّماً لابن الوزير الاعظم (سر روبرت پيل) القبطان وليام پيل سنة ١٨٥١ و١٨٥٢ . وفي الكتاب ١٣ غنيّة مصرية مثلما يغنّوها البحريّة في بحر النيل » .

١) بمناسبة ذكر عائلة روفائيل في الفصل الثالث من هذا البحث التاريخي ، ورد على ادارة مجلة « المشرق » الغراء ، بامضاء حضرة الشيخ صالح الخازن ، رسالة لا تاريخ لها ، ننقل عنها حرفيًا ما يختصّ بالموضوع . قال صاحب الرسالة بعد الترجمة : « هل من قرابة بين بيت الخازن وبيت روفايل ؟ ذكر الخوري بطرس روفايل في المشرق (١٩٣١ ، ص ١٨٤) انه يوجد قرابة بين بيت الخازن وبيت روفايل . واستشهد على ذلك بصك بيع مؤرخ سنة

بين دلبتا ورعشين ، على كثير من النقود القديمة مجموعة في وعاء من النحاس لا يزال موجودًا الى الآن في دير سيدة الحقلة . غير انه لما كان نحاس قد حتَّ استوجب ذلك « دقّه » ثانية من مدة غير بعيدة ، فتغيّر شكلهُ ، وحوّل الى مرجل . وقد رأيته بامّ العين يبلغ عمقه ذراعاً تقريباً ، ويسميه سكان الدير الى يومنا « حلة بيت بو فرح » . فلما صار هذا المال في قبضة بطرس ابتنى بيتاً جاء اكبر بيت في القرية، واخذ يشتري الاملاك في دلبتا وفي القرى المجاورة .

١٧٨٥ بامضاء الشيخ شيبان الخازن جاء فيه : « هو ان بنا الى قرايبنا روفايل حصتنا . . . » وبكتاب توصية من الشيخ بطرس الخازن الى الشيخ بشاره عرب حيث جاء : « تنهي اليكم بخصوص قرايبنا روفايل من دلبتا » ثم قال انه لم يتثبت اذا كانت هذه القرابة ابوية ام بالمصاهرة . . . على انه بعد بحثنا الدقيق في ما لدينا من الاوراق القديمة اتضح لنا خلاف ذلك، وهو عدم وجود قرابة بين العائلتين لا ابوية ولا بالمصاهرة .

«لان كلمة « قرايبنا» تدلّ في انشاء بيت الخازن واصطلاحهم على من تقيّد في خدمتهم . وهذا واضح لكل من راجع صكوكهم وعندي منها الشيء الكثير . واكتفي هنا بذكر صك من سنة ١٢٨٢ هجرية بامضاء الشيخ خالد الخازن واخوانه جاء فيه : « وجه تحرير الاحرف ان عطينا الى « قرايبنا » طربيه صغير الكرم الذي لنا . . . » وفي اخر الصك « تمّ الرضا منا ومنه بخاطرنا ورضانا ويضلّ « بخدمتنا كجاري اهاليه » الذي عندنا وعند اولاد عمنا ويكون معروف ومكرم عندنا » .

« فهذه العبارة تدل دلالة صريحة على معنى كلمة قرايبنا . امّا القرابة بالمصاهرة بين بيت الخازن وغيرهم من العيال فيعبّر عنها بنو الخازن بكلمة « امانا » وهكذا نجد في صكوكهم انهم يدعون مشايخ بيت الهاشم وبيت حبيش ودحداح والضاهر والدهان بامانا » اه

وعليه اجيب اني لم أورد ما اوردتُه كحقيقة تاريخية لا مردّ عليها حتى ولا قلت « انه يوجد قرابة بين بيت الخازن وبيت روفائيل» كما يزعم حضرة الشيخ ، بل قلتُ ان « بيدي وثائق تنبئ بقرابة بين بيت الخازن وبيت روفائيل » . فالقارئ المنتقد يرى انه يوجد فرق في المعنى بين القولَين ، فالقول الاول يجزم بالتأكيد ، امّا الثاني فيترك بعض المجال للريب .

وعلاوةً على الوثائق المذكورة ومبناها ، ان ما جعلني اميل الى الظن بالقرابة وارجّحها معرفتي بان اصل العائلتين من قرية واحدة وهي جاج وقبل ان اكتب ما كتبته قد خطر في بالي ان كلمة « قرايبنا » قد تكون من اصطلاحات المشايخ ومُجاملاتهم ، فاستشرتُ بعضاً من المشايخ ، وبينهم من هم مشهورون بطول باعهم في معرفة التاريخ الوطني ، فاجابوني ان جدودهم كانوا يستعملون في كتاباتهم الى الاهالي بعض الاصطلاحات مثل « عزيزنا او محبنا او اعز محبينا الخ » غير انهم لم يُطلقوا كلمة « قرايبنا» الا على من متّ اليهم بقرابة . فوقفتُ

فشاع امر الكنز بين الاهالي حتى انتهى الى مسمع الامير، والي الجبـل، واظنّ انه كان الامير ملحم شهاب[1].

وفي تلك الايام كان اغلب نواب السلطان في دمشق وطرابلس وصيدا ذوي طمع لا يُحدّ، لا مأرب لهم سوى سلب الاموال اشباعاً لشهواتهم وارضـاء لسياستهم الخرقاء التي احدثت خراباً جسيماً في لبنان. فكانوا يعرضون على الامراء بيع مناصب الحكم في الجبل بالمزايدة، فكان من تُخلع عليه منهم الولاية على لبنان يحصر همَّهُ في جمع المال المفروض عليه من نائب السلطان لقاء استقراره في الوظيفة، فيتوسّل بكلّ واسطة جائزة ام محرّمة لينـال مراده فيرسل محصّلين للاموال يثقّلون على اللبنانيين ويضايقونهم ويلحّون باوامر مشدّدة على من يتوسّمون فيهم الغنى في دفع « جانب من المـال ». وان أبوا اذاقوهم شرّ عذاب الى ان يرجعوا عن غيّهم. وهذا ما حدث للمترجم بطرس، فانه ما ذاع خبر اثرائه حتى كان الوالي يرسل اليه مرةً بعـد اخرى مَن يفهمه انْ يسلم مبلغاً من النقود ولا يتحوّل عنه الرسول حتى يُلبّي طلبه. ولبث بطرس على هذا المنوال الى ان نفدت امواله واضطر ان يبيع ما كان له من الاملاك خوفاً من الجور. فلا غروَ بعـد ذلـك ان كانت الاموال تتراكم في خزائن

حينئذٍ عند افادتهم هذه. وقد استوضحتُ ايضاً الامرَ حضرة الشيخ سليم الدحداح، وكلامه حجةٌ في الموضوع لانه اختصاصي بتاريخ لبنان وله الدروس القيّمة والابحاث الدقيقة في لبنان ورجاله وعياله وعاداته، فاجابني بما حرفيته: « ان كلمة « قرايبنا » عند المشايخ المسيحيين تدلّ على معناها الحقيقي، اي وجود قرابة سواء اكانت ابوية ام بالمصاهرة، انما كانوا يخصّصون ذوي القرابة الابوية بكلمة أبناء العمّ. اما عند المشايخ الدروز فكان الاصطلاح ان يطلقوا كلمة « قرايبنا » على حاملي اسمهم، وهم من طبقة أدنى من طبقتهم، كبيت تلحوق، وبيت عبدالملك، فان لكلٍ من هاتين العائلتين طبقتين »

واما الصك الذي جاء به حضرة الشيخ صالح ليؤيد رأيه فشكوك فيه ولا اعتبار له فيما خص الموضوع لان مضمونه لا ينطبق على وقائع الزمان اذ انه مؤرخ سنة ١٢٨٢ هجرية، الموافقة لسنة ١٨٦٥ مسيحية. والحال انه بعد نظام سنة ١٨٦٠ لم يبق شيء معمولاً بـه من امتيازات المشايخ ولا من الاصطلاحات التي تدل عليها عبارات هذا الصك. اذاً . .

وعلى كل حال اننا نشكر لحضرة الشيخ الفاضل الاديب غيرته على خدمة التاريخ.

١) كان والياً من سنة ١٧٢٩ الى ١٧٦٣ .

حكّام الجبل[1]

ويروى عن المترجم انه جاءه يوماً من الامير ملحم بان يذهب اليه حاملاً «جانباً من المال» ، فوضع المبلغ المطلوب في جراب وتوجه الى الامير ، وكان يوم الاحد ، فلما مرّ بقرية شننعير ، دخل الكنيسة وكانت غاصة بالمؤمنين وترك الجراب على الباب ومكث مصلياً باخبات حتى نهاية القداس ، ولم يخالجه ادنى خوف ان يسرق المال احد المارّين . فهذا مما يدلّ على سلامة طويّته وسذاجة قلبه وعلى استقامة المؤمنين في تلك الايام وضميرهم الحيّ . كانت وفاته بعد سنة ١٧٦١ ، وقد اطلعت على وصيته وهي مؤرخة في تلك السنة ، ولم اعثر على اسمه في الوثائق القديمة التي بيدي بعد تلك السنة . ومن اولاده فرح ، وهذا كان يحسن الكتابة ويُعهد اليه في تحرير الصكوك وحلّ المشكلات في القرية.

٤ الخوري يوحنا روفائيل

ان هذا الكاهن هو ابن الخوري بطرس روفائيل ، الوكيل الاول على اوقاف كنيسة مار يعقوب . أُرسل الى رومية في ايام البطريرك يوسف اسطفان ليتلقى فيها العلوم الكهنوتية ، وكان ذكيًّا مجتهدًا ، فنال قصب السبق على اقرانه . ولما انتُخب فيلبوس الجميّل ، مطران قبرس ، بطريركاً خلفاً للبطريرك ميخائيل فاضل سنة ١٧٩٥ ، انتدب القس ارسانيوس القرداحي ليطلب له من الكرسي الرسولي التثبيت ودرع الرئاسة . وفي ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦ ، التأم مجمع الكرادلة تحت رئاسة البابا بيوس السادس ، فثبّت انتخاب البطريرك ومنحه درع الرئاسة . فتلا حينئذٍ الشماس يوحنا روفائيل خطاب الشكر للحبر الاعظم في ذلك المجمع ، بحضور القس ارسانيوس مندوب البطريرك[2]

١) قيل ان خزانة الامير بشير كانت تحتوي ١٨ الف كيس من النقود الذهبية القديمة ، اخذها معه لما ترك سراية بيت الدين سنة ١٨٤١ . راجع تاريخ الامير حيدر الشهابي ، لناشره نعوم مغبغب ، ص ١٠٤٩ .

٢) الخوري ميخائيل غبريل : تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية . المجلد الثاني ، القسم الاول ، ص ٦٦٩ و ٦٧٠

ولما احتل جنود بونابرت مدينة رومية سنة ١٧٩٦، وأقفلت المدرسة المارونية فيها سنة ١٧٩٧، رجع الشماس يوحنا الى لبنان، وقبل في وطنه الدرجات الكهنوتية. واذ كان في دلبتا صادف فتى قادته اليه العناية الالهية وكانت اعدّت له مستقبلاً باهراً في طائفته وفي لبنان، اعني به مرعي الحاج الذي رقي الى السدة البطريركية باسم يوحنا. فرعي هذا اختار الخوري يوحنا مرشداً روحياً، واخذ يقتفي آثاره في طريق الكمال المسيحي، ويتمرّن على ممارسة الفضائل. فاحبه المرشد واعتنى به كل الاعتناء، منقطعاً الى ملاحظته وتثقيفه. ولما توسّم في تلميذه النجابة ورجحان العقل والانقياد الى اتباع النصائح المُلقاة عليه، سعى لدى اقاربه ومعهم، فأُدخل مدرسة عين ورقة ليتلقى العلوم والتهذيب الاكليريكي ويتأهل رويداً رويداً لقبول الدرجات المقدسة.

وفي ايام البطريرك يوحنا الحلو، ادّعى بعض المشائخ الخازنيين ان دير مار سركيس وباخوس في ريفون هو من اوقافهم، وان لا حقّ لعائلة مبارك في الولاية، ورفعوا شكوى الى المجمع المقدس، واخرجوا قسراً من الدير المذكور القس فرنسيس مبارك. فعيّن البطريرك الخوري يوحنا وكيلاً على الدير، فكدّ وجدّ في العمل ومارس وظيفته بكل حكمة وامانة. وبما انه لم يصادف استحساناً من قبل ذوي المآرب ومن قبل المتخاصمين بل قاسى من جرّاء غيرته اهوالاً شديدة وعذابات مفرطة جعلت اقامته في الدير متعذّرة عليه، غادر المكان كما يتضح من كتاب ارسله في ٢١ ت ١ سنة ١٨١٣ الى البطريرك، يستدلّ منه ان كاتبه كان ذا جُرأة في الكلام وصلابة في الرأي. ومما جاء في الكتاب المذكور هذا:

« نقول ما قاله المثل ومنه تفهموا المعاني ان حالي كحال السمك والماء بعيدة عنه والقلب متعوب والرب يفرج عنه وذلك كافي الى فطنتكم الذكية عن اكماله وحائرين كيف نعمل بهذه الوقعة التي ارتمينا بها ويا ليتنا ما كنا عملنا هذا الخير ولا لقينا هذا الشرّ ومواعيدكم الحضور مثل سقاية الكمون وكلامنا هذا من حرقة التي في قلبنا تنقدوا علينا واسفاه على ترفهنا كيف انقلبت احوالنا في ريفون ومن حين ما دخلناه الى الآن ما رضينا نتعب سركم بخباره . . .

(هنا كلمات ممزقة). نلتزم الآن نصدع خاطركم وهو انه يوم تاريخه تركنا الدير وتدبيره وتوجهنا على بيتنا وما عاد لنا رجوع اليه لبعد حلول قدومكم لكوننا قبلنا متاعب ومشقات لا توصف والآن صرنا حاصلين على مخاطرات عظيمة وتحققنا ذلك من جملة اشارات كافية بقا واجب ابتعادنا عن الخطر لئلا نقع به حسب تدبير مطلين الذمة انّ من احب الخطر فبيد فيه والطاعة تلزمنا بحفظها مع ابتعاد الخطر ونحن من حمد الله حفظنا طاعتكم المقدسة لحد خطر الموت كما معلوم عندنا وكذلك دبّرنا المطرح على قدر امكاننا وقصر معرفتنا وسلكنا بموجب امركم وتفهيمكم ودبّرنا ناس يسهروا على الدير وقدّمنا اكثر العوايز اللازمة وضبطنا المدخول والمصروف وصار كل شي‌ء متدبّر ووفينا اكثر الديون العتيقة وما بقي الا القليل منها وكل شي‌ء صار مفهوم ما عاد يلزم لها متاعب ونرجو عدم ابراحنا من خاطركم العاطر وبعد نلثم انامكم المقدسة»

وتقرأ في حاشية ما حرفيته :« ومن ثمّ الحوادث الواقعة صارت معلومة عند اكثر الناس وخير تعرفوها من غيرنا ولا منا لكوننا نرغب سترة القريب وتقديم المحبة وابتعاد الشرّ ولا نريد الاضامة لاحد »[1]

وفي سنة ١٨٢٣، ارتقى السدة البطريركية المطران يوسف حبيش المعروف بتقشفه وزهده وشدته في تدبير الكهنة ، فاظهر اعتباره وحبه للخوري يوحنا ومنحه في تلك السنة نفسها انعامات عديدة جديرة بالذكر ، وسلمه بذلك اعلاماً جاء فيه ما يلي :

« قد صرفنا حضرة ولدنا الخوري يوحنا روفايل الاكرم بخدمة سرّ التوبة بايّ محلّ وُجد فيه الرجال والنساء والرهبان والراهبات القانونيين والغير القانونيين من دون استثناء وان يحلّ من جميع الخطايا باسم الآب والابن والروح القدس. وأذناه ايضاً بان يحلّ من الخطايا المحفوظة لنا ولحضرة الاخوان المطارين المحترمين فما عدا جحد الايمان ظاهراً والخطيئة المحفوظ حلها من اسقف المكان بنوع خصوصي وليس ذلك من القوانين او المراسيم او المجامع المقدسة ثم صرفناه ان

---

١) سجلات البطريركية المارونية : جارور البطريرك يوحنا الحلو ، عدد ١٦٨ .

يحلّ من سائر الموانع والحرومات والتأديبات الكنائسية المحفوظة فما عدا المحروم والممنوع باسمه او من رئيسه المألوف وذلك في محكمة سر التوبة فقط واذنا له ان يكرّس الاواني الذي لا يلزم لتكريسها ميرون وله الاذن ان يقدس في البيوت او في البرية عند الاحتياج ومن يسمع قداسه يوفي الزامه الكنائسي حيث لا تنثلم حقوق كهنة الرعايا . وله ان يشرك في شركة الوردية المقدسة . ويمنح الغفران الكامل للمشرفين للموت بموجب الرتبة المعيّنة من الكرسي الرسولي . كذلك اذناه ان يستعمل اكل الزفر على البياض فقط بايام القطائع والصيامات المعيّنة من الكنيسة واذنا له ان يلبس العرقية في القداس . كذلك اذناه ان يحلّ في منبر سرّ التوبة من موانع الزيجة الناتجة من الاثم وان يفتح من العجز نحو درجة الكهنوت الصادر من زلّة خفية الخ ... »[1]

وقد عرض المترجم سنة ١٨٤٢ على تلميذه القديم ، الخوري يوحنا الحاج ، ان يحوّل له كل ما يملكه من اموال ثابتة وغير ثابتة ، على شرط ان يقدم له هذا الاخير ما يلزم لمعاشه الى حين وفاته ؛ وما يتبقى بعد ذلك يكون وقفاً لخير القرية . فصار القبول من الفريقين . وفي سنة ١٨٤٨ ، جرى اتفاق جديد بين الكاهنين ، فوقف الخوري يوحنا الحاج للبرّ ما كان حُوّل باسمه من الاملاك ، فجعل قسماً منها للكنيسة ، والقسم الثاني لمدرسة القرية ، وخُصّصت الحجرات التي كان يسكنها المترجم مدرسة لتعليم الاولاد ؛ وكانت هذه الاملاك غير يسيرة . وقد حُرّر صكّ الوقف بحضور الخوري يوحنا روفائيل ، فوقّعه بخط يده ، واجاز المشروع مطران الابرشية ، انطون الخازن ، وصدّقه عضو من المحكمة . اما الاملاك غير الثابتة كالآنية الكنسية وثياب التقديس والكتب واثاث البيت من فرش ونحاس وغيرها فقد احتفظ بها الخوري يوحنا الحاج لنفسه لقاء نفقاته على معاش معلّمه[2] . وكانت وفاة المترجم سنة ١٨٥٠ .

(له صلة)

١) عن النسخة الاصلية .

٢) النبذة ، ص ١٠٦ وما يليها ، والسجل ص ٢١ – ٢٢

دير الزور الحديثة

بقلم الاب توتل اليسوعي

١

حكم الاتراك

على اثر حملة عمر باشا الكرواتي[1] ، قبض الاتراك على زمام الامر في دير الزور ؛ وفي السنة ١٨٦٤م (١٢٨١هـ) حضر اليها والي حلب ، ثريا باشا ، وعهد بادارة شؤونها الى عمر باشا ، قائم مقام عسكرية حلب . واليك ، منذ ذلك العهد ، لائحة الحكام الذين تألبوا في تدبير البلدة ، مع اهم ما حدث في ايامهم الى آخر الحرب العظمى ، عهد خروج الاتراك من الدير :

عمر باشا	سنة ١٨٦٤م (١٢٨١هـ)	حكم ستة اشهر .
خليل بك	١٨٦٥ (١٢٨٢)	انشأ دار الحكومة، وثكنة للجند، ومستشفى.
احمد حلمي افندي	١٨٦٦ (١٢٨٣)	حكم ستة اشهر .
عثمان افندي	١٨٦٦ (١٢٨٣)	
حسني باشا	١٨٦٨ (١٢٨٥)	حكم ستة اشهر ، ومات في الدير .
ارسلان باشا	١٨٦٨ (١٢٨٥)	اخضع القبائل : الجبور، والعقيدات ، وشمر ، وعنزة ، والموالي وغيرهم . وجعل العشارة والرقة مركزي قائمقامية والحقهما بلواء الدير ، ومات .
عمر باشا	١٨٦٨ (١٢٨٥)	بنى المكتب الرشدي والمتنزه العمومي .

---

١) راجع العدد السابق من المشرق .

قاسم باشا	١٨٧٤ (١٢٩١)	
حسين باشا الحلبي	١٨٧٦ (١٢٩٣)	
علي باشا الشريف	١٨٧٧ (١٢٩٤)	على ايامه انفصل لواء الزور عن حلب ، ثم تعلق بالاستانة مباشرة سنة ١٢٩٧هـ.
حسن باشا الفريق	١٨٧٩ (١٢٩٧)	
محمد رشيد باشا	١٨٨١ (١٢٩٩)	
يوسف طالع باشا	١٨٨٣ (١٣٠١)	
ابراهيم باشا	١٨٨٣ (١٣٠١)	شاد مكتبين: صناعياً واناثياً.
احمد توفيق باشا	١٨٨٥ (١٣٠٣)	رمم ما احدثه فيضان الفرات من الخراب.
حافظ باشا	١٨٨٩ (١٣٠٧)	
صالح باشا	١٨٨٩ (١٣٠٧)	ربط الدير بالسلك البرقي مع حلب والاستانة
مصطفى رفقي باشا	١٨٩٣ (١٣١١)	
اسماعيل زهدي بك	١٨٩٣ (١٣١١)	انشأ عشرين مكتباً في القرى ، والمستشفى والجامع الحميدي في الدير.
احمد شكري باشا	١٨٩٧ (١٣١٥)	مات في وظيفته.
احمدرشيد باشا	١٩٠٠ (١٣١٨)	سعى بمباشرة بناية الجسر الكبير.
حسين محرم بك	١٩٠٢ (١٣٢٠)	
راشد باشا	١٩٠٣ (١٣٢١)	
جمال بك	١٩٠٨ (١٣٢٦)	
جلال بك	١٩١٠ (١٣٢٨)	
علي سعاد بك	١٩١٢ (١٣٣١)	
زكي بك	١٩١٦ (١٣٣٥)	وهو الذي امر بقتل الالوف من الارمن.
عبد القادر بك	١٩١٧ (١٣٣٦)	وهذا ايضاً اجهز على الارمن ، ثم دارت الدائرة عليه فحاكمه الكماليون واعدموه.
حامي بك	١٩١٨ (١٣٣٧)	

اخذنا هذه اللائحة عن مقال ظهر في المشرق ، سنة ١٩٠٧ ، بقلم السيد عبد الكريم نوري ، استاذ اللغة الافرنسية سابقاً في دير الزور ، وعن تعليات وافانا بها عن سجلات دير الزور الرسمية شقيقنا السيد جوزف توتل. وقد وقع بين هذين المصدرين بعض الاختلاف في التواريخ وفي ترتيب تعاقب الحكام. وهذا الاختلاف يظهر ايضاً عند المقابلة بين لائحتنا واللائحة التي وضعها المستشرق

موسيل[1] وقد يكون سببه سرعة عزل الحكام عن مناصبهم ، وتبلبل جدول اسمائهم في السجلات الرسمية ، فلا يظهر اسم الباشا مطبوعاً في السلنامه الرسمية الا ويكون قد اخلى المكان لغيره . ومن عدد الحكام الوافر (٢٩) الذين تناوبوا الحكم في مدة زهاء نصف قرن ، يفهم القارئ بعض اسباب جمود تلك البلاد السياسي والاقتصادي على ايام الاتراك . فان تغيراتهم المتواصلة دالة على عدم اهليتهم للقيام بالمهمة المعهود بها اليهم ، او بالاحرى على قلة اكتراث الحكومة المركزية للانحاء . الثانية ورب حاكم اتى الى دير الزور منفياً وكان في الغالب يجهل لغة البلاد ، فلا يروق له فيها طعام ولا شراب ، وما ان يملأ جيوبه من جباية اموالها حتى يطمح ببصره الى وظيفة غير التي هو فيها ، فيتغير من موضعه بعد اشهر ، شأنَ الولاة على عهد الاتراك سحابة القرون .

حكام الدير من نهاية الحرب الكبرى الى يومنا[2]

في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٨ ،اي شهراً بعد انعقاد الهدنة بين المتحالفين ، خرج الاتراك من دير الزور ، فدخلها الامير علي ناصر ، وشكل حكومتها مرعي باشا . وفي ٧ كانون الثاني من السنة ١٩١٩ اتاها القائد الانكليزي الكابتن كارڤر ، وبمعيته ضباط وانفار من الجنود ومدرعتان ، واقاموا فيها الى ٢١ كانون الاول سنة ١٩١٩ . في ذلك العهد ، هاجم رمضان الشلاش دير الزور من قبل الحكومة الفيصلية ، واخرج منها الانكليز قسراً ، وحكمها شهرين او ثلاثة . وتولى الحكم في الدير في السنة ١٩٢٠ المتصرفون : مولود باشا المخلص ، ومظهر بك ارسلان ، ومصطفى القنواتي ، والحاج فاضل العبود من اشراف الدير .

وفي ربيع ذلك العام دخل الافرنسيون دير الزور ، وعلى رأسهم الكومندان ترانكا (وهو المستشار الاداري ، حالاً ، ووكيل المندوب السامي موقتاً في الدير) ومعهم مدفعان ، وبرفقتهم الامير محجم بن مهيد شيخ عشيرة

١) راجع كتابه على الفرات الاوسط ، ص ٣

٢) عن رسالة للسيد عبدالكريم لوله ، فله منا الشكر .

العنزة مع عشائره . فاستقبلهم الاهلون بالترحيب ، وأيد ترانكا الحاج فاضل في وظيفته.

وفي اثنائها خرج الاتراك من اورفا ، وحملوا على الرقة ، وقاربوا منها دير الزور ، وضربوها بمدافعهم . فانضم عشائر محجم واولاد ابراهيم باشا الى الافرنسيين ، ووقفوا في وجه الاتراك وقابلوهم بمدافعهم.

لكن العرب لم يجمعوا كلمتهم على مصافاة الافرنسيين ، فان عشائر ابوهليل وابو عمر هاجوا معسكرهم وقتلوا الضابط ريشارد . واعاد ابو عمر الكرة وهاجوا مركز الطيارات ، وقتلوا الكابيتن روسي وغيره ، واحرقوا سبع طيارات. فخرج عليهم من حلب الجنرال دي بيوفر بالفين وخمسة جندي وأدّبهم (تشرين الثاني سنة ١٩٢١)

وتعاقب المتصرفون في الدير بالتتابع التالي: خليل اسحق (١٩٢٢) . الامير خطاب الجزائري (١٩٢٣) — نبيه بك الماردیني (١٩٢٤) — جميل الدهان (١٩٢٦) — نافع المقدسي (١٩٢٨) — ابي الخير الجندي (١٩٣٠) - نسيب بك الخطيب (١٩٣١). وولي النظام العسكري فيها اذ ذاك الكولونيل دي غران رو ، القائد العام الحالي ؛ والكولونيل اندريا ، الجنرال الحالي ؛ والكولونيل ربير ، واخيرا الجنرال كاله.

ومنذ زهاء اربعين سنة دخلت بلدة الدير في عهد عمران وتجدد ، قد يوقفنا على تطوراته حديث الروّاد المعاصرين عنها ، ومراجعة ما جاء في البلاغات الرسمية .

حديث الرواد المعاصرين عن الدير

في ٢٣ كانون الاول ١٨٧٩ زار الدير ساخو[1] ، الرائد الالماني ، فوصفها قال : الدير مدينة صغيرة ، عدد بيوتها ١٥٠٠ ، واكثرها حقيرة ، وهي مبنية بالحجارة واللبن ، وعدد سكانها يتراوح بين الخمسة والستة آلاف. موقعها على

---

١) راجع كتابه عن سورية وما بين النهرين ، ١٨٨٣ ، ليبسيك ، ص ٢٦١ وما بعدها ، وينسب ساخو عمار القشلات لارسلان باشا ، اما موسيل فينسبه لعمر باشا .

شاطئ الفرات الغربي حيث ينقسم الفرات . حلّ بها الخراب عند حملة عمر الكرواني عليها ، فرتقت فتقها ورممت خرابها وظهرت جديدة كانها حديثة العهد بالوجود . ليس فيها اثر لانقاض تنبيء بتاريخها القديم او باخبار القرون الوسطى سوى بقايا سد حجري ظاهرة في المياه ، جنوبي المدينة وشمالها . ويغلب على الزعم ان انقاض المدينة القديمة لا تزال طامسة تحت بناية الجامع المتوسط البلدة ، وما حوله من المساكن المبنية جنوباً وشمالاً على جانب الفرات . وعلى بعد من هناك ، نحو الجنوب ، بناية ضخمة ، مربعة الزوايا ، فيها فناء ، وطرفها الغربي محاذٍ للنهر ، هي السرايا . وفيها دار السجن ، وهي على يسار الآتي الى البلدة من الجسر . ومن باب السرايا منفذ الى السوق . اما المدينة الجديدة فمشيدة على جانبي جادة واسعة ممتدّة من الشمال الى الجنوب ، غربي المدينة القديمة . فيها خانات ، وبستان واسع ، ودار الحاكم وهي محكمة المندام على الطراز الاوربي . وابعد من ذلك شمالاً القشلة العسكرية . اما الكنائس فموقعها جنوبي البلدة بغرب ، ومن ورائها حدود صحراء تدمر واكامها ورمالها الجرداء الماحلة .

كان عدد المسيحيين آنذاك يناهز المئة ، اتوا الى الدير من حلب والموصل ووجد ساخو في السوق جميع الحاجيات من قمح وشعير وذرة وفحم . . . حتى الخمرة الافرنسية الحمراء . وكان فيها خياط يخيط على النسق الافرنجي

وكانت الدير في السنة السادسة منذ توطدت فيها اركان السلطة التركية ، فصارت متصرفية مرجعها ولاية حلب واسمها الرسمي الزور . وكانت تشمل البلاد الواقعة بين تدمر والدير وميادين وعشاره وابو كمال والخابور وسنجار ونصيبين وويرانشهر ورأس العين والرقة . وكان تحت حكم باشا الدير : قائمقام في البصيرة ، ومدير في الشدادية ؛ وقائمقام في الميادين ، ومقاطعته تدعى العشارة ، لانه كان مقيماً ، سابقاً ، في المحلة المدعوّة بذلك الاسم ، الواقعة جنوبي الميادين على الفرات ، وهي الآن خراب ؛ وقائمقام في البوكمال ، على شاطئ الفرات الغربي ، على بعد خمس ساعات من الصالحية .

وتحصن الاتراك في دير الزور وتسلحوا فيها على البدو ، اعنى بهم العنزة في

سورية ، وشمر في ما بين النهرين

وعند زيارة ساخو الدير ، كانوا يتحدثون باستعمار اراضيها ويحاولون تحضير الاعراب على ضفاف الفرات فيشغلونهم في زراعة الاراضي. ومن وراء ذلك الاستعمار من المنافع الاقتصادية والسياسية ما لا يخفى على بصير ، لانه يقطع دابر الفتن والمشاحنات الناشئة غالباً من حياة البادية من عدم التقيّد فيها بنظام اجتماعي متين ، ويعود بالخير على البلاد بما يؤديه لها من زيادة محصولات الاراضي المفتوحة للزراعة . واخذوا يضعون اساس مشاريع التحضير ، فشادوا الثكنات العسكرية ، وعمّروا في جوارها البيوت السكنى . ولكن قلة المال في الخزينة حالت دون انجاز المشروع بالنجاح .

ونشبت في غضونها الحرب بين المسكوب والدولة التركية فحوّلت نظرها تماماً عن مصالح بلاد الفرات واهملت الزور وشؤونه . فعادت لمترهـا لميس ، وهجر العرب جوار الثكنات وتركوا ديارها خراباً بين الرقة والدير .

هذا عن احوال المدينة السياسية والزراعية ، اما عن علاقاتها بسائر الولايات وسبيل الاتصال بها فقد تخطّى الى الكلام عليه ، البارون الالماني فون اوبنهايم [1] :

في صيف السنة ١٨٩٣ وصل الى دير الزور عن طريق تدمر ، ووصف قدومه اليها بعد مشاق السفر في بلاد تدمر فقال : نحو الساعة السابعة مساء ، بلغنا قمة الاكام الواقعة بين الفرات والبادية والمنحدرة نحو النهر . فاشرفنا من اعاليها على بساتين البلدة وبيوتها ، وعلى الفرات ومياهه الصفراء . واشعرنا بعاطفة فرح ذكرتنا بفرح العشرة الآلاف لما اكتشفوا البحر بعد تيههم العظيم في بلاد الاناضول . ما اعذب مياه الفرات وما احلاها لمن قضى اياماً واسابيع في مجاهل البادية يتكبد مرارة العطش . وما ابهج منظر امواجها للعيون ! من سخنة الى الدير، كانت الطريق معلّمة ببقايا هياكل الخيل والجمال التي لم تقوَ على قطع المراحل المقفرة ، فسقطت وهلكت في سيرها ! وها ان منظر المياه والنبات

---

١) راجع كتابه : من البحر المتوسط الى خليج العجم ١ ، ص ٣٢٩

يكهرب اعصاب الخيل والرجال وسرعان ما نسير !

وصل اوبنهايم الى الدير نحو الساعة الثامنة والنصف مساء . فاختار منزله شمالي المدينة ، على شاطئ النهر ، في بستان اخضرجميل وقال: ما اللذ الاستحمام بالفرات لمن بلغ منه الحرّ والعطش مبلغه في الامس ، وكان اذا نضح وجهه بقليل من الماء امتص شاربيه المبتلين حرصاً على بعض القطرات من الضياع . ان الجلوس وشرب النرجيلة على شاطئ النهر لنعيم بالنسبة للمشاق التي تكبدناها على طريق الشول .

وفي تلك السنة احصى اوبنهايم سكان الدير كما يلي(٢ : ٣٣٢)من ٦ الى ٧ آلاف فيهم ٧٠٠ مسيحي ، وهؤلاء يزدادون سنة فسنة ، وهم من سائر الطوائف المسيحية المعروفة في الشرق، ولهم كنيستان ، وكان للمسلمين جامعان احدهما حديث البناء بني في العام نفسه .

اية كانت في تلك الايام نفسية السكان في الدير ؟ قد يتاح لنا ان نعرفها مما كتبته عنهم رائدة انكليزية ، المس بل[١] ، زارت الدير في اذار سنة ١٩٠٨ ، على ايام ثورة فتيان الترك ، فتصدت في وصف رحلتها لما سمعته في البلدة عن تأثيرات سياسة حزب الاتحاد والترقي فيها ، وذكرت عناء البلاد وتعبها ومللها من نير الاتراك وتشاؤمها من المستقبل . وقالت: تحدثت الى احد اصدقائي من اعيان المسلمين في الدير عن الحالة السياسية فقال : بلغ احدنا الدعوة الى حزب الاتحاد والترقي فابى تلبيتها وقال : انا صاحب اشغال وهم اصحاب اقوال .

ثم قالت : ان المفكرين من اهل الدير يعتقدون انهم قادمون على عصر فوضى . وقال احدهم ان نظام السلاطين مضى وتلاشى . اما نظام حزب الاتحاد والترقي فواهٍ ضعيف وتحت رماده نار الثورة والاضطراب . والثورة معناها اهراق الدماء . ويا لبني عثمان من الويل والدمار ! ولعل السلام والامن يأتيان من اوربة !

---

١) راجع كتابها « مراد الى مراد » :

G. L. Bell, *Amurath to Amurath* ; *London*, *1911*, *p. 7-*.

فقال له مس بلّ : الا قل ان السلام والامن الحقيقي هو الذي تستحوذه البلاد بجهودها .

فقال : وهل من امل ان يرى هذا العهد اولاد اولادي ؟ — اين الوحدة العربية ؟ ان اهل حلب ينظرون الى اهل الدير نظرهم الى الغريب الغير المرغوب فيه ، وكذلك اهل الدير ينظرون الى اهل دمشق ولا وحدة للامة العربية ، اما الاراضي وحالتها فهي مما يرثى له . لي املاك تقدر بخمسة عشر الف ليرة انكليزية وهل يوجد من يشتريها بخمسة عشر الف غرش ؟

***

هذا وان تشاؤم السكان تغيّر الى التفاؤل واخذوا ينظرون الى المستقبل بعين الامل منذ عهد الانتداب الافرنسي . واملهم اشدّ تعلقاً به من سائر سكان سورية ولبنان ، لانهم لا ينفكون ساعة يشعرون بانه لولا وجود الجنود الافرنسية في الدير لاغار عليها العرب من كل صوب وفج .

وفي ٨ نيسان ١٩١٢ قدم دير الزور لويس موسيل ، عن طريق البادية ، فاذا هي غير ما عهدناها منذ عهد ساخو وروسو . قال :

الدير واقعة على شاطئ الفرات الايمن تجاه حديقة خضراء يربط بينهما جسر ، فيها ست مآذن بيضاء منتصبة وبساتين ، وحقول واقعة شرقيّ البيوت . اما القشلة فهي شمالي المدينة وبالقرب منها معسكر الشركس ، وفي شمالها الصالحية او بساتين صالح باشا . وبنايات البيوت في جانب المدينة الشمالي الشرقي عالية بارزة . وهذه اسماء احياء المدينة : محل الشيخ ياسين ، وابو عابد ، والرشدية ، والجامع الكبير ، والوسط ، وعبد العزيز . وسرايا الحكومة واقعة بين الفرات ومحل عبد العزيز . والجامع العمري قديم وهو في وسط البلدة .

ومن وجوه المسلمين بيت الفتية ، وبيت عبد العزيز ، وبيت خطار . ومرافق الارتزاق للاهلين على الاخص من التجارة . فانهم يبتاعون الصوف ، ويصنعون السجادات والحرامات للفلاحين وللبدو ، ويبتاعون سمن الماعز والغنم ويصدرونه الشام ، ويستوردون منها ومن حلب الموادّ المصنوعة في اوربة ، وعلى الاخص مصنوعات القطن والكتان . ويجلبون من بغداد التنبك والعباء الجميلة .

ويبتاعون في بيرجك «الكلكات» المشدودة فيحتاونها قمحاً وشعيراً ، ويركبون الفرات فيبلغون الى الدير فالفالوجه ، في ثمانية او عشرة ايام . وهناك يحملون الحبّ على المركبات او على الدواب ، ويبيعون الكلكات بزهاء مئتي غرش ويعودون الى وطنهم . ومن حين الى حين يبتاعون من العراق السمن او غير ذلك من المواد ويجعلونها على مراكب شراعية وينتقلون بها من محطة الى محطة فيعرضونها للبيع . ان قطع المسافة ما بين الفالوجه والدير يقتضي زهاء شهرين صعوداً .

وقدّر موسيل عدد السكان باربعة آلاف مسلم و٨٠٠ مسيحي و٢٠٠ يهودي ، في السنة ١٩١٢ .

وكان فيها من الجند ٤٠٠ بغال ، و١٢٠ جندرمة . ومما ساعد على رواج حركة الاشغال في الدير مرور بريد بغداد فيها ، لانه تحول عن طريق الشام الى طريق حلب فالفرات . فكان يقطع المسافة بين الشهباء وبغداد بثمانية ايام . وكان الساعي اذا تأخر عن ميعاد وصوله أُلزم بدفع جزاء نقدي ليرة عثمانية ذهباً . وكان مرجعه الى ملتزم البريد في الدير ، وهذا يقبض ١٠٥ ليرات عثمانية ذهباً تلقاء خدماته . فيسرج الخيل ويزهبها لقطع المراحل بالتناوب سريعاً .

وهذه كانت محطات السفر للمركبات بين حلب وبغداد عن طريق الدير : حلب ، نهر الذهب ، المسكنة ، الحمام ، السبخة ، تبني ، دير الزور ، الميادين ، هيت ، الرمادي ، الفالوجه ، بغداد .



في قداسة الكنيسة

للاب ارمند اودين ، احد كهنة رهبنة قلب يسوع الاقدس*

١ ما هي القداسة الواجب ان تمتاز بها كنيسة المسيح ؟ – ٢ هل توجد هذه القداسة ، في الكنائس المنفصلة عن الكثلكة ؟ – ٣ وجودها وسطوعها في الكثلكة . – ٤ ردّ الاعتراضات .

٣

وجود القداسة في الكثلكة

اول الشروط اللازمة لقداسة جماعة ، هو ان يكون فيها تعليم يسوع المسيح محفوظاً ، ليس على صفحات الكتب فحسب ، بل في العقول والقلوب ايضاً ، بحيث يكون مدروساً ومفهوماً جيداً ، وتكون قضاياه بمنزلة قواعد يُعمل بموجبها . فانظر ، ايها القارئ اللبيب ، الى الكنيسة الكاثوليكية واحكم هل هذا الشرط محقّق فيها ام لا ؟ انظر ما بذله الاحبار الرومانيون ، منذ القديم الى ايامنا هذه ، من شديد العناية ليمنعوا كل تعليم باطل فاسد عن الانتشار بين المؤمنين . انظر كثرة معلّمي اللاهوت ومفسّري الاسفار المقدسة ، الذين وقفوا معظم حياتهم على استقصاء الحقائق الموحاة ، وتبيين نتائجها والمحاماة عن صحتها . انظر بأية همة ومواظبة يجتهد الخوارنة في تهذيب الصغار الديني ، وفي صيانة ايمان الكبار بما يلقونه عليهم من المواعظ والارشادات الروحية . انظر عدد المجلات الدينية التي جلّ غايتها تكميل ما احرزه القرّاء من معرفة الامور الالهية ، وتفنيد ما يسمعون او يخطر على بالهم من حجج الاعتراض والارتياب . هذا ما نراه جارياً في الكثلكة في ايامنا اكثر من ذي قبل ، مع ان مصباح العلم اللاهوتي لم ينطفئ قط في حضنها . فاي الجماعات المنفصلة تتجاسر على المقابلة بينها وبين الكثلكة من هذا القبيل ؟ وماذا يجوز ان نطلبه ، فوق ذلك ، لنقول : ان امّنا الكنيسة الرومانية حفظت بتمام الامانة على وديعة التعليم الالهي ؟

*) صحح عبارته ، وعني بنشره الخوري اسطفان فرحات اللبناني .

.ننتقل هنا الى ذكر شيء مما تزدان وتفتخر به الكثلكة من جواهر الفضائل المتلألئة في سير قديسيها . فما اكثر هؤلاء عدداً ! وما اسمى درجة الكمال الأدبي التي بلغتها فيهم الطبيعة البشرية ! وما اعجب ما باشروا من الاعمال العظيمة التي تذهل كل من يتصفح التاريخ ، وتحمل كل انسان على الاقرار بها . ومن يستطيع ان يحصي الذين حبسوا انفسهم في الاديرة ليعيشوا هناك عيشة سماوية . والذين خصصوا حياتهم لاعمال المحبة والغيرة ، كمعالجة المرضى ، واسعاف المساكين ، وتربية الاحداث ، اولئك الذين يفنون قواهم في سبيل الخير ، افناء ملموساً . فاذا حملهم على تلك التضحية بذواتهم يا ترى، الم يكن حب المسيح ؟ وماذا نقول عن بسالة المرسلين الذين يغادرون اوطانهم المحبوبة واهلهم الاعزاء ، ويتجهون الى اقطار مجهولة ، حيث لا يتوقعون سوى حياة كلها اخطار واتعاب وعوز وشقاء ، وربما انتهى بهم الامر الى الموت تعذيباً . هذا ، على ان الامر لا يتوقف عند هذا الحد مع هؤلاء الابطال فحسب ، بل كثيراً ما نرى مثله في الكهنة الذين لم يدعهم الله الى الاستشهاد في بلدان الوثنيين والهمجيين . فانهم يضحّون براحتهم وبكل غالٍ ونفيس لديهم في سبيل خدمة الدين الحقيقي ، دون ان يتوقعوا عليها ادنى جزاء ، بل كثيراً ما يغمط الناس نعمهم ، ويبادلونهم الخير بالشر ، ويوغرون عليهم الصدور ، ويقذفونهم بكلام الهزء والسخرية . اما هم فيحتملون ذلك بصبر جزيل ، عملاً بوصية السيد المسيح ، لاسمه السجود : « طوبى لكم اذا عيّروكم ، واضطهدوكم ، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة كاذبة . فحينئذٍ سروا وافرحوا . . . » هذا هو سلوك الاكليروس الكاثوليكي . وانه اليوم كما كان في الامس . فمن ينكر ان في هذا دليلاً جلياً على قداسة الكثلكة ؟

لقد اشرنا الى ما كان ، ولم يزل نصيباً لبعض الكهنة والمؤمنين ، من الاضطهاد . فيحسن بنا الّا نضرب صفحاً عما في ذلك من زيادة ايضاح واثبات لقداسة الكثلكة ، ولكونها هي كنيسة المسيح الحقيقية . لذلك نقول :

ان يسوع المسيح نفسه انبأ تلاميذه بان العالم سيبغضهم ويحاربهم بشدة وقساوة ، ويفرغ قصارى جهده ليطفئ مصباح الحق الذي يسعون في نشر ضوئه . واننا نرى ان هذه النبوّة لم تزل تتحقق في جماعة الكاثوليك دون سواها ، وذلك من عهد الرسل حتى ايامنا هذه . اذاً فما هذا الا دليل واضح على ان الكثلكة هي الجماعة التي أسسها المسيح ووجّه اليها كلامه ، في شخص تلاميذه الاولين

٢ يجب ان تتشبّه كنيسة المسيح بمدنها ورأسها ، كل التشبه الممكن. وهذا ما يتمّ بكونها عرضةً للاضطهاد. فان يسوع نفسه كان هدفاً لكراهية العالم ومعارضة الخطأة ، مع انه لم يأتِ إلّا لخلاص البشر ، والاحسان الى الجميع . وكذلك كنيسته قد تعيّن عليها ان تسعى دائماً الى خير البشر ، ليس الروحي فحسب ، بل الزمني ايضاً . وهي التي تعلّم الناس ان يتحابوا ويتآخوا ويتعاونوا ، وتجتهد في تخفيف اوجاعهم ، وسدّ حاجاتهم ، ومع ذلك لها دائماً خصوم الدّاء ، يتحالفون على اهلاكها . وبمقدار ما يزيدونها بذلك مماثلة بيسوع المسيح ، يبرهنون على كونها كنيسته الحقيقية .

٣ ان البغض الذي عنى به السيد المسيح لا سبيل الى تعليله الا بالقول : ان اصله هو روح الكبرياء والخبث الذي كان ابليس اول ابن له . فهذا الملاك الساقط هو الذي يستخدم المنافقين اعوانه كآلات لاضطهاد الكنيسة ، كما حرّك اليهود قديماً على رفض المسيح وصلبه . وقصده هو واحد في كل آن ، اي ملاشاة ملكوت الله . فلماذا لا يضطهد هو وخدامه بقية الكنائس ، كما يضطهدون الكنيسة الكاثوليكية ؟ . أليس لعلمهم ان هذه هي دون سواها ، جسد المسيح السري ، وملكوت الله على الارض ؟

لان ديمومة الكنيسة ، بالرغم من تلك المحاربة العنيفة ، وما ظهر من الجرأة والبسالة في الوف من الشهداء ، ابناء الكثلكة الذين ختموا ايمانهم بدمائهم ، انما يثبتها اعجوبتان بيّنتان ، لا ينسبهما عاقل الى القوى البشرية ، بل يقرّ ان هناك يد الله القادرة على كل شيء . فالجماعة التي لا تزال هاتان الآيتان تلمعان فيها على مرأى كل انسان ، هي موسومة بختم الهي . واذن

فهي عروس يسوع المسيح الحقيقية . وزد على ذلك ان الله لا يفتأ يجري في الكثلكة معجزات كثيرة تكميلًا لاعلان قداستها . ومن هذه المعجزات ما يحدث في بعض المزارات المشهورة التي اختارها الله لتكون مواضع التقاء للزوّار الاتقياء الآتين اليها من مختلف الاقطار. ولنا من شهادات الكثيرين على ذلك ما ينفي كل مجال للارتياب في صحتها ، وكثيرًا ما يجري اطباء ماهرون فحص بعض المرضى ، الذين لم يكونوا ليشفوا من امراضهم بايّ نوع كان من العقاقير ، فيفضي الفحص الى تحقيق كون الشفاء اكيدًا وتامًا ، واذن فهو باعجوبة يضطر ارباب العلم الى الاعتراف بها.

وفضلًا عن تلك المعجزات ، ان الله يصنع غيرها ايضًا ، مكافأة لايمان من يستشفعون بعض اوليائه ، الذين يشاء تعالى ان يعلن قداستهم ، ويزيد المؤمنين ثقةً بحمايتهم . ولتحقيق هذه المعجزات قد ألف الاحبار الاعظمون جمعية وكلوا اليها اتخاذ كل ما يستطاع من التدابير المفيدة لابعاد اسباب الغشّ والرئاء . فتارةً يسفر البحث عن عدم ثبات بعض ما فشا خبره من الحوادث العجائبية ، وطورًا بالعكس ، فانه ينتهي بكون الاعجوبة مؤكدة ، بحيث لم يبقَ لانكارها من سبيل . وعدد ما اثبت بهذه الطريقة من الاعاجيب يحصى بالمئات بل بالالوف ، وما زال يزداد كل حين . فما هذا الا ختم الله تعالى المصدِّق على بهاء فضائل قديسيه ، وقداسة كنيسته الحقيقية.

٤

رد الاعتراضات

ربّ قارئٍ يخال اليه ان ما قلناه عن غيرة المرسلين ، وتفاني من خصّصوا حياتهم لاعمال المحبة ، ليس بكافٍ لاثبات قداسة الكثلكة ، لانه يعزز مثل تلك المفاخر عند البروتستان ايضًا . فانهم نشروا رسالاتهم في نواحي المسكونة كافةً ، لا بل انشأوا من المدارس والمياتم والمستشفيات ما يفوق المؤسسات الكاثوليكية.

نعم، ايها القارئ العزيز، انك اذا لم تعتبر سوى كمية المال المنفقة ، وعدد

الابنية وكثرة المستخدمين فيها ، ووفرة ما هنالك من اسباب الرفاهية ، فانت صادق ؛ ان المؤسسات البروتستانية تفوق المؤسسات الكاثوليكية تفوقاً محسوساً. ولكن ، يا رعاك الله ، قابل بين الطرفين ، بالنظر الى ما يمارس فيهما من الفضائل المسيحية ، وخاصة من التضحيات بالذات والتجرّد عن المنافع الزمنية والتسليات البشرية ، يظهر لك تغلب الكثلكة على تلك لا محالة لان الذين يشتركون في اعمال البروتستان المذكورة قلّما يحركهم اليها روح الكفر بالذات ، وان مساعيهم لا تخلو من التعلق بالاغراض الدنيوية ، وبكثرة المال . ومعلوم ان بالمال جميع اسباب الرغد والهناء ، ومع هذا ، لا سبيل للتضحية وبذل النفس . فهيهات ان يكون في رسالات البروتستان وسائر مشاريعهم شيء يدل على انهم يساوون او يسابقون الكثلكة في القداسة ، بل بالعكس . فان اختلاف الثمار التي تأتي بها كلتا الشجرتين يوضح جلياً ان حياة هذه ، اي البروتستانية ، لا تتعلق الا بالمبادئ البشرية ، اما الاخرى ، اي الكثلكة فلها حياة تفوق الطبيعة ؛ ولا يقدر على اعطائها وصيانتها سوى الروح الالهي ، الذي وعد السيد المسيح بانه يستقرّ ويعمل في كنيسته على الدوام.

الا ان بعض خصوم الكثلكة يعترضون على قداستها قائلين : ان فيها عيوباً تضاهي تماماً ما في سائر الجماعات البشرية من الشوائب . فليست اذن الكثلكة افضل واقدس مما سواها من الجماعات . ولتأييد قولهم هذا يوردون ما يخبرنا به التاريخ عن سوء سلوك بعض الاساقفة والبابوات ، ويشكون عموماً من شائبة الكبرياء ، زاعمين انها هي التي اقتادت الاحبار الرومانيين الى الادّعاء بالرئاسة على الكنيسة برمتها . ثم ينحون باللوم على رؤساء الكنيسة بانهم اعتادوا الفخفخة والرفاهية في عيشهم ، خلافاً للفقر الذي اتخذه يسوع المسيح نصيباً له ، واوصى تلاميذه بالمحافظة عليه ؛ ويذكرون اخيراً ما نجم من المعاثر عن سلوك بعض الكهنة والرهبان ، وكان الواجب عليهم ان ينيروا الجميع بضياء قداستهم . فبعد ما جمعوا كل تلك الشكاوي ، كأني بهم يهتفون هتاف المنتصر ويسألون : اين قداسة الكثلكة ؟

فنذكرهم اولاً بما قلناه في القسم الاول من هذا المقال من ان الكنيسة

هي جماعة بشرية ، خلق افرادها من طينة آدم ومثاله . واذن فلم يكن ممكناً ، ان يخلوا مما في الناس من الشوائب . وانه ولئن كان علمنا الرسول : « ان المسيح احب كنيسته وضحّى بذاته لاجلها ، لتصير جماعة كاملة كلية الطهر » ، فهذا الكلام يدلنا على منتهى الكمال الذي تجتهد الكنيسة في الاقتراب منه . امّا حصولها التامّ عليه ، فلا يكون الا في الحياة الابدية .

ثانياً : نجيبهم ان كثيراً من العيوب والقبائح التي عزاها خصوم الكنيسة الى رؤوسائها واكليرسها قد برهن التاريخ الحقيقي على عدم صحته . لذلك يجب التمييز بين الصحيح منها والملفق تلفيقاً ، ممّا يكتبه اولئك الخصوم بهذا المعنى، او ينقلونه نقلاً عن روايات كاذبة ليس غايتها سوى الافتراء على الكنيسة الكاثوليكية واتّهامها بالعار .

ثالثاً : اننا ننكر ما يقال: ان البابوات يتشامخون ويطمعون في الرئاسة . فان سلطتهم العامة ليست اختلاساً . بل اولاهم اياها يسوع المسيح ، في شخص بطرس الرسول ، الذي انابه عن ذاته ، كما يتضح من المباحث اللاهوتية المتعلقة بصورة الجماعة الكنسية . فكان اذن من الواجب على الاحبار الرومانيين ان يحافظوا على تلك الولاية التي ورثوها من بطرس ، وان يدرأوا عنها كل من تعصب ضدّها ، من مبدعي الشيع ؛ ولو انهم اهملوا ذلك ، لما كان منهجهم هذا تواضعاً وتساهلاً ، بل جبانةً وخيانة .

رابعاً : ان ما ينحي به الخصوم باللوم على رؤساء الكنيسة لابتعادهم عن روح البساطة المسيحية والاقتداء بفقر الرسل ، فما كنا لننكره عليهم ، لو انهم كانوا حصروه في بعض الرؤساء . اما وانهم اطلقوه على الجميع ، فانه مردود . وبالتالي اننا نحصره في بعضهم ، ممن لا ننكر انهم افرطوا في حب البذخ وسعة العيش . ومع ذلك فقد اتخذوا هذه الوسائط الملموسة من المجد الظاهر ليظهروا سموّ عظمتهم، وشرف مقامهم للغير، فيؤديهم الاحترام الواجب، والاعتبار اللازم. لاسيا وان الكنيسة هي جماعة كبقية الجماعات. واذن فما دام هذا شأنها ، وجب ان تتخذ مثل هذه الوسائط لصيانة سلطة رؤسائها. وربما كان هذا مبرراً لاولئك الرؤساء طالما كانت هذه غايتهم ، من المجد الظاهر .

غير اننا لا ننكر انه قد وجد بين الاكليروس في خلال بعض العصور ، من استسلم للشهوات والاميال البشرية السافلة ، الا انه لا يمكن لاديب عاقل ان يطلق هذه الحال على كل جماعة الكنيسة . بل لا شك في انه يحصرها في الافراد الذين تورطوا فيها . اما الشريعة الالهية فلن تزال الكنيسة محافظة عليها شديد المحافظة ، وتنادي بوجوب الامتثال لها ، والاذعان لمبادئها المقدسة . واما تلك العيوب فمهما كثرت وقبحت نشأتها فلا يمكن ان تحجب سطوع فضائل القديسين ، ومحامد الصديقين . ويجب ان لا ننسى ان هذه تفوق جداً قيمة وكثرة ما يبدو منها لاعين الملأ . لان اصحاب التقوى يوثرون عادةً ان يمارسوا الفضيلة ويباشروا اعمال البر خفيةً ، بحيث لا يطلع على مآثرهم العجيبة سواه تعالى . ومع ذلك اذا اعتبرت ، يا هذا ، ما يرد في تاريخ القديسين من طهارة اخلاقهم ، وجمال اعمالهم ، وغزارة مواهب الروح القدس في انفسهم ، اضطررت الى الاعتراف بان اللآلئ التي ازدانت بها عروس المسيح تفوق ما لم يزل في بعض اعضائها ، من آثار الضعف ، وضروب الفساد ، التي تتلد لا محالة من الطبيعة البشرية الساقطة .

ولا ينتك ايضاً معرفة ما لا تنفك الكنيسة عن بذله من الجد في استئصال تلك الغراس الخبيثة . فانها لا تمل عن تنبيه الضالين ، وحض الخطأة على التوبة ، وتنظيم الرياضات الروحية ، وتحريض المؤمنين على التأملات الخلاصية ، وتنشيطهم في الصلاة وفي فحص الضمير ، وقبول الاسرار . وما هذا كله الا ملح فعال يميت جراثيم الفساد ، ويصون الحياة الالهية ، في الآنية البشرية الواهنة .

فحبذا لو شاهدنا شيئاً من هذا الاعتناء والاجتهاد في الجماعات الغير الكاثوليكية ، بحيث يجوز الظن ان النفوس ، هناك ايضاً ، تعالج بمثل تلك الادوية الروحية ، لتبرأ من امراضها النفسانية ؛ وتترقى في سلم القداسة لتصل الى حيث تحصل الكنيسة نفسها على كمالها النهائي ، وتتم اتحادها بعريسها ورأسها يسوع المسيح الذي له المجد ، الى الابد . امين !

بناني مجهول

الاخ ساروفيم ڤكتور (١٨٧٩–١٩٢٢)

من اخوة المدارس المسيحية «الفرير»

بقلم ا. م. ب.

٢

الدروس — الترجمة والتأليف

باشر رشيد دروسه، وانكبَّ على الممارسات الروحية الابتدائية للرهبانية. وقد كان احبّ الدروس اليه اللغة العربية التي رضعها مع الحليب، فجدَّ في درسها بلبنانيّته وميله الفطري. لكنه كان يقدّس الدرس بالنية الصالحة، وبغيرة رسولية تأهباً لمهنته العتيدة. فهو لم يدخل الرهبانية الا ليقدّس نفسه، ويسعى في سبيل خير ابناء بلاده خاصة، والبشرية جمعاء.

ولما آنس من نفسه الكفاءة في الانشاء، باشر ترجمة كتب الرهبانية، التي وضعها المؤسس القديس يوحنا دلاسال، لخير رهبانه. وقد رأيت بعض هذه التراجم للفتى رشيد، فأكبرت ذينك الاقدام والتضحية من لدن شاب ذكي في عنفوان الصبا. فانه لم ينقد للهوى فيترجم أو يؤلف ما يلذّ للشباب، من مآتي الخيال والشاعرية بل ترجم ليتفهّم اكثر فاكثر معنى الحياة الرهبانية، ويزداد رسوخاً في المسعى الذي اختاره . . . فمن طالع ما ترجمه الاخ ساروفيم الشاب، لا يدري أهو تأليف عربي محض ام ترجمة عن لغة أجنبية، بشير خير لمستقبل باهر.

وكانت نتيجة ذلك ان ازداد الاخ ساروفيم تعلّقاً في دعوته، وتسلح بتقوى مكينة ليظلّ راهباً صالحاً، على رغم ما اعترضه فيما بعد من المصاعب والعقبات. فاحتمل مشقّات الحياة الرهبانية القشفة بشهامة وثبات، لتذرُّعه بروح الايمان.

ولولا التديّن الصادق والعفاف الملائكي ، لمبت في رشيد عطا الله روح الكبرياء والخيلاء ، عندما عُيّن مديراً للدروس العربية واستاذاً للبيان في جامعة الاخوة بالقدس ، وهو لم يتجاوز ١٩ ربيعاً .

ولكن فضيلة التواضع عصمته من الزلل ، ومن رذيلة التبجّح . فهو لم يفتخر قط بمعارفه . ومن لم يعاشره ، أو لم يتلمذ له ؛ أو لم يقرأ مؤلفاته ، لم يكن ليدرك ان هذا الراهب الوقور الرزين ، يُلمّ بكثير من المعارف واللغات . فقد أدرك من العربية ما قصّر عنه كثير من الادباء ، واتقن الافرنسية وآدابها كالمتضلّعين منها ، والانكليزية والموسيقى ، والرياضيات . . . لكنه لم يكدّ في الحصول على العلم ، ألّا ليقوم بواجباته خير قيام ، وينفع رهبانيته حق المنفعة .

مدير الدروس في القدس

« اسمح لي ان أبدي لك اعجابي بمعارفك الجمة ، فانت أحد أعلام العربية وعارفي اسرارها . » هذا ما وجهه المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني اللغوي الشهير ، للاخ ساروفيم بعد زيارته معهد الاخوة في القدس ١٩٠٩ .

لم يكن للغة العربية شأن في المدارس الكاثوليكية في فلسطين منذ ٣٥ سنة . وكان معهد الاخوة ، في القدس اكبرها . وقد كانت العادة حينذاك ان ينهي الطالب دروسه في معهد الاخوة ، ثم يدخل المدرسة الانكليزية بالقدس ، ليتمّ دروسه العربية .

فآلم الاخ ساروفيم ان تُعدم جامعته المحبوبة ، ركناً من اركان التعليم الضروري في بلاد عربية . فكان هو ذلك الركن . فاستلم الصفّ الاعلى ، وأخذ يُلقي دروسه كمن ملك ناصية اللغة وفقه كنهها . فحبّب الى تلامذته لغة أجدادهم . وانقلب وجه الامور . فأصبحت جامعة الفرير عماد اللغة العربية وركنها ، ومحجة الفصحى ، والمدرسة العليا في فلسطين لمن رغب التعمّق في العربية .

وتهافت التلامذه من جميع طبقات الامة وأديانها ، ليرتشفوا زُلال العلم الادبي ، الذي اصبح قريب المنال بفضل حسن اسلوب المدير الجديد

وقد وضع منهاجاً للدروس العربية ، فريداً في نوعه في ذلك الزمن ، بناه على معرفة القراءة العربية وجودة النطق بها ، وتفهم معنى ما يُقرأ ، وبلوغ ذلك بواسطة اسئلة عديدة واستظهار معنى المفردات ، التي كان يعدّها ذخراً للطالب يُمهد له الكتابة ، لمعرفته الالفاظ ومعناها وعلاقتها أو اتصالها بعضها ببعض .

واني أعزو نجاح الاخ ساروفيم ، الى شديد اعتنائه بالاستعداد على الدروس وتدوينها يومياً في دفاتر كانت للاساتذة انموذجاً ومرجعاً ، لما حوته من التبويب الحسن ، والملاحظات القيمة ، والشروح التي كان يرغب ان يدوّنها التلامذة ، ولاسيما فيما يختصّ بقواعد العربية والتمارين ، وتصريف الافعال .

وقد رأيت تعليقه على كتاب علم الادب للمرحوم الاب لويس شيخو . فاتمّ ما نقص ذلك السفر الجليل ، ودلّ على فهمه التام لعلم بيان العربية ، وما اندر فاهمي هذا العلم ! ودبّت الحميَّة في الاساتذة فاخذوا يحذون حذو مديرهم الشاب . فاصبحت الصفوف العربية جنة علم واستفادة ، بعد ان كانت ممقوتة تمضي دون كبير فائدة .

فكنت ترى الاساتذة ، حتى المتقدّمين المحنكين ، لا يأنفون من الاستنارة بمعارف الاخ المدير ، مستوضحين ما كان يظهر لهم غامضاً في اسلوب التعليم الجديد .

مرضه — وفاته

اخيراً لم يبقَ لذلك الذهب الّا بوتقة الالم لينقّى من الشوائب . فافتقده الله ، بالقدس ، بداء الصدر الوبيل منذ السنة ١٩٠٨ . فحاول الاستشفاء ، طوعاً لامر الرؤساء ، تارةً في لبنان واخرى في وادي النيل . فلم يجده التنقّل نفعاً . فعاد الى فلسطين حيث رأيته بأم عيني يقاسي الامرّين من داء لا مردّ لفتكاته . ولدى كل نوبة كان يحسب انها مؤدية بحياته ، فيطلب الاسرار الالهية ويتقبلها بكل ورع سائلاً اخوانه الصفح عن سيئاته .

ثم قضت مشيئة الله بان يُحمل الى فرنسة ، فسافر ومعه بعض الكتب العبرانية ليزداد تبحراً في لغة كان درسها سابقاً ، مملّلا النفس بالعودة الى الارض المقدّسة .

ولكن استحكام الداء لم يترك مجالًا فسيحاً لهذا الامل المنعش . فقاسى فقيدنا الآلام المبرّحة مدة ٩ سنوات كتب في خلالها واصفاً حالته : « أرأيتك لو سقطت قطرة ماء على صخرة مدة سبع سنوات فماذا تظنها تعمل فيها ؟ ايها الحبيب ، الجسم سقام وآلام وحطام ، والقلب همّ وغمّ وكلام ، والفكر حزن وضنك وظلام ، وانا من جرّاء ذلك في هاوية لا يدرك قرارها ولا يستطيع ان ينشلني منها الّا الخالق القدير . . . » على انه درس في غضون ذلك . . . وما عساه ان يدرس ؟ درس ما طالما مارس وعلم بمثله ان يمارس ، درس الصبر . وما اصعبه على من بسم له الدهر مدة ثم رأى تلك البسمات تتحوّل الى تجهّم وعبوسة ؟ وهو الذي كان يكرّر علينا في الظروف الصعبة : « الصبر ! الصبر ! العين لا تقاوم مخرزًا ! » . وقد جنى من تلك المحنة الشديدة فضيلة الاستسلام لارادة الله ، فقال مع يسوع المنازع : « لتكن مشيئتك ، لا مشيئتي ! » ولبث السنة الاخيرة من حياته في تلك الحالة التي اذعن فيها لارادة الله ، وربما اهاب به داعي ربه فلباه في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٢٢ ، في مدينة مولن (Moulins) في فرنسة ، ولم يرَ الرابعة والاربعين من سنه

صفاته

امتاز المرحوم الاخ ساروفيم بجميع الفضائل التي يزدان بها الرهبان فتدفعهم الى اتمام الواجب الذي خصّصوا ذواتهم له من التجرّد والتضحية والطاعة . وكان ابرز هذه الفضائل فيه التؤدة والصمت والتواضع .

كان متروياً رزيناً في كل ما يقول وفي كل ما يصنع . ظهر اثر ذلك في جميع اعماله وتآليفه سواء كان في النثر ، وكتابه « تاريخ الآداب العربية » شاهد لما اتاه من النحت والشذب والصقل ايسلس انشاءه ؛ وفي الشعر ، ونظمه ، وان قليلًا ، دليل على اخذه بالاعتدال في اي فنّ طرقه من مدح ورثاء ومزح وغيره .

وكذلك كان في كلامه متروياً مقتصدًا ، يألف الصمت ، فيزيده وقارًا وهيبةً ليست بالمزعجة . وقد حفظه الصمت من اغتياب الغريب ، ووفّر لـه

اسباب التفكير وانضاج المشاريع ، وسهّل عليه طرق التأملات الدينية ومناجاة الله .

والصمت والتواضع توأمان . ولذا فمن حدث عن عالم صامت حدّث عن عالم متواضع . وما ابعد ما كان حبّ الظهور عن الاخ ساروفيم ! انه مؤلف ، ومع ذلك يبحث الانسان عبثاً عن اسم له على ظهر كتاب . وهذا اشهر كتبه « تاريخ آداب اللغة العربية » يظهر وليس عليه اسم صاحبه ، وذلك بارادة الاخ ساروفيم نفسه . كانت ايام الحرب ، وكنا في الاسكندرية والمرحوم في فرنسة . وكان قد يوشر طبع الكتاب ، وأخذ بارسال المسودّات الى المؤلف . فأرسلت « الملزمة » الاولى ، وعلى الصفحة الاولى منها بحرف كبير : « تأليف الاخ ساروفيم » ومضت بضعة ايام واذا بالملزمة تعود من لدن المؤلف وقد شطب على اسمه وكتب تحته : « تأليف احد اخوة المدارس المسيحية » . . . دارت الليالي واذا بمن أُلقيت في ايديهم مقاليد الحلّ والربط الفوا ان الكتاب يضخم جداً ان طبعت كل التراجم المخطوطة ، فتقدموا الى المؤلف بحذف فصل ثم فصل ؛ فكان يصدع للامر رغم معرفته بانه سيُحتاج عاجلاً او آجلاً الى ما يحذفون في تلك الطبعة : وقد حدث ما كان يتوقعه . . . وهو ، فضلاً عن ذلك ، لم يشأ ان تطبع له قصيدة او خطاب او رواية ؛ وان كان طبع شيء فقسراً او على غير علم منه . بيد ان عاطفة الشكر دفعت احد مواطنيه من الاخوة فطبع بعض رواياته التمثيلية منذ سنتين في مجموعة سمّاها « الذكرى الخالدة » وكان قد سبق ونشر موجز ترجمته في الطبعة الثانية من كتاب « تاريخ الآداب العربية » .

تآليفه

الروايات — الامالي

من عرف ما يقاسيه اخوة المدارس المسيحية من التعب ، والانهماك سحابة النهار وحصّة من الليل بما يؤول لانجاح تلامذتهم ، وممارسة ما تقضيه قوانينهم

الرهبانية ، يعجب كل العجب كيف انهم يجدون مجالًا ما للتأليف ، ولاسيما المسؤولون منهم عن دائرة من دوائر الادارة العامة .

والاخ ساروفيم كان ، مع القيام بتدريس صف البيان ، يهيّ موادّ الامتحانات الشهرية ، ويصلح معظم التحريرية منها ، ويقوم بالامتحان الشفوي وبعد المدرسة وقبلها كان يطّلع على ما أعدَّه كل استاذ ، ويناقشه في ما لا يراه موافقاً ، او يحذف ما يراه ملائماً . . . ومع كل ذلك لم يحجم عن كتابة ما كان يدله ذوقه السليم الى ايجاده ، اذا لم يُوجد . فأوّل ما قام به كان وضع بعض روايات تمثيلية رأى الحاجة ماسّة اليها ، لفقر العربية بما يلائم ذوق الاولاد ويروق والديهم . ولما كانت اللغة الفرنسية غنية بمثل تلك الروايات ، اخذ عنها ستًّا ، طبعت المطبعة الكاثوليكية اربعاً منها تحت عنوان : الذكرى الخالدة . فمن طالع تلك الروايات لا يمكنه ان يصدّق انها معرّبة ، بل يتأكد انها موضوعة ، لفصاحة عبارتها وتصوير المحيط الذي وقعت فيه كمحيط شرقيّ محض ، لا يشتم منها قط رائحة العجمة حتى في اسماء الممثلين والمدن .

وقد كان له ملكة نادرة في اللغة ومعرفة مفرداتها ، وميل خاص الى اطلاع التلامذة على خصائصها . وقد وضع آمالي للامتحانات في الصفوف ولاسيما العُليا منها ، لم يزل بعضها حتى الآن بين ايدي تلامذته ، والاساتذة الذين عملوا تحت ادارته . ومن هذه الامالي رسائل شتى كان يضعها لغاية مزدوجة : للتدرّج في صعوبات الاملاء ، وكمثال في انشاء الرسائل ، ومنها نصائح وحكم . وانشاء الاخ ساروفيم من المرسل العالي النمط ، على طريقة الشيخ ابراهيم اليازجي ، وابن المقفّع ، وولي الدين يكن ، ومحمد عبده . واقتداء بالشيخ ابرهيم ، كان الاخ ساروفيم يميل الى استعمال السجع في كتابته ، اللهمَّ متى جاء عفواً وبلا تصنّع . وانت اذا طالعت مقالات كتابه تاريخ الآداب المصدّرة كلها بمقدمة مسجّعة ، او اماليه او رواياته وحتى رسائله ، تعجب باسلوبه وانسجام عبارته ، ورقّة تعابيره ، ورنّة سجعه اللطيفة .

(لها بقية)

البنانه

نظرة نقدية

بقلم فؤاد افرام البستاني

طالما تاق ادباؤنا الى معجم عصري واسع ، صحيح ، يصلح ما شاب المعاجم المتقدمة من فساد ، ويرتّب ما شوّشها من اضطراب ، ويحذف ما تراكم فيها من حشو وتكرار فكان لهم « البستان »[1] . ظهر في مجلدين كبيرين ، مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق صقيل ، بحرف واضح هو اضخم في المادة المشروحة منه في الشرح. فأهلت به الاوساط العلمية ، واشادت بذكر صاحبه المرحوم الشيخ عبدالله البستاني ، من انقادت اليه اللغة في عصرنا باوابدها وشواردها ، فكان اجدر من يؤلف فيها . على انه لم يدّعِ ان « الكتاب حصين عن انظار الناقدين ، او بعيد عن مرامي المزيّفين »[2]، وليس من عاقل يدّعي الكمال للآثار البشرية. فلا غرابة في ان يرى فيه المطالع المدقّق اهمالًا او زيادةً او شروحاً يخالف فيها سائر المعاجم. فان من عرف آراء الشيخ اللغوية ، وطريقته في استقصاء معاني الالفاظ، وما كان يحتّي به اسفار القوم آخذًا عليها كثيرًا من غلط النسخ والتحريج ، ادرك انه أهمل ما أهمل لسبب وجيه ، وزاد ما زاد لغاية قويمة ، وخالف من خالف عن بحث واقتناع. وهذا ما كنا ننتظر ان يبيّنه ، وما كان عازماً ان

---

١) البستان : معجم لغوي، تأليف الشيخ عبدالله البستاني اللبناني – ٢٧٨٤ صفحة كبيرة – المطبعة الاميركانية ، بيروت – ظهر المجلد الاول سنة ١٩٢٧ (المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ١٥١) والثاني سنة ١٩٣٠ ، بعد وفاة المؤلف بعشرة ايام . – ثمن كل مجلّد جنيه مصري واحد .

٢) مقدّمة الناشر ، ص ٣ من المجلّد الثاني .

يرضجه في تلك المقدمة التي ارجأ كتابتها الى ما بعد انتهاء الطبع ، والتي حالت المنيّة بينه وبين تدبيجها.

بيدَ ان من الحقّ والواجب ان ندقّق النظر في « البستان » ، فنرى هل امتاز عمّا تقدّمه من اسفار اللغة ، وهل من مبرّر لاجماع الادباء على تقريظه[1] ، والحضّ على اقتنائه ؟

لا يخفى ان المعاجم القديمة على اختلاف عقليـة واضعيها ، وتباين عصور وضعها ، تشترك كلها في شوائب عـدة ذكر منها ستًا حضرة الخوري بطرس البستاني ، كاتب مقدمة البستان ،[2] وهي: سوء الاختيار للالفاظ وعدم التحرّز من الحوشية والوحشية ؛ عدم التنسيق ؛ التعريف الدوري ؛ التقصير في تعدية الافعال القاصرة ؛ الخلط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ؛ اهمـال الالفاظ المولّدة ؛ ونضيف اليها شائبة سابعة وهي القصور في التحديد ، ولا سيا في ما خصّ اسماء النبات والحيوان.

اما البستان فمن انعم النظر فيه،وقابل بينه وبين ما تقدم من دواوين اللغة، تأكد ان صاحبه تجنّب الشائبة الاولى والثانية والرابعة والخامسة ، وشيئًا من سائر الشوائب . فقد تحاشى عن الالفاظ الحوشية والوحشية ، وعن كثير غيرها مما يُشتمّ منه فساد الذوق ؛ ولم يضرّ هذا في سعة القاموس ، بل انك قد تجد فيــه كثيرًا من المفردات المأنوسة التي لم تذكرها امات المعاجم. وقد اجتهد كل الاجتهاد في التبويب والتنسيق فحـذف الحشو والتكرار ورتب الموادّ والمعاني،حتى غدا ذلك من اجلى مزايا الكتاب،ومن ادعى الاسباب الى ترغيب الطالب في تقليب صفحاته. وقد اهتمّ كذلك بتعدية الافعال القاصرة ؛ وبالتمييز

---

١) اثار هذا التقريظ حفيظة بعض من لا يروقهم ان يُذكر غيرهم بلسان خير ؛ فقاموا ، بعد وفاة المؤلف ، ينعون على « البستان » اغلاطه ، ويعدّدون هفواته ، بلهجة اقل ما فيها انها تنمّ عن نيّة سيئة ، وادّعاء مفرط ، وحسدٍ يأكل صاحبه – والحسد مفسدة العلم والعلماء !– فيدفع به الى الحطّ من مناظريه والعمل على تقويض شهرتهم العالية . ومن احتاج الى خفض العلماء ودكّ درجاتهم، ليظهر رفعة شأنه ، كان من اقزام العلم ، قصير الباع ، ضئيلًا . . .

٢) يرى المطالع ملخّص الشوائب الستّ في آخر هذا الدرس.

بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الاصلي والفرعي ، سائرًا في ترتيب شروحه على هذا الاسلوب في الغالب.

اما التعريف الدوري فقد خطا خطوة واسعة في سبيل تجنبه ، فتخلص منه الا ما كان عن سهو. واما الالفاظ المولّدة فقد اهملها بالاجمال ، لا عن سهو او قصور، بل عمدًا ؛ لان المعجم في عرفه لغوي محض، فلم يشأ ان يدخل فيه الا الالفاظ العربية الصريحة الدالّة على المعنى الذي عبّر بها عنه العرب الخلصاء. حتى انه أهمل الاوضاع العلمية والفنية القديمة التي امتاز بها « محيط المحيط »، فكان البستان ، من هذه الناحية، اضيق من معجم المعلّم بطرس. وهو تعصب للغة يضيّق عليها باب النموّ ، وعلينا باب التقدّم في الكتابات العلمية . ولكنّ له وجهًا من العذر، خصوصاً اذا ادركنا غاية المؤلف من الحرص على سلامة اللغة، واذا اعتبرنا ان مثل تلك الاصطلاحات لا يمكن اقرارها الا بسعي لجنة من العلماء ، ولا تثبيتها الا بموافقة مجمع علمي رسمي ، وهو ما لا نزال اليه مفتقرين. ولقد نشط ارباب المطبعة الاميركانية لسدّ هذه الثلمة في البستان وفي غيره من المعاجم ، فعقدوا نيّاتهم على ان يضيفوا اليه ملحقاً يتضمن جميع الالفاظ والمصطلحات الجديدة من مولّدة ومستحدثة ومعرَّبة ومنحوتة[1].

واما القصور في التعريف ، وهو الشائبة السابعة ، فالحق يقال ان البستان لم يخلُ منه تماماً . على ان له فضلًا جزيلًا في انه اتمّ الكثير من التعريفات الناقصة قبله، يتضح ذلك لمن يقابل بينه وبين « لسان العرب » مثلًا ، بل لمن يقابل بينه وبين القواميس الحديثة ، وكلها تدعي على صواب بانها اتت شيئاً من تلك التعريفات .

وعلى الجملة نرى ان « البستان » اتى في حينه فوضع حدا للفوضى الناشئة في اللغة ، اذ غربل مفرداتها فرمى بالدخيل والحوشي ، وحصر الفصيح منها بين دفتيه ضابطاً اياه بالحركات والاوزان[2]، فاستحق ثقة القوم، وثناء العلماء الاعلام.

* * *

١) وقد اطلعنا على باب الهمزة من هذا الملحق فألفيناه يبشر بالنجاح.

٢) قد وقع بعض الخلل في هذا الضبط بسبب ما تراكم من الاغلاط الطبعية التي لم يكن

هذا ولا يسعنا الا ان نشير الى تلك المقدمة النفيسة التي قدمها على الجزء الثاني، حضرة الاب اللغوي المشهور الخوري بطرس البستاني، نسيب المؤلف وتلميذه. فاودعها ما شاء علمه من آراء ناضجة، ونظرات دقيقة جديدة في اصل اللغات وطبقاتها عموماً، وما امتازت به اللغة العربية خصوصاً، وتعليل الشذوذ فيها، والقول في ان الاعراب الجاهليين ليسوا في عصمة من الخطأ، وهو من اطرف الابحاث المقدّمة. ثم اشار الى ما انزل البصريون والكوفيون من النوازل باللغة، والى فضل قريش عليها؛ والى انها لم تنتهِ الينا برمّتها، وهنا تكلم عما ضاع من الشعر الجاهلي وعمّن أُخذت اللغة، وهل كل ما نقله اللغويون خالٍ من الفساد والنحل. ووصل الى المعاجم فذكر شيئاً عن اشهرها، وعن واضعيها وزمن وضعها، ثم تبسّط في شوائبها، وهو البحث النفيس الذي نقلناه في آخر هذا المقال. وانتقل الى مناسبة الالفاظ للمعاني فجال في ما راعاه العرب من الخفة في تركيب الفاظهم، وجرّه ذلك الى البحث في طبيعة الحروف وذكر ائتلافها بحسب مخارجها، وما تحدثه شدّتها ورخاوتها من التفاوت في الالفاظ المتقاربة المعاني، وانتهى الى خصائص الحروف، وهو بحث عزيز عليه، نشرنا له شيئاً فيه سابقاً (المشرق ٢٧[١٩٢٩] ٦٣٤). هذه بعض ابحاث تلك المقدّمة الجامعة، وافضل ما نقول فيها انه لو كان اطلع عليها المرحوم الشيخ عبد الله لما كان انكرها، بل لما كان تردّد دقيقة في توقيعها

فنحن نستمطر الرحمة تكراراً على ضريح فقيدنا العزيز، ونشكر لحضرة الخوري بطرس غيرته على اللغة، كما اننا نشكر للمطبعة الاميركانية اهتمامها بابراز هذا الاثر النفيس الذي سيظل منتهى الابحاث اللغوية الى امد بعيد.

يقتضي للمؤلف اصلاحها إبان مرضه. وان من دواعي الاسف ان يقع مثل ذلك في مثل هذا السفر الجليل. ولهذا فنحن نرغب الى من يقوم بادارة طبع الملحق المصري في ان لا يضنّوا بوقتهم على مراجعة مجلّدي البستان، وسرد لائحة بالاغلاط يردفونها بالملحق المذكور؛ فتكون خدمتهم للغة مزدوجة، وشكر ادبائها لهم مزدوجاً كذلك.

في شوائب المعاجم

لحضرة الخوري بطرس البستاني

يثني حضرة الكاتب على جهود اللغويين القدماء الذين توفّروا على جمع شتات اللغة من افواه العرب الملصاء ، فيحييهم بعواطف الاجلال . ولكنه لا يرى بدًّا ، في بحثه ، من ان يذكر ما شان معاجمهم من الشوائب ، واهمها ستّ نوردها ببعض اختصار :

الشائبة الاولى : سوء الاختيار للالفاظ وعدم التحرز من الحوشيّة والوحشيّة

من المعلوم ان جامعي اللغة كانوا ، اذا ارادوا ان يؤلفوا كتاباً لغويًّا ، يختلفون الى البادية حيث يجتمعون بالقبائل ، فينقلون عنهم مـا يروونه لهم من الروايات ، وما يسمعونه من أفواههم من الكلمات في محـادثاتهم ومسامراتهم ومناظراتهم ومنافراتهم . وربما كانوا يتابعون الرحلات الى تلك البوادي السحيقة للتحقيق والتثبُّت .

غير انه لا يمكننا ان نجزم بان كل ما اشتملت عليه معـاجمهم هو منقول عن القبائل الصرحاء الذين لا منقف في عروبتهم ، ولا مغمز في فصاحتهم . والا ما كنا نرى في تلك المعاجم نحوًا من عشر الفاظها مما لا يسوغ استعمالـه في الكتابة ، اما لمخالفته للذوق الصحيح ، او لمكانه من الغرابة ، او لتوغّله في الحوشية والوحشية ، الى غير ذلك مما كان دفنه خيرًا من بقائه كالدُّمّل في جسم اللغة البهيّ . . .

ومما هو جـدير بالاسف انه بات من الراسخ في وهمنا ان تلـك الالفاظ المستكرهة لا بد من اثباتها في معاجمنا ، والَّا اجترحنـا افظع جريرة في حقّ لغتنا ، وأفقدناها كنزًا ثميناً لا يعوّض . ولا نعلم متى تسقط هـذه الكلمات المنبوذة من معاجمنا بل من الكتب التي تتداولها ايدي الناشئة . . .

الشائبة الثانية : عدم التنسيق

اذا تصفحت احدى موادّ اللغة أيّة كانت ، وفي اي معجم كان من أمّات المعاجم القديمة ، انكرت البلبلة السائدة في نمط سردها ، وهالك ان يختلط بعضها

ببعض اختلاطاً يستفظعه كل من يضنّ بوقته الذهبي . ولم تمالك عن ان تحكم بان اولئك اللغويين كان همهم الوحيد ان يجمعوا الفاظ اللغة في كتبهم للرجوع اليها لدى الاقتضاء . ولم يمتدّ نظرهم الى من سوف يجيء بعدهم من الاعقاب ممن تضطرّهم الحال الى الاستعانة بمثل هذه المراجع اللغوية .

ولو كانت المادة التي تريد تصفُّحها واقعة في صفحة او صفحتين لهان الامر، ولكنها كثيرًا ما تستوعب عشر صفحات ونيّفاً ؛ حتى لقد ينفد صبر الباحث عن معنى احدى الكلمات فينقلب والاسف ملءُ صدره بدون ان ينال وطرًا . . . .

الثالثة الثالثة : التعريف الدوري

من المقرَّر ان الغاية من تعريف الكلمات الايضاح وازالة الابهام . فاذا كانت اللفظة المفسِّرة لما قبلها في حاجة الى الشرح، او هي اغمض معنى من اللفظة المفسَّرة، اوقعت المطالع في الارتباك . وهذا الخلل قلَّما يسلم منه معجم من المعاجم قديمة كانت او حديثة . واكثر ما يقع ذلك عن سهو وغفلة والّا حكمنا بالعجز والقصور على اصحابها الذين هم امراء البيان وائمة اللغة في كل عصر واوان .

والمراد بالتعريف الدوري ان تفسَّر كلمة باخرى مرادفة لها ، ثم تفسَّر الثانية بالاولى ، كانك تفسِّر الماء بالماء . ودونك بعض مُثُل عليها منها قولهم : تلافى الامر : تداركه . وتدارك الأمر : تلافاه ، وهذا التعريف الدوري لهذا الحرف واقع في جميع المعاجم وهو من الغرابة بمكان .

ومن هذا الضرب قولهم تنجَّز الحاجة : استنجحها ، واستنجح الحاجة : تنجَّزها . ومنه قولهم الجوّ : الهواء ، والهواء : الجوّ .

الثالثة الرابعة : التقصير في تعدية الافعال القاصرة

متى عرفت ان شيوخ اللغة وائمتها الافذاذ كثيرًا ما يرتبكون في تعدية بعض الافعال القاصرة التي ذهلت المعاجم عن ذكر الحروف التي تتعدّى بها الى مفاعيلها ، ادركت ما جناه مؤلفو تلك المعاجم الى اللغة والمتكلمين بها بسبب هذا الاهمال .

ونحن لا يخامرنا ادنى ريب في ان هؤلاء الجهابذة الذين قطعوا مراحل

الحياة ، وهم مكبون على درس اللغة واستنباط اسرارها وغربلة اوضاعها ، حتى أفضت اليهم بتقاليدها وسلّمتهم زمامها ، لم يهملوا ما اهملوه لنقص في معرفتهم اللغوية . وانما وقع ذلك منهم إما سهوًا ، او لاعتادهم على تبحّرهم في اللغة تبحّرًا يغنيهم عن تدوين ما ليسوا في حاجة الى تدوينه.

الشائبة الخامسة : الخلط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي

المراد بالمعنى الحقيقي هنا المعنى الاصلي الذي عيّنه الواضع للكلمة عند استعمالها لاول مرة ، وبالمجازي ما تفرّع عن المعنى الحقيقي لمناسبة بينهما . وهذه المناسبة لا بدَّ من وجودها بين المعنيين ، وهي بمثابة الصلة بين العلة والمعلول . فاذا فُقدت هذه الصلة كان للغوي مجال لان يحكم بطروء المعنى الثاني على المعنى الاوّل ، بل كان له سبيل الى القطع بان المعنيين انما استعملتهما قبيلتان لا قبيلة واحدة بعد تفرّق القبائل واضطراب سلسلة الوضع . وما من شيء اصعب على اللغويين من هذه البلبلة في موادّ اللغة ، ولاسيما اذا كانت المادة تشتمل على ثلاثة او اربعة معانٍ متباينة ، وكان لكل معنى فروعه.

وأصعب من كل ذلك ان تكون الفروع متشابكة مختلطة بحيث لا يقوى على ردّ كل فرع الى اصله الا اللغويّ الضليع الذي ذلّل شكيمة اللغة فسلَّس له قيادها . اما من كان قاصر النظر في الفلسفة اللغوية فانه يتنفس الصعداء قبل ان يتسنى له تفريع الالفاظ وتخريجها تخريجًا منطبقًا على سرّ الوضع ، وموافقًا لمراد الواضع.

ولا بدّ لنا في هذا المقام من ان نبين لشداة العلم ان الصلة التي يجب ان تكون بين كل اصل وفرعه انما هي ذات الصلة الواقعة في المجاز. وهو في علم البيان نوعان : احدهما المجاز المبني على التشبيه ويقال له الاستعارة ، والآخر المجاز المرسل ، وهو ما كان اما من قبيل التضمّن كأن تستعمل الكل في موضع الجزء او الجزء في موضع الكلّ ، او من قبيل الالتزام كأن تستعمل المحلّ بدلًا من الحالّ فيه.

اما المجاز المبني على الاستعارة فمن امثاله قولهم : كلِبَ فلانٌ اذا اكل

كثيرًا بلا شبع واصابه شبه جنون الكلاب من عض الكلب. الكلِب وكلِبَ على الامر حرص عليه حِرص الكلب. وكالبه ضايقه مضايقة الكلاب بعضها بعضاً عند الهارشة . وتكالبَ القوم على كذا تواثبوا عليه . وتكالب الناس على الدنيا اشتدَّ حرصهم عليها حتى كأنهم كلاب .

واما المجاز المرسل فمن امثاله قولهم بَسَرَهُ اي اعجله ، وبَسَرَ النخلة لقحها قبل اوانها ، وبَسَرَ الدين تقاضاه قبل محلّه ، فقد استعمل الفعل في الاصل لمطلق العجلة ثم خصَّصه بالنخلة والدَّين ، فاشتقّ الخاصّ من العام او استعمل الخاصّ في محلّ العامّ ، وهو من مواضع المجاز المرسل .

بقي ان نرشد الطلّاب الى الخطة التي يجري عليها اللغويون في تمييز الفروع من الاصول وهي انهم ينظرون في كل مادة الى المعنى المعبّر عن المحسوسات ويعتبرونه اصلًا لما يتفرّع عنه من المعقولات ، لان المتواضعين على اللغة ، عندما وضعوا موادّها ، قدّموا في الوضع الاشياء المحسوسة على المعقولة على ما اقتضته بداوتهم في ذلك العهد . ثم اخذوا ، بعد ان اشرقت في ربوعهم شمس الحضارة ، يحلّقون فوق المادة ويسبحون في جوّ الخيال ، فوضعوا الفاظًا كثيرة للمعاني المجرّدة التي يدركها العقل ولا تقع تحت الحواس ، فكان من ذلك وثبة مباركة الى العلويّات ، بعد ان قضوا عصورًا في عصور لا يتعدّون المحسوسات . وقد سلف لنا كلام بهذا المعنى في باب سابق . على انه ليس في تمييز المعقول من المحسوس ادنى صعوبة . ولكن الصعوبة في ما لو كان للكلمة معنيان كل منهما يدلّ على شيء محسوس . فاقوم ضابط لمعرفة ايهما هو الاسبق ان تنظر الى المعنى الذي قضت الحاجة على البدوي باستعماله قبل الآخر ، فيكون اصلًا له .

ومما لا ريب فيه ان اللغويين القدماء انما اهملوا الجري على هذه الخطة الرشيدة في تنسيق المعاني الاصلية والفرعية ، اما لاعتمادهم على مقدرتهم اللغوية ، او لاقتصارهم على جمع الالفاظ في كتب اللغة حذرًا من الضياع ، معتبرين ان مهمتهم قد انتهت عند هذا القدر . ثم جاء المتأخرون ونسجوا على منوال الاقدمين ، وبقيت هذه الثلمة مفغورة في معاجمنا لان الشرقيين عرفوا بالتقليد ، وعزيز عليهم ان يفكوا نفوسهم من قيوده

الشائبة السادسة: اهمالهم للالفاظ المولدة

لقد بلغ من حرص اللغويين القدماء على لغة اهل الحجاز وغيرهم من القبائل النازلين في قلب البادية أنهم اعتبروا كل ما تداولوه من الالفاظ كأنه من الآيات المنزلة فاثبتوه في معاجمهم، وابوا ان يضموا اليه ما كانت تتعاوره سائر القبائل، ولاسيما المجاورة للاعاجم، كانه من سقط المتاع او كأنه وباء تسري عدواه الى جسم اللغة فيفسده. ولذلك لم نرَ في الاسفار اللغوية كثيراً من الالفاظ التي كان يستعملها اليمنيون والغسانيون واهل الحيرة وسواهم من القبائل المتحضرة النازلة في اطراف الجزيرة او التي لها خلطة بالامم العريقة في المدنية. فافقدوا اللغة بهذا الاهمال ما لا يحصى من الاوضاع مما كانوا يستخدمونه في الاغراض التي جدَّت عندهم في ابان حضارتهم، ولم يكن للعرب في اواسط البادية ادنى عهد به.

ولولا هذا التقصير، لما كنا اليوم على ما نحن عليه من العجز الفاحش عن تأدية كثير من المعاني والادوات الحضرية بألفاظ نستخرجها من معدن اللغة نفسها، جارين في ذلك على الطريقة التي جرى عليها اولئك المتحضرون في ايجاد كلمات حديثة لما جدَّ عندهم من المعاني، بعد انتقالهم من خشونة البداوة الى نعومة الحضارة. فكان عن هذا التقصير ضرر بيّن لا نزال نشعر بجسامته، ولاسيما في هذا العصر الحافل بالاختراعات والاكتشافات، الزاهر بآيات التفنن والابداع.

على انهم لو وقفوا عند هذا الحد من التفريط لكانت البلية أخف وطأةً وأيسر محملاً، ولكنهم أعرضوا ايضاً عن اغلب الالفاظ التي جدّت في اللغة ولاسيا على عهد العباسيين، بحجة انها من استنباط المولدين لم تجرِ على ألسنة العرب الخلصاء، لا في جاهليتهم ولا في صدر الاسلام . . .

فاذا تمثّلت عصر العباسيين بجميع مجاليه الحضرية، وعرفت ان ابناءه لم يعجزوا عن استنباط كلمات لجميع المعاني والاغراض التي تولدت عندهم، اكبرت الخطب الذي انزله باللغة ارباب المعاجم لاسقاطهم منها تلك الكلمات

المولَّدة التي لو بقيت لكانت أنفس قلادة في جيد هذا اللسان الشريف .

وها نحن نورد لك هنا شيئاً من تلك الكلمات مما عثرنا عليه في تضاعيف الكتب وليس له اثر في مصاحف اللغة :

فقد جاء في كلام ابن خلدون: الالهام، يريد به الهداية المخلوقة في الحيوان؛ والوزائع ، يعني بها الضرائب التي يوزّعها الحاكم على الرعيَّة . وورد في كتاب الاغاني : ندَّر الرجل وتندَّر اذا جاء بالنادرة . وقد ندَّر بفلان وتنادر عليه اذا جعله مورد نادرته . وفي الثعالبي : تطرَّف بالشيء اذا اتخذه طرفةً وهي الشيء المستملح . وجاء في نفح الطيب: بلاد معتدلة المزاج اي معتدلة الهواء . وورد فيه ايضاً : المقيِّدة والمراد بها الدفتر الذي يكتب فيه الرجل ما يعِنُّ به تذكرة لنفسه . وقريب من هذا المعنى التذكرة وهي الرقعة يُكتب فيها الشيء ليتذكر ، وقد وردت في خزانة الادب للحموي . ومن هذا النوع المزولة للساعة الشمسية ، ذكرها الخفاجي في ريحانة الالبّاء . والعِقال لما يُشدُّ على الرأس، جاء في شعر لابي فراس الحمداني . وخيال الظلّ للامثلة المشبَّحة من وراء ستار .

ومما هو حريٌّ بالاسف ان اولئك اللغويين قد ترفَّعوا عن ان يثبتوا ايضاً في معاجمهم الفاظاً شتى احدثها المولَّدون فنقلها عنهم الفرنجة الى لغاتهم وشاع استعمالها عندهم . ومن ذلك لفظة (*Alcool*) المأخوذة عن الكحل ، ولفظة (*Almanach-*) المأخوذة عن المناخ ، ولفظة (*Carafe*) المأخوذة عن الغرَّافة ، الى غير ذلك من الكلمات التي تنسبها المعاجم الاوروبية الى العرب ولا يقرّ بعروبتها ارباب المعاجم عندنا .

ونحن نحبس القلم عند هذا القدر لعله يستثير الهمم الوانية الى تدارك ما فات ، واصلاح كل خلل في لغتنا المحبوبة .

قبضاي !

مهزلة ذات فصل واحد

كتبت لتلامذة المدارس

بقلم يوسف سوب

اسماء الاشخاص

ماكر : رجل لبناني بين الخامسة والثلاثين والاربعين . طويل القامة ، ساحم الوجه ، اسود الشاربين . خفيف الحركة ، براق النظر ، يتلاعب بسيماء وجهه كما يشاء . هو مضيف شجاع .

رفيق : صديق ماكر ، ليس له شخصية محدودة .

نديم : شاب في الثلاثين من عمره ، خفيف الروح ، يدّعي الشعر ، ويحبّ السكر كانه لم يصحُ قط ؛ لا يزال في هزل وضحك .

نفطويه : نحوي معلم مدرسة . يبالغ في معرفة قواعد النحو والصرف ، فهو لا يدع عند كلامه حرفًا واحدًا دون ان يصحبه بالحركة اللازمة ، حتى في الوقف ؛ وهو يمدّ في صوته ولا يزال ينظر الى الكتب اذا وقع عليها نظره .

شجاع (القبضاي) : رجل ربعة مرفوع الشاربين ، بارز الصدر ، يتفخم في كلامه ، ظاهر فيه التصنع .

هائل وهول وهويل : هم ماكر ورفيق ونفطويه متنكرين .

المسرح

يمثل المسرح بيتًا لبنانيًا قديمًا في جبل لبنان – «دار» فسيحة على جوانبها ابواب بعض الغرف ، وفي صدرها قنطرة تطلّ على جبال فيها صنوبر . وعلى الجدران بندقيات وسيوف وخناجر . يتدلى من سقف الدار قنديل ينار بالكاز ؛ الى الجهة اليمنى مقعد شرقي ، وفي الجهة اليسرى طاولة واطئة عليها رقعة « الداما » وحواليها كراسي ؛ وفي زاوية ظاهرة من الدار صندوق كبير ، وقبالته طاولة عليها ابريق فخار ، وكؤوس ، وقناني عرق ونبيذ .

الثياب لبنانية حوالي سنة ١٨٩٠ .

المشهد الاول

ماكر ورفيق

يرفع الستار عن ماكر ورفيق يلعبان « بالداما » ، وكلاهما مفكر في كيفية الانتصار على صاحبه

ماكر : (كأنه وجد مخرجاً) خذ هذا ... وهذا ... وهذا ... واحد ، اثنان ، ثلاثة . داما ...

رفيق : (يرمي حجارة الداما وينهض من مكانه ويشعل سيكارة) قد ربحتَ . انك والله لتغلبنا في كل شيء .

ماكر : (يشعل ايضاً سيكارة ، ثم يقترب من رفيق) ما رأيك ، يا رفيق ، بصاحبنا ؟

رفيق : اي صاحب تعني ؟

ماكر : صاحبنا القبضاي شجاع ؟

رفيق : (بشيء من الضحك) شجاع ! صاحب السيف ؟

ماكر : هو بعينه . اتراه كما يقول ؟ ما نزل عندنا الا منذ خمسة ايام ، وقد اتخمنا قصصاً واخباراً . فهو لا يزال يمدح نفسه ويثني على شجاعته وقوته حتى أبرمنا . وما اظنه الا واشجع شيء فيه لسانه .

رفيق : انك لتعجب منه ، واني لاشدُّ منك عجباً . قد كنت عشيره قبل سفره ، وذلك منذ خمس عشرة سنة ، وهو اذ ذاك في عنفوان شبابه . ومع ذلك ، فكان قلبه يطير فرقاً لاقلّ حادث وتلحق رجلاه عنان السماء لاخفى حركة . حتى انه كان اذا جاء الليل يأوي كالطير الى وكره ، ولا ينسلخ عنه الا والشمس في كبد السماء . وما سمعت قط انه خطا خطوة واحدة في الظلام . فلا ادري كيف تغير هذا الرجل .

ماكر : ان في الامر لسراً ، ولا بد لماكر من كشفه ؟

رفيق : لم تدعَ بماكر عبثاً . فانك امكر من مكر واحيل من احتال . ولكن كيف السبيل الى ما قلت ؟

ماكر : عندي في ذلك اقتراح اعرضه عليك لعلنا ننال به ما نريد.

رفيق : هات رأيك لنرى

ماكر : اني ارى صاحبنا آتياً . فالاوفق ان ندخل هذه الغرفة خوفَ ان يشعر بؤامرتنا عليه. (يخرجان وبعد قليل يدخل شجاع)

المشهد الثاني

شجاع وحده

يدخل شجاع متقلداً سيفاً ، وعلى كتفه بندقية صيد . بعد ان يعلق البندقية في احد الجدران ، ينظر الى ما يحيط بالبيت من خلال النظارة والنوافذ ، ثم يقول كأنه يريد ان يُسمع كلامه اشخاصاً في جوانب الدار

شجاع : أفٍ لهذه البلاد ! يجول فيها الانسان يومه وليله ، ولا يرى لا ضبعاً ولا اسداً. يطوف الغابات والاحراج ، ولا يعثر الا بصغير الطير وحقير الارانب ، لا يكثر فيها الا الصخر الاسود والقمم الجرداء. (بصوت خافت بعد ان ينظر يميناً وشمالاً) اليس من يسمعني ؟ بلى اني ارى نديماً مقبلاً مع رفيق له. (بصوت عالٍ) لله ايامٌ قضيتها بين النمورة والاسود تتصارع واياها وزميها على الارض اشلاء. (هنا يدخل نديم ونفطويه). اني لا اطيق المكوث في هذه البلاد بين الصخور المحدّدة السوداء والاراضي المجدبة القاحلة ، فلا بدَّ لي من العودة الى الهند والتوغل في غاباتها الكثيفة . هناك تلذ الحياة ، وهناك يطيب العيش بين الفيلة والاسود . (ينتشر الظلام قليلاً فقليلاً)

المشهد الثالث

شجاع . نديم . نفطويه

نديم : خفّض من صوتك ، يا شجاع؟ ما هذه الحدّة. أأصمُّ انت يخاطب أذنيه ؟

شجاع : دعني ، يا نديم . فقد ضاقت بي الارض واسودَّ النهار في عينيَّ . اعجب منكم كيف تعيشون في هذه الاماكن ولا تضجرون . كيف لا تستطيلون الايام والليالي ولا وحوش في ارضكم ؟

نفطوبه : (يتقعر في كلامه، ويمد بصوته، ولا يدع حركة من حركات الصرف والنحو تفلت منه) حفظكَ اللهُ ، يا شجاعُ . إنكَ تلومُ اللهَ على منةٍ نحمدهُ عليها . او تحسبُ أن العلومَ والآدابَ تنتشرُ بينَ الاسودِ والذئابِ ؟

شجاع : وما العلوم والآداب ؟ ! . . يا لكم من جبناء . لا تفتكرون الا بالكأس والملاهي وقتل الاوقات بالمحادثات الفارغة والاشعار السقيمة والقواعد العقيمة . وهذا الحسام ، ان لم تكن الحياة بين المخاطر والمخاوف فلا خير في الحياة .

نديم : كل فتاة بابيها معجبة ! فان كنت انتَ مغرماً بالقنص والصيد ، فاني مغرم بالخمر والقصيد ، وصديقنا هذا مغرمٌ بعمرو وزيدٍ .

شجاع : اني لذكرى تلك الحوادث التي نزلت بي وتلك الغابات التي قطعتها ، تكبر لديَّ نفسي ، ويعظم قدري في عينيَّ ، ويشتاق قلبي مغادرة الراحة والجمود وابتغاء المشقة والعناء . اني لا ازال اتصور تلك الليلة الهائلة وانا بين عشرة من اللصوص . . .

نفطويه : بين عشرة من اللصوص . . .

شجاع : اي نعم بين عشرة من اللصوص ، لا ينصرني عليهم الا صارمي ولا يعضدني الا جرأتي واقدامي . . كان ذلك في الخامس والعشرين من كانون الثاني ، عند الساعة الحادية عشرة ، في غابة مظلمة لا ينفذ فيها نورٌ ولا يسكنها الا وحش او لص . ارتفعت اشجارها في الفضاء . وتجمعت اغصانها والتفَّت بعضها على بعض حتى اصبحت كالبناء المرصوص . . .

نديم : او كالعريش المنصوب .

شجاع : . . . وانا اسير في ظلماتها على جوادٍ ادهم ، مهتدياً بسراج في يدي واذا . . .

نديم : بعشرة من اللصوص باغتوك وهموا ان يصرعوك ويقتلوك ويسلبوك . واما انت فاستللتَ حسامك واعملته في رقابهم حتى هلكوا جميعاً . انك اسمعتنا هذه القصة ثلاث مراتٍ ، فهل لك ان تسمعنا غيرها ؟

نفطويه : وربكَ إنها لَشجاعةٌ تُذكرُ !
شجاع : او اخبرتك بمصارعتي الاسد وقتلي له ؟
نديم : قد اخبرتنا بهذا وأريتنا جلدَه ، وانشدتنا اذ ذاك قصيدة بشر بن ابي عوانة في وصفه .
شجاع : يا له من موقف مهول ، يقفُّ له شعر الرأس ويجمد الدم في العروق ! (يحتدُّ شجاع قليلاً فقليلاً) وحقك لو رأيته :

يكفكف غيلةً احدى يديه ... ويبسط للوثوب عليَّ اخرى
يُدلُّ بمخلبٍ وبحدِّ نابٍ ... وباللحظات تحسبهنَّ جمرا

ورأيتني :

وفي يمناي ماضي الحدِّ ابقى ... بمضربه قراع الموت اثرا

ورأيت وقد :

مشى ومشيت من اسدين راما ... مراماً كان اذ طلباه وعرا

(يسلّ حسامه)

سللت له الحسام فخلت اني ... شققت به لدى الظلماء فجرا
واطلقتُ المهند من يميني ... فقدَّ له من الاضلاع عشرا
فخرَّ مضرَّجاً بدم كاني ... هدمت به بناءً مشمخرّاً
وقلت له : يعزُّ عليَّ اني ... قتلت مناسبي جلداً وقهرا

نديم ونفطويه : لا فُضَّ فوك ، ولا فُلَّ حسامُك ، يا ابا الشجعان !
شجاع : وربك لو رأيتني ورأيته لرأيت ما يرهبك .

المشهد الرابع

شجاع . نديم . نفطويه . ماكر . رفيق

ماكر : ما هذا ؟ أَوَ تصارعون الاسود ؟
نفطويه : إنه ، وهو يخبرُنا بقتلهِ الاسدَ ، فارَ فائرهُ ، فاحتدَّ ، فتهيَّجَ ، فغلى الدمُ في عروقه ، فاستلَّ حسامهُ ، فصاح كأنّهُ يهاجمُ الاسدَ .
ماكر : خفّض من حدَّتك ، يا شجاع ، فليس من اسود هنا .

شجاع : بئست العيشة هذه ! اما من عُلالة يتعلّل بها الشجاع ؟
نديم : اما من راحمٍ ينوّر علينا في هذا البيت . فقد رفرفت اجنحة الليل .
(رفيق يضيء القنديل المعلّق فوق الخوان في سقف الدار)
ماكر : (يخاطب شجاعاً) اخمد نار حدّتك ، يا شجاع ، وانا أُسمعك ما يرضيك .
شجاع : او تصدق في ما تقول ؟
ماكر : او تشكُّ في كلامي ؟
شجاع : لا ، وحقك . ولكن قد غلب عليّ السرور ، فاصبحت لا ادري ما اقول
نديم : (وقد انتهى رفيق من انارة القنديل) نوّر الله عليك ، يا رفيق ، وهداك صواب الطريق ، الى الخمر الرحيق . فقد جمد ريقي في فمي .
رفيق : تأنَّ قليلاً ، ففي التأني السلامة وفي العجلة الندامة .
نديم : وكيف السبيل الى التأني ، والروح تفارقني ان لم تعاجلني بما يردّ الحياة .
ماكر : صدق نديم ، يا رفيق ، فادخل بصديقينا الغرفة واشربوا كأساً من الخمر . فان لي حديثاً أُسرُّه الى شجاع .
رفيق : ولا غروَ انك تَسرُّه .
نفطويه : ما اجملَ هذا الجناس !
رفيق : بل ما اجمل تلك الكاس !
نفطويه : وربكَ ، قد اتيتَ بالدرّ المنضودِ .
نديم : وتركت ابنة العنقود .
نفطويه : وربك راجتْ اسواقُ الفصاحةِ ، يا نديمُ .
نديم : اذ بدت الخمرةُ الوضاحةِ ، يا كريمَ
نفطويه : قد لحنت . الا ترى أنه يُقالُ « اذ بدت الخمرةُ الوضاحةُ » ، وليس « الخمرةُ الوضّاحةِ » ؟
نديم : ولماذا ، وحقك ؟
نفطويه : لان الخمرةَ في حالة الرفعِ وتابعها يكون مرفوعاً .
نديم : وما الذي يرفع الخمرة وتابعها ؟
نفطويه : يرفع الخمرة أنها فاعلٌ ويرفعُ التابعَ أنه نعتٌ لها .

نديم : وكيف تكون الخمرة فاعلًا ونحن نفعلها . للشيطان انت ونحوك ! فما يهمني رفعها وخفضها اذا طاب طعمها.

ماكر : الا تنتهون وتدخلون ؟

رفيق : هيًا بنا .

شجاع : اني انتظر على مقالي الجمر .

نفطويه : اتصدقُ في ما تقولُ ، يا نديمُ ؟ الا يهمّك ذلكَ ؟

نديم : انه يهمني ما يهم الاعمى طلوع الشمس :

ماذا الـذي يهمّني ان قام زيد او قعدْ
او ان ذهبت مـاشياً او راكباً نحو البلدْ
او كان زيد مبتـدا او فاعـلًا سدَّ المسدْ
اوان يكن ذا الاسم يبنى م او يـكن هـذا يُهدْ
تصـالح الفعـلان او تنازعا طول الابـدْ
في النحو لا تقهرني الا تفاصيـل العـددْ
وافعل التفضيل ، كم قد شذَّ فيهـا وشردْ
وغير هـذي عقـدٌ تبا لهـاتيك العقـدا
ترى بها قواعداً بدون معنى وزبـدْ
مختومةً جميعهـا : بـ« قس عليه ما ورد» [1]

رفيق : هيًا بنا ندخل ، فان الخمرة الصهباء تنتظرنا ، وقد احمرَّ وجهها وانتشر عبيرها وراق صفاؤها وطاب مذاقها

نديم : وحن القلب الى لقائها :

هيًا بنا ، هيًا بنـا ، قد زال بالسُمر العنا ؛
وكل ما فينا غـدا يقول : هيًا للهنـا !
يا خمرةَ الـدنِ التي تشفي من القلب الضنى،
قلبي عليل ، يا فتى ، فاسكب من الخمر لنا

(يأخذ بيد رفيق ويهمّ بالدخول . ثم يرى ان نفطويه لا يزال مكانه فيقول له) :

١) الياس صالح

ما لك لا تبرح ؟

نفطويه : اني اتيتُ لحاجةٍ ولا بدَّ لي من قضائها.

نديم : ألم تسمع ما قيل : اليوم سكرٌ وغداً امرٌ ؟

نفطويه : (يخاطب ماكراً) اني في حاجة اليك ، يا ماكرُ ، فهل تسمحُ لي بعرضها ؟

ماكر : (يقترب من نفطويه ويخاطبه بصوت خافت) وما حاجتك يا نفطويه ؟

نفطويه : أريدُ منك ان تُعيرَني ابنَ عقيل ، فانه قد أشكل عليَّ بعضُ المسائل، وقد نقَّبتُ عنها في بقية الكتب ، فلم ارها ، وربما وجدتها فيه .

ماكر : دعنا الآن « وابن عقيل » ، وادخل مع رفيق فانه يخبرك بامر يسرُّك ويسرنا . أُترك النحو ساعة واستعد للهو والضحك .

نفطويه : إني لا ارى ما وراء الحجاب .

ماكر : انك سوف ترى فادخل مع رفيق ، وبلّل شفتيك بكأس من الخمرة المعتَّقة ، حتى تبسم لك الدنيا وتنزع عنك هذا الوجه العبوس .

شجاع : أما انتهيت ، نفطويه ؟ فاذهب واختر لك غير هذا الوقت فقد ضاق صدري انتظاراً (يخرج رفيق ونديم ونفطويه)

المشهد الخامس

شجاع وماكر

« يجب ان يمثل هذا المشهد بكثير من الحركة ، وكثير من السرعة . وعلى ماكر ان يتفنن في سياء وجهه ، فينظر الى شجاع من طرف خفي ، فيضحك منه تارة ، ويظهر له الجدّ تارة ويتبعه من مكان الى مكان حتى لا يدع له مجالاً للراحة »

ماكر : (بعد قليل من السكوت) اما الآن ، وقد خلا بنا المكان ، فاسمع ما اقول لك .

شجاع : اني بجملتي آذان تسمع حديثك .

ماكر : ما خلوت بك ايها الصديق الّا لأمر ، ان بدا حقيراً امام عينيك ، فانه خطيرٌ لديَّ ؛ ولولاك لضاقت بي الارض على رحبها .

شجاع : (على حدة) ارى خلل الرماد وميض نارٍ .

ماكر : ولكن مهما يكن من الامر ، فلست تضيق بـه ذرعاً ، وانت على ما اعهد بك من الشجاعة والقوة.

شجاع : (على حدة) ما عساه ان يكون ؟

ماكر : وقد قيل :

وتعظم في عين الصغير صغارهـا وتصغر في عين العظيم العظـائم

شجاع : ما هذا الامر يا ماكر ؟

ماكر : من خمس سنوات ، حلّ في احدى الغابات القريبة عصابة من اللصوص اخذت تقطع الطرق ، وتتعرض للمارة . فلا يمرّ احد الا سلبتـه ، وان أبى انزلت به الويل . فانتشر الخبر وعمّ الاضطراب ، واصبحنا ولا امن ولا راحة .حتى منّ الرحمان علينا بالفرج ، فلم يمض زمن الا رحلت تلك العصابة عن جوارنا ، ورحل الـذُعر والخوف ، ورجعت المياه الى مجاريها فشكرنا الله وحمدناه . ولكن كأنّ الـدهر ابى الا معاداتنا ، فلا ننهض من شدةٍ حتى نهبط في اشدّ منها هولاً ورعباً . . .
(سكوت)

شجاع : وما هذه الشدة يا مـاكر ؟ . . . (سكوت) ان الله رحومٌ ، فلا تجزع !

ماكر : لو لم يرسلك الله لنا ضيفاً يا شجاع ، لقضيتُ خوفـاً ويأساً ، وانقطع حبل رجائي ، واضمحلت آمال حياتي .

شجاع : ما بعد الضيق الا الفرج !

ماكر : ان هول هذا الخبر قد هدّ عزمي واجمد الدم في عروقي ، فـلا تلمني اذا رايتني شارد الفكر بطيء الكلام.

شجاع : خفف من روعك ، يا ماكر ، واعتصم بالله !

ماكر : الا ترى ان هذا الخبر يهدّ القلب وان حديداً (سكوت)

شجاع : خفّض الجأش يا ماكر ، ولا تستسلم للهول والجزع.

ماكر : وكيف السبيل الى رباطة الجأش ، وقد علمتَ ما علمتَ مما سوف ينزل بي

شجاع : انك لم تعلمني بشيء..

ماكر : او لم اقصّ الخبر عليك. بحقك لا تلمني يا شجاع فقد ضلّ عقلي وشرد عن المدى ، فلا ادري اين انا . قد عادت تلك العصابة المشؤومة مع زعيمها الماكر ، وهي تحنّ الى السلب وشرب الدماء . قد اكّد لي احدهم ان في ظلام هذه الليلة تهاجم تلك العصابة هذا البيت فتسلب كل متاع وتقتل كلّ حيّ... ما لك لا تنطق ، يا شجاع ، ولا ترقّ لمصابي ؟ فالحيلة الحيلة كيف الخلاص ؟

شجاع : تصبّر ، يا ماكر ، واتكل على الله فان كل مفقود موجود ، ولا شيء اثمن من الحياة ، فانجُ بنفسك.

ماكر : املي بك بعد الله ، يا شجاع ، فلا تسمعني هذا الكلام ، ولا تهزأ بي في مصابي :

انت الصديق ذخرته	للنائبات وللمصائب ،
وجعلته ترساً يردُّ	سهام راشقة النوائب.
لا تخزني ، يوم النوا	زل، يا شجاع، ولا تجانب.
انت الشجاع، اذا تصا	فحت الاسنة والقواضب ،
ومشى الردى في القوم مث	ل الخمر في احشاء شارب ،
اني وضعت النفس بي	ن يديك، يا ربّ المناقب ، .
فارحم فؤادًا يستعي	ن بصاحب من الفصاحب !

انت الشجاع ابن الشجا...

شجاع : (يقاطعه) هوّن عليك يا صديقي ولا تجزع.

ماكر : اوّاه . انا لم استعن بك لتسمعني كلام السلوى وتشاطرني الاحزان. بل لتنجدني بسيفك الصارم وقلبك الحازم. انا بين يديك ، انجدني بحقك انجدني !

شجاع : (على حدة) ليتني لم احيَ لها . (يخاطب ماكرًا) انهض ، يا ماكر ، وانظر فيما تراه مناسباً :

ماكر : وما ينفع النظر والراي ، اذا لم تنصرني بحسامك ، ولم تنتشلني من

المروة بساعدك.

شجاع : حسامي وساعدي !! . . .

ماكر : ما تقول ؟؟ اتستعمل حسامك وساعدك لنجدتي ؟ آه ! دعني اقبّل يديك يا شجاع (يجثو على ركبته ويأخذ يده) شكرًا لك والف شكر ، يا نجدة البائسين وقوة الضعفاء . قد اثلجت صدري بعد ان احرقته نار اليأس ، وارجعت الى الحياة بعد الموت.

شجاع : انك لو اعلمت رجال المحافظة . . .

ماكر : (بقوة) ما رجال المحافظة الا اشباح ، ونحن في غنى عن الاشباح.

شجاع : ولكن اما تخشى كثرة اللصوص ؟

ماكر : فهل اخشى ، بعيد الآن ، قوماً لصوصاً او غزاةً او جنودًا ؟ وانت مناصري ، حامي ذماري وفي يمناك ما يفري الحديدا ! دعني اقبلك في جبهتك يا صديقي.(يقبله)

شجاع : ولكن علامَ عولت ؟

ماكر : على ان نقابل اللصوص بجرأةٍ واقدام ، فنردهم خائبين او نبقيهم في قبضة الهلاك . فانبتَ لهم داخلًا . واما انا فاكن خارجاً ، حتى اذا جاؤوا ودخلوا ، جعلناهم فيما بيننا واعملنا السيف في رقابهم . واني لاعلم العلم اليقين انك وحدك كفوء لهم . وما انا الا مساعدٌ انت في غنى عنه . كن متيقظاً ! دعني اتزوّد بقبلة منك ، يا اشجع الشجعان، حتى يتسرّب اليَّ بعض تلك الشجاعة والقوة.

شجاع : ولكن ، يا ماكر ، لن. . .

ماكر : كن حذرًا ! كن حذرًا ! (يخرج ماكر)

المشهد السادس

شجاع وحده

شجاع : (بعد قليل من السكوت يخاطب نفسه) اللصوص . . حسامي . . . شجاعتي . . . قوّتي . . . ويلي ! ويلي من ساعة ينتصب لها شعر

رأسي ، ويتمشى لهولها قلبي في صدري ! ما كان اجدرني بالتنكب عنها والاحتراز منها ! ولكن ما الحيلة في لسان كذوب اوقعني في هذه الحبائل ، وسدّ عليّ منافذ الخلاص ؟ ليتك لم تكن يا لساني ! وليتك ذبت في فمي !... انت علة شقائي وسبب موتي ، لم يكفك الاخبار بالعجائب والغرائب حتى ادّعيت لي القوة والشجاعة واتّقت قصص مصارعات الاسود ومهاجمات اللصوص . ويلك ! يا لساني ، ليتك لم تكن ! وليتك ذبت في فمي !... انّى لي الشجاعة ، وقلبي يخفق للنسيم فرقاً ، ويخاف سوادَ الليل ووحشة الانفراد ! ان منظر الدماء يهولني ، والتفكر بالموت يقتلني ، فكيف بي عند بريق السيوف ولمعان الخناجر ! ليتك لم تكن يا لساني ! وليتك ذبت في فمي !... لولاك ، ولولا خرافاتك ، لتملّصت من هذه الورطة وتخلّصت من حبائلها ، واعتذرت بضعفي وعدم دربتي . ولكن ، والقوم يعلمون ما يعلمون ، فكيف السبيل الى النجاة ؟ ان فررت فذلي ، وان ثبتُّ فموتي ؛ ولا خير في الحياة مع الذلّ ؛ وما أبشع الموت في غير اوانه . ليتك لم تكن يا لساني ! وليتك لم تنطق بكذبة واحدة !... ويلي اني ارى خنجراً يترقّبني ، وعينين تنظران اليّ . اني ارى الموت على قيد خطوة مني . لا . لا . بحقكم ، ارفعوا هذا الخنجر ولا تغرزوه في صدري . اني لم ارتكب ذنباً ولم آتِ اثماً فما تبتغون ؟ ... خذوا كل شيء واتركوا لي الحياة .. ارفعوا هذا الخنجر ! (يُطفأ القنديل) ويلي ! اين انا ؟ ..

(يقع على كرسي قريباً من الطاولة)

(لها بقية)

جولة في المجلات

مدلول «الادب» في كتب الادب القديمة – نظرة في تـدريس الادب – انكلترة تكرم جان دارك .

مدلول «الادب» في كتب الادب القديمة

كتب الاستاذ مصطفى صادق الرافعي مقدّمة لشرح «ادب الكاتب» للامام ابي منصور الجواليقي ، خصّ قسماً منها بموقف بعض ادباء العصر من تلك الكتب القديمة ، موقف الإعراض والترفّع ، ان لم نقل الكره والاشمئزاز. وتخطى الى ذكر السبب في هذا الموقف، فاورد نظرات جديرة بالانتباه قادته الى تحديد «الادب» وذكر مدلوله في كتبه القديمة كآثار ابن قتيبة ، والمبرّد ، والقالي ، ومن اليهم . قال (المقتطف : تموز ١٩٣١ ، ص ١٣٠) :

السبب ان اولئك الادباء كلهم ثم من يتشيّع لهم او يأخذ برأيهم ليس منهم واحد ترى في اساسه الادبي تلك الاصول العربية المحضة القائمة على دراسة اللغة وجمعها وتصنيفها وبيان عللها وتصاريفها ومطارح اللسان فيها . والمتأدية بذلك الى تمكين الاديب الناشيء من اسرار هذه اللغة وتطويعها له فيكون قيّماً بها وتكون هي مستجيبة لقلمه جارية في طبيعته مسدّدة في تصرُّفه . حتى اذا نشأ بها واستحكم فيها احسن العمل لها وزاد في مادتها واخذ لها من غيرها وكان خليقاً ان يمدّ فيها ويحسن الملاءمة بينها وبين الآداب الاخرى ويجعل ذلك نسجاً واحداً وبياناً بعضه من بعضه فينمو الادب العربي في صنيعه كما تنمو الشجرة الحية تأخذ من كل ما حولها لعنصرها وطبيعتها وليس الا عنصرها وطبيعتها حسب

ان ادب الكاتب وشرحه هذا للامام الجواليقي وما صُنّف من بابهما على طريقة الجمع من اللغة والخبر وشعر الشواهد والاستقصاء في ذلك والتبسط في

الوجوه والعلل النحوية والصرفية والامعان في التحقيق . كل ذلك عملٌ ينبغي ان يعرف على حقه في زمننا هذا ، فهو ليس ادباً كما يفهم من المعنى الفلسفيّ لهذه الكلمة بل هو ابعد الاشياء عن هذا المعنى فانك لا تجد في كتاب من هذه الكتب الا التأليف الذي بين يديك ، اما المؤلف فلا تجده ولا تعرفه منها الا كالكلمة المحبوسة في قاعدة ... وكأنه لم تكن فيه روح انسان بل روح مادة مصنّعة ، وكأنه لم ينشأ ليعمل في عصره بل ليعمل عصره فيه ، وكأن ليس في الكتاب جهةٌ انسانيةٌ متعينةٌ ، فثمّ تأليف ولكن اين المؤلف ، وهذا كتاب ابن قتيبة ولكن اين ابن قتيبة فيه ؟

وما اخطأ المتقدمون في تسميتهم هذه الكتب ادباً فذلك هو رسمُ الادب في عصرهم ، غير ان هذا الرسم قد انتقل في عصرنا فانّا نحن المخطئون اليوم في هذه التسمية كما لو ذهبنا نسمي الجمل في البادية الاكسبريس والهودج عربة بولمان ...

ومن هذا الخطأ في التسمية ظهر الادب العربي لقصار النظر كانه تكرار عصر واحد على امتداد الزمن...

الحقيقة التي يعينها الوضع الصحيح ان تلك المؤلفات انما وُضعت لتكون ادباً لا من معنى ادب الفكر وفنه وجماله وفلسفته بل من معنى ادب النفس وتثقيفها وتربيتها واقامتها . فهي كتب تربية لغوية قائمة على اصول محكمة في هذا الباب حتى ما يقرؤها أعجمي الا خرج منها عربيًّا او في هوى العربية والميل اليها . ومن اجل ذلك بُنيت على اوضاع تجعل القارئ المتبصّر كأنما يصاحب من الكتاب أعرابيًّا فصيحاً يسأله فيجيبه ويستشهد به فيرشده ويخرّجه الكتاب تصفُّحاً وقراءةً كما تخرّجه البادية سماعاً وتلقيناً ، والقارئ في كل ذلك مستدرج الى التعرّب في مَدرجةٍ مدرجةٍ من هوى النفس ومحبتها فتصنع به تلك الفصول فيما دُبِرت له مثلما تصنع كتب التربية في تكوين الخلق بالاساليب التي أديرت عليها والشواهد التي وضعت لها والمعالم النفسية التي فصّلتْ فيها .

ومن ثم جاءت هذه الكتب العربية كلها على نسق واحد لا يختلف في الجملة فهي اخبار واشعار ولغة وعربية وجمع وتحقيق وتمحيص ، وانما تتفاوت

بالزيادة والنقص والاختصار والتبسط والتخفيف والتثقيل ونحو ذلك مما هو في الموضوع لا في الوضع ، حتى يخيل اليك ان هذه كتب جغرافيـة للغة والفاظها واخبارها اذ كانت مثل كتب الجغرافية متطابقة كلها على وصف طبيعة ثابتة لا تتغير معالمها ولا يخلق غيرها الا الخالق سبحانه وتعالى.

اما الفائدة من تلك الكتب فهي:

ومما ترده على قارئها تلك الكتب في تربيته العربية انها تمكن فيه للصبر والمعاناة والتحقيق والتورك في البحث والتدقيق في التصفح وهي الصفـات التي فقدها ادبا. هذا الزمن فاصبحوا لا يتتبعون ولا يحققون وطال عليهم ان ينظروا في العربية وثقل عليهم ان يستبطنوا كتبا . ولو قد تربوا في الاسفار وبذلك الاسلوب العربي لتمت الملائمة بين اللغة في قوتها وجزالتها وبين مـا عسى ان ينكره منها ذوقهم في ضعفه وعاميته وكانوا احق بها وأهلها .

وذلك بعينه هو السر في ان من لا يقرؤن تلك الكتب اول نشأتهم لا تراهم يكتبون الا باسلوب منحط ولا يجيئون الا بكلام سقيم غث ولا يرون في الادب العربي الا آراء ملتوية ، ثم هم لا يستطيعون ان يقيسوا على درس كتاب عربي ، فيتساهلون انفسهم ويحكمون على اللغة والادب بما يشعرون به في حالتهم تلك ويتورطون في اقوال مضحكة وينسون انه لا يجوز القطع على الشيء من ناحية الشعور ما دام الشعور يختلف في الناس باختلاف اسبابه وعوارضه ولا من ناحية يجوز ان يكون الخطأ فيها ، وهم ابدا في احدى الناحيتين او كلتيهما.

نظرة في تدريس الادب

وقفنا في مجلة «الاخاء» (ايار ١٩٣١ ص ١٧٠) على مقالة للعزيزي شديدة اللهجة في انتقاد اسلوب « التربية والتعليم في شرق الاردن » . وقد رأينا فيها نظرات صائبة في ما خص تدريس الادب العربي تنطبق لا على شرق الاردن فحسب ، بل على كثير من البلاد التي لا يزال تلامذتها يعانون حفظ وتفسير ذلك الشعر النرامي الفاسد المفسد . قال الكاتب :

الاداب العربية : كيف يدرسونها ؟ !!!

ما ذكرت هذا الدرس ولا ذكرت اسلوب تدريسه الا ضحكت حزناً

« وشر المصائب ما يضحك ! » المقرر لدرس تاريخ الآداب العربيــة : كتاب تأليف الاستاذ فلان الخ !!! يجب حفظ كلمات المؤلف نفسهــا ، او كلمات المعلم بعينها ، الحق ان هذا شيء مدهش ! الاغرب ان الاستاذ ، لكي يوهم التلامذة انه قدير ، يقول لهم انه يحفظ الف بيت من الشعر (نفيس جدًا) ما هي ؟ غزليات عمر بن ابي ربيعة ، تلك الغزليات الــسافــلة التي يأخذ الاساتذة الافاضل تلامذتهم بحفظها ، وبتفسيرها .

ثم يذكر فحش امرئ القيس في معلقته ، ويعود الى ابن ابي ربيعة :

اما غزليات ابن ابي ربيعة فلا ارى ابرد منها ؛ والحقّ اني العن الساعة التي حببت اليّ حفظ بعضها ، لان فيها من نزوات الشيطان ما يكفي لافساد اجيال من الشبيبة . ولقد رأيت بأم عيني شاباً شعلة ذكاء ونشاط جنت عليه اشعار ابن ابي ربيعة فردته خائر القوى ، فاتر العزيمة ، قلق العقلية ، مضطرب الشخصية ، وكثيرًا ما اجهدت نفسيّ لاصرفه عن الانتحار !

فأية فائدة اذًا من تلك المدارس ؟ ومن ذاك الشعر الغرامي ؟

اليست أعظم فائدة نجنيها اننا نحوّل هذه المدارس محلات يتلقّن مرتادوها أصول الغرام الفاحش !! ؟

نحن في المدارس نريد ان نجعل التــلامذة بعيدين عن كل مــا يثير فيهم الخيالات الدنسة ! . التربية البيتية معدومة في بلادنا . فلا اقل من ان تكون المدرسة والدروس ملجأً للاخلاق . ان تربيتنا البيتية ، حالتنا الاجتماعية ، جهلنا المطبق ، لا تتحمل الطفرات الجنونية !!

فما لنا ولحبلي ومرضع امرئ القيس ! ما لنا ولهنيدة ابن ابي ربيعة وسلماه ونعماه و و و . . .

ما لنا ولعبلة عنترة ، وعشيقة طرفة ، وعزة كثيّر ، وبثينة جميل ، وليلى المجنون ؟ ؟ ؟

فهل يصادف صوت المزبزي اذنًا صاغية ؟

انكلترة تكرم جان دارك

افاضت صحف العالم عامةً وصحف فرنسة خاصةً بذكر الاعياد الاحتفالية التي أقيمت في روان تذكاراً لمرور المئة الخامسة على حريق القديسة جان دارك الذي جرى في ٣٠ ايار ١٤٣١ وفي ٣٠ ايار ١٩٣١، كانت المدينة تعج بالوفود المتألبة لتكريم ذكرى القديسة. وقد لفت الانظار خاصةً الوفود البريطانية التي وصف مظاهرها ريمون اسكوليه في مجلة العالمين (*Revue des Deux Mondes, 1 juillet 1931, p. 206...*) **فقال:**

منذ سنة ١٩٠٢، قام الشريف الانكليزي ادوارد كلارك، احد وجهاء مدينة هستنغس، فاشترك بالحفلة التكفيرية، وصاح ضارباً صدره: «اجل! لقد ارتكبنا، نحن الانكليز، خطأً جسيماً بحرقنا جان دارك» وكم من الانكليز قطعوا المانش، منذئذٍ، فاتوا روان ليقوموا بواجب التكفير!... وفي هذا النهار، نرى فرقة من فتيات انكلترة حاملات علماً تظهر عليه هذه الكلمات المؤثرة:

Homage to Saint Joan of Arc,

from England

«اكرام للقديسة جان دارك، من انكلترة!»

ومن الحق ان هذا النهار يختص بانكلترة اختصاصه بجان... وها ان سفير بريطانة العظمى في فرنسة، اللورد تيرل، لا يخفي تأثره. اما اساقفة بريطانية فكلهم حاضرون تقريباً.. وها ان الكردينال بورن، رئيس اساقفة وستمنستر، وموفد الحبر الاعظم الخاص يصل وسط عاصفة من الهتاف. فيلفت وصوله الانظار حتى ان الناس يكادون ينسون جميع مظاهر الفخامة المتجلية في تلك الحفلة، فلا يرون الا خلف رئيس اساقفة وستمنستر الذي ارسل جان دارك الى الحريق! وهو اجدر من يقوم بالكفارة!

هوذا الظهر، الساعة التي عُذبت فيها جان دارك. اخذت الجيوش تسير بانتظام، حتى اذا وصل القواد امام محل العذاب، حيث ارتفعت كومة الحطب، حنوا سيوفهم محيّين. ثم تقدم وزير العدلية ممثلاً فرنسة، ومدير روان، وعن جانبيها الانكليزيان العظيمان الكردينال بورن، واللورد تيرل... وفي الساعة نفسها قرعت اجراس كاتدرائية روان، فاجابتها اجراس فرنسة جمعاء... ف.١٠ب..

شذرات

اناج الذهب

نشرت «صحيفة التجارة والصناعة» المصرية (نيسان ١٩٣١ : ٥٧٦) بعض المعلومات في هذا الموضوع نقتطف منها ما يلي :

منذ سنة ١٤٩٣ ، اي السنة التي بدئ فيها باستخراج الذهب الامريكي ، الى ١٩٣٠ ، ارتفع انتاجه الى ١,٠٤٢,٨٥٠,٠٠٠ أوقية استخرج نصفه او اكثر قليلًا (٥٥٠,٣٥٠,٠٠٠ اوقية) في غضون القرن العشرين . وقد رصد ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ اوقية من الانتاج العالمي لتكوين الاحتياطي النقدي ، والباقي استهلك في مختلف الصناعات او فُقد او اختفى من الاسواق بكثرة.

وبلغ الانتاج العالمي حوالي ٦٩٠,٠٠٠ اوقية بين سنتي ١٨٠٠ و ١٨٤٠ ، ثم وصل الى ٦,٥٨٥,٠٠٠ اوقية بين ١٨٥١ و ١٨٦٠ ، فالى ١٠,٠٠٠,٠٠٠ اوقية بين ١٨٩٠ و ١٩٠٠ . وبينما كان بعد سنة ١٩٠٠ ؛ ١٢,٠٤٢,٠٠٠ زاد على ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ في سنة ١٩٠٩ ، ثم وصل الى اعلى رقم في ١٩١٦ حيث بلغ الانتاج العالمي الى ٢٢,٧١٨,١٠٤ اوقية .

غير ان هذا الانتاج نزل عقب الحرب الى ١٥,٠٤٦,٠٠٠ اوقية في سنة ١٩٢٢ ، ثم عاد فارتفع الى ١٩,٠٠٥,٠٠٠ اوقية ، واحتفظ بهذا الرقم بين ١٩٢٦ و ١٩٣٠ . والمنتظر ان يظل كما هو في السنوات العشر المقبلة . حتى أتي سنة ١٩٤٠ فيعود الى الهبوط ، ولن يتعدى الانتاج عندئذ ١٤,٠٠٣,٠٠٠ وقية وهي الكمية التي تطلب سنويًا للحاجات النقدية . الا انه يخشى ان زداد مطالب الصناعات من الذهب في الاعوام المقبلة ، وان يترتب على ذلك جز فيما تحتاجه النقود سنويًا يقدر بخمسة ملايين اوقية او ستة سنويًا.

والى جانب هذا يلاحظ ما اصاب مناجم الترنسفال من عجز الانتاج ، هي التي يُستخرج منها الآن حوالي ٥٣,١ في المائة من الانتاج العالمي ، مما

قد يترتب عليه ادخال تعديلات كبيرة في مراقبة الانتاج السياسية لذلك الحجر الكريم

السيارات في منطقة الانتداب

بلغ عدد السيارات المصرح بها في لبنان ٩٩٥٤ سيارة ، عدا سيارات الجيش . وفي منطقة دمشق ٤٥١٧ سيارة ؛ وفي شمالي سورية مع لواء الاسكندرون ٢١٢٧ وفي اللاذقية ١٥١٤ . فيكون المجموع ١٨١١٢ سيارة.

تقدم الصحافة في سورية ولبنان

لم يكن في البلدان السورية واللبنانية ، سنة ١٩١٩ ، سوى ١٧ جريدة ؛ فاصبح فيها ، في سنة ١٩٣١ ، ١٢٤ جريدة منها ٢٣ جريدة يومية ، و٦٠ جريدة اسبوعية . تصدر سبع منها بالفرنسية ، و ٦ باللغة الارمنية ، و ٣ باللغة التركية ، وجريدة واحدة باللغة الجركسية ، وبقية الصحف باللغة العربية.

الاقبال على الكثلكة في كورية

جاء في برقيات « فيدس » الواردة من ينغ ينغ ، في كورية ، من اعمال اليابان ، أن هناك حركة عظيمة تؤذن باقبال الاهلين من وثنيين وبروتستانت على اعتناق الكثلكة مما لم يقع له مثيل من قبل في مديرية ينغ ينغ الرسولية . ولقد كانت هذه المنطقة في السابق مضماراً لمبشري البروتستانت يمرحون فيها بلا منافس ، فأسسوا فيها المدارس ، واقاموا المستشفيات والمستوصفات . ولكن رجال الكنيسة انتبهوا مؤخراً اليها وبعثوا لها مرسلين اميركيين في السنة ١٩٢٣ ، فاخذ هؤلاء يعملون على اجتذاب النفوس الى الصراط القويم بما وهبوا من نشاط وغيرة ، فكللت اعمالهم بالنجاح رغم ما قام في وجههم من المصاعب . وقد وقع في الصوم الاخير ان قد منح في دار المديرية الرسولية ، من اربعاء الرماد حتى احد الفصح ، ٦٠٠ شاب من الوثنيين سرّ العماد المقدس . وهناك عدد آخر كبير من الكوريين لا يزال يتردد على دار الاسقفية ، طالباً الدخول في حضن الكنيسة الكاثوليكية.

مطبوعات شرقية جديدة

Edouard Cuq : Etudes sur le droit babylonien, les lois assyriennes et les lois hittites. *VII-522 pp. pet. 4°, carré, avec une carte. Paris, Geuthner*, 1929. 150 *fr.*

ابحاث في الحق البابلي والشرائع الاشورية والشرائع الحثية

هذا كتاب يجدر بكل قاض، وفقيه واستاذ وتلميذ في الحقوق في بلادنا ان يجعله في مكتبه . وهو مجموعة ابحاث منها قديم يرقى الى عشرين سنة سلفت ، راجعها المؤلف وحوّر فيها ؛ ومنها حديث ولاسيما ما خصّ التشريعات الاشورية والحثية التي لم تكتشف اسانيدها الا في السنوات المتأخرة . على ان محور الكتاب الحق البابلي المتجلي في المظهر الذي اظهره به ملك بابل الشهير حمورابي معاصر ابراهيم الخليل ، وهو مظهر يفرض ماضياً عريقاً يمتّ الى الشومريين ، ولنا على ذلك عدة شواهد . ولا يخفى ان المعروف بقانون حمورابي هو المسلّة الموجودة اليوم في اللاوفر والتي اكتشفها جاك دي مورغان في سوس حيث كانت قد نُقلت كسلب من اسلاب الحرب . فاخذ بدرسها والاهتمام بقراءتها الاب شيل (Scheil) الدومنيكي ، مدة ستة اشهر ، نشر بعدها نصّ القانون مع ترجمة لم تحتج منذ ذاك الا قليلًا من الاصلاح . وهذا اثر يكفي وحده لتعزيز شهرة الراهب العالم . وعليه فقد قدّم له المؤلف كتابه هذا بنسبة مرور ٧٠ سنة على ميلاده في سنة ١٩٢٩ .

شُهر المؤلف سابقاً بكتاب في « المؤسسات القضائية الرومانية » يعرفه جميع طلّاب الحقوق ، فاظهر من المقدرة ما يضمن له الخوض بموضوع في الحقوق الشرقية . ثم استعان بافضل المؤلفات في الاشوريات ، وتواريخ الشعوب ومؤسساتهم ؛ فنتج من ذلك ان المطالع يرى في هذا المجلّد النفيس ، الوافر الوضوح ، السهل المطالعة ، كل ما يمكن ذكره ذكرًا يقينيًا في ذاك الموضوع الفسيح . وقد احسن الكاتب بجمعه ابحاثه السابقة ، التي راقت جميع الاختصاصيين من اشوريين وفقهاء ، على طريقة مرتّبة تظهر فيها كل مادة على حدة ، جامعة

الى كل موضوع ما يجانسه من النظرات . هذا وان الحق البابلي يُشبه في كثير من الوجوه الحقّ الروماني ، وقد وُضع ، مثل هذا ، لشعوب متقدّمة في المدنية والترف. اما الحق الاشوري [1] ، ولا ترقى مصادره الاولى الى ابعد من الالف الثالث ق.م. ، فانه يظهر جنائيًا كالحقّ الحثي الذي ترقى مصادره الى نحو السنة ١٥٠٠ ق. م. وغاية كل هذه التشريعات حفظ النظام الاجتماعي.

وان من يدرس من السوريين هذا الكتاب بدقة وامعان ، يستفيد مما يساعده على فهم الكثير من عادات السلف ، تلك العادات التي لم تضمحل كلها في عصرنا.

س. ر.

Thomsen (Peter): Palästina und seine Kultur in fünf Jahrtausenden. [*Der alte Orient*, 30] *Hinrichs*, 1931, 8°, 120 *pp.* 8 *fig. et* 16 *planches. Prix : M.* 3, 60.

فلسطين ومدنيّتها مدة خمسة آلاف سنة

يسرّنا أن نقدم للقراء الكرام هذا المجلد القيّم ، وهو طبعة ثالثة منقّحة ومزيد عليها لكتاب ظهر لاول مرة سنة ١٩٠٩ ، وقد بلغ الالف التاسع سنة ١٩١٧ ، ووصل اليوم الى الالف العاشر ، مزدانًا بكل الزيادات الضرورية بعد ان وصلت الحفريات في الشرق الى النهضة الحاضرة.

غاية المؤلف ان يطلع جمهرة المتعلّمين على المدنية الفلسطينية منذ العصر الظرّاني الى عصر العرب . وهو يبدأ بمختصر في تاريخ الحفريات العصرية في فلسطين ، وفي الطريقة التي اتبعها لاقرار التوقيت في مختلف العصور ، وهي طريقة تستند اليوم استنادًا كبيرًا الى ترتيب الطبقات في الآثار الفخارية . ثم يلج الموضوع فيصف العصر الظرّاني (القديم ، والحديث ، والمقابر ، والطقوس الدفنية ، والديانة الخ . . .) ؛ فالعصر البرونزي (منذ السنة ٢٠٠٠ ق. م.) وما يشمل من تنقلات الشعوب ، ونشوء المدن وطريقة تحصينها ، والديانة والعادات ؛ ثم يصل الى العصر الحديدي (منذ السنة ١٢٠٠ تقريبًا) فيتكلم

١) لم يمكن المؤلف ان يستفيد من الدروس الحديثة بقلم ايسّر (Eisser) ولاوي (Lewy) بعنوان : *Die altassyrischen Rechtsurkunden von Kültepe.* التي ظهرت في *Mittlgn. d. Vorderas. — aegypt. Gesellsch. t. 33. 1930.*

عن المنازعات بين الاسرائيليين والفلسطينيين ، وعن المدنية المتقدّمة في ذلك العصر ؛ وينتهي بالعصرين اليوناني والروماني فيخصّ فصلًا بكل منهما ، ثم بالعصر البيزنطي المتّصل بالروماني .

يدلّ كل هذا على سعة الموضوع واهميته ، وعلى ما بذله المؤلف من الجهود كي يدخله في نحو مائة صفحة . فكان من ذلك انه اكتفى باللمحات الاجمالية ، وبالمزايا الخاصة المهمة ؛ فاستخرج اللُباب من المادة الكثيرة دون ان تثقل عليه . وشاء الاخذ بطريقة مشروعة يضع فيها المدنية الفلسطينية في بيئتها الخاصة ؛ ويقابل بينها وبين ما جاورها من المدنيات خصوصاً في مصر وسورية . فاستفاد ، في ذلك ، من جميع الحفريات والمكتشفات المصرية التي جرت في بيلوس(جبيل) ، وراس شمرا ، وكركميش ، والمشرفة وغيرها . والقى النور على ماضٍ يتّصل بصلة متينة الى دين اسرائيل ، والى الديانة المسيحية . يزيد قيمة ذلك تصاوير ورسوم جميلة متقنة . ولعلّ الكتاب يروق بعض ادباء العرب فينقله ، او يسير على اسلوبه في ابحاث يمكن لكل مجلة عربية ان تحاضر قرّاءها فيها مدة سنتين او ثلاثة ، فتفيدهم وتساعدهم على فهم تاريخ تهمّ نتائج تطوّره البشرية جمعاء .
س . ر .

Neugebauer (K. A.): Antike Bronce-Statuetten. 132 *pp. pet.* 4°, 8 *illustr. et* 67 *fig. en pl. phototyp. Berlin, Schoelz u. Parrhysius.* 1921.

التماثيل الصغيرة البرونزية القديمة

اننا جدّ متأخرين في الكلام على هذا الكتيّب الصادر منذ عشر سنوات . على اننا نذكره باختصار ، منتظرين طبعته الثانية التي قد تتأخر لانه طبع من الاولى خمسة آلاف نسخة .

موضوع الكتاب التماثيل القديمة الصغيرة المصنوعة من البرونز . وغاية المؤلف ان يقدّم ، لجمهرة القرّاء حتى لمن يجهل منهم مبادئ علم الاثريات ، مجموعة او دليلًا يقدّرون بواسطته قيمة تلك التماثيل الصغيرة القديمة المنتشرة في متاحف اوربة ، والمصنوعة من البرونز في ازمنة مختلفة منذ اوائل تلك الصناعة حتى

اواخر الامبراطورية الرومانية. وبين هذه التماثيل ما يُعدّ بحق من روائع الفنّ .

يبدأ المؤلف بتحديد فنّ هذه التماثيل وما يمتاز به عن فنّ التماثيل الكبيرة. ثم يذكر عصرها السابق للتاريخ الذي ينتهي في الالف الثالث ق. م. ، في الزمن الذي ابتدأ فيه العالم الاوربي باستعمال النحاس المزوج بالقصدير . يمثل هذا العصر ، المدعو بعصر البرونز ، الطبقة الثانية في طروادة ، وفنّ جزر اقريطش وميقينية ، وبعض قطع خاصة تظهر فيها المزايا التي تزداد وضوحاً في العصور التالية . يأتي بعد ذلك العصر المعروف « بالهندسي » والعصر « القديم » الذي يظهر مجدّداً في اقريطش ، منذ القرن السابع ق. م. ، وفي جزر البيلوبونيز ، واتيكة ، ويونية ، وفي اغريقية الكبرى (جنوبي ايطالية) . ويليه عصر الفنّ « المدرسي » ، ثم وارثه الفنّ اليوناني الشديد المحاكاة لمظاهر الطبيعة ، ثم فنّ الاتروسك واللاتين ، واخيراً الفن الروماني ، خلف جميع الفنون .

ومما حمل على رواج هذا الكتاب طريقته الواضحة الصريحة واسلوبه السهل ، وهو ما شاءه المؤلف اذ لم يضع كتابه للاختصاصيين ، ومما فيه من اللوحات التصويرية المتقنة ، على قلتها .

هذا وقد ادرك المطالع ان المؤلف لا يهتم الا بالفنّ اليوناني ، منذ عصر طروادة واقريطش حتى اواخر الامبراطورية الرومانية . فيجاز له ان يسأل: ولِمَ اهمل المؤلف — وهو لم يُغفل ذكر اقريطش القديمة — تماثيل آسية الصغرى ، وفينيقية ، وسورية ، وفيها ما يفوق التماثيل اليونانية جميعها قدماً ودقّة صناعة ؟ ونحن نأمل ان تُسدّ هذه الثلمة الظاهرة في الطبعة الثانية. س. ر.

Gessmann (Hugo) : Die orientalischen Religionen im hellenisisch-roemischen Zeitalter. *Eine Vortragsreihe. Berlin, W. de Gruyter u. C°*, 1930, 8°, 179 *pp.* 58 *fig. et* 1 *carte. Prix : M.* 8.

الديانات الشرقية في العصر اليوناني - الروماني

هي مجموعة محاضرات عن الديانات الشرقية في العصر اليوناني - الروماني كان قد القاها المؤلف سنة ١٩٢٣ . ثم لبى دعوة ربه في اميركا سنة ١٩٢٧ فاجتهد صهره في قراءة مسوّداتها ، وكانت مكتوبة بالاختزال ، فنقلها ، ورأى

احد تلامذته گالينك (K. Galling) ان ينشرها لما فيها من فائدة.

يبدأ الكاتب بتوطئة قصيرة في المتضادات والديانات السرّية ، ثم يعرض للديانة المصرية فيتكلم عن اوزيريس وساروبيس وما يتعلق بهما من الاسرار، وعن ايزيس ؛ فعن التوحيد المثلث: اوزيريس وايزيس وهورسيس (اوهرپاقات الاله - الطفل) . ثم ينتقل الى الفصل الثاني ، وهو اطول فصول الكتاب ، فيخصه بديانة شعوب آسية الصغرى ، ويذكر جميع مظاهرها في عصر الحثّيين الاولين ، اي في الالف الثاني ق.م. ، فيجاري آراء الجميع اذ يجمل في مقدّمة آلهة تلك الناحية « ام الآلهة » القديمة او«الامّ الكبيرة» ، الاهة الارض وسيدة الطبيعة،مروّضة الحيوانات وموزّعة الخيرات ؛ وقد تردّد ذكرها في عدة اشكال محلية لاسيما الالاهات كاسم« ما » (او بلّونه) في كومان، و«ارطميس» في افسس، و« عَتَرغَتيس » في سورية الشمالية. والى جنبها ، فضلًا عن اله الحثّيين السموي الاعظم ، يحتلّ الاله الفتى آتيس مركزًا سامياً ، وقد كان لهذا الاله شهرة واسعة في رومية ، وكذلك اشتهر فيها سوبازيوس الذي تجتمع فيه هذا الاله . اما الفصل الثالث والاخير ، وهو اقل الفصول اتقاناً ، فيبحث عن ديانة الايرانيين في الشكل الذي وضعها فيه زرادشت ، فيصف عبادة ميثرا التي انتشرت انتشارًا زاحم المسيحية مدة ، وبين العبادتين بعض الشبه الخارجي . ثم يتكلم عن المانوية .

فيظهر ان الكتاب موضوع لفائدة جمهرة المطالعين بالالمانية وهو ملخص نوعاً ما عن تأليف شهير للالاثري كومون (F. Cumont) سمّاه « الديانات الشرقية في الامبراطورية الرومانية » . وقد كان قصد المؤلف ان يزيد عليه فصلين عن اليهودية والمسيحية ، فحالت المنية بينه وبين اتمام هذا القصد . اما الاختصاصيون فليس في الكتاب ما يفيدهم كثيرًا. فان آراء المؤلف ، وبعضها جريء حتى الغرابة ، شخصية محضة. على ان الناشر احسن صنعاً بطبع هذا الاثر لعالم اشتهر طول حياته بدرس تاريخ الديانات ، فلا اقل من ان يطبع كتابه بعد وفاته . هذا وان الصور متقنة مفيدة.

س. ر.

R. Chauvelot : Où va l'Islam ? *in-8°, 15 illustr. photogr. et 2 cartes. Editions Jules Tallandier, Paris.*

مصير الاسلام

يقرأ المطالع هذا الكتاب فيشعر انه امام رحّالة يمر سريعاً فيخوض موضوعاً فسيحاً يشمل بلاداً كثيرة ؛ فيتكلم عن استانبول ، وحلب ، ودمشق ، والقدس ، والقاهرة ، وفاس ، والصحراء . كل ذلك برشاقة ورونق ، على سرعته ورغبته في الوصول الى الغاية . اما الغاية ، وهي مصير الاسلام ، فمن الصعب ان نراها مقرّرة بوضوح وتحفظ ودقة . وقد قال المؤلف في كلامه على فلسطين (ص ٨٤) : « لا تشكّوا في كون الاسلام صائراً الى التساهل والتفهم والنور والتقدّم ومؤاخاة الشعوب » ونحن نتمنى من كل قلبنا ان يكون كلامه صحيحاً !!! ج . ل .

André Siegfried : La crise britannique anglaise au XX^e^ siècle. *in-16, 2 cartes et 2 graphiques. Prix : 10 f^s^ 50. Collection Armand Colin, Paris.*

الازمة البريطانية الانكليزية في القرن العشرين

ان كتب الاستاذ سيغفريد ، ولا سيا ما اختصّ منها بالمسائل الانكلوسكسونية ، من اجدر المؤلفات بالثقة ، لما امتاز به صاحبها من التبحّر في درس المواد ، والدقة والتحفظ في استخراج النتائج . وهي الصفات التي تظهر في المجلد الحالي اذ يعرض الكاتب للازمة البريطانية التي اعتقدها الكثيرون عرضية سريعة الزوال والتي لا تزال مستحكمة النطاق ، فيحللها ويدرس جميع الشروط التي تسمح لانكلترة بالحياة كدولة اقتصادية ؛ ويستنتج انه، اذا شاءت تلك البلاد البقاء دولة عظيمة،فعليها ان تحوّر طرق حياتها تحويراً كاملاً . وهي نتيجة على جانب عظيم من الخطورة ولكنها تظهر ما للكتاب من اهمية . على اننا نرى ان ليس من المعقول ان يكون العامل الاقتصادي الوحيدَ في تكوين الازمة البريطانية ، بل هناك عوامل اخرى كان على المؤلف ان يُلمّ بها ، وقد شاء ان يدرس الازمة درساً دقيقاً تامًا . ولكن في فصله المعنون « الشعب الانكليزي والازمة » معلومات مفيدة مهمّة ، على كونه لم يمسّ الجهة الاخلاقية الا مسًّا رفيقاً . ج . ل .

Klamroth (Dr Heinz): Aegypten, das uralte Kultur und moderne Reiseland. *mit 24 Tafelbildern und einer übersichtskarte. VIII et 118 pp. Prix*: *M.* 4,50, *broché* 3,40. *Freiburg im Breisgau, Herder*, 1929.

كتاب عن مصر وثقافتها

عاش المؤلف في مصر مدة طويلة فامكنه ان يراها بعين اجلى من عين السائح المستعجل . وعليه فان المطالع يستفيد عن مصر معلومات كافية في ما خصّ الحياة الشعبية فيها ، وتاريخها ، ولغتها ، ودينها ، ومواردها . والكتاب جزء من سلسلة غايتها اطلاع الالمان على بلاد العالم المختلفة والشعوب التي تسكنها ج . ل .

De matrimoniis mixtis, eorumque remediis ; *auctore* **Francisco Ter Haar C. S. S. R.** *Taurini-Romae, Marietti*, 1931, *in*-8° *L.* 11.

بحث في الزواج المختلط

لا يخفى ان الزواج المختلط يُحدث الاخطار الجمة لايمان الزوجين وايمان اولادهما ايضاً . فلا عجب اذًا في ان تكون الكنيسة حرّمته اشدّ التحريم فقالت في القانون ١٠٦٠ الذي يورد التشريع القديم : « تحرّم الكنيسة اشدّ التحريم في كل موضع عقد الزواج بين شخصين معتمدين يكون احدهما كاثوليكيًا والآخر منتمياً الى شيعة هرتوقية او منشقة . واذا كان ثمّة خطر فساد على الزوج الكاثوليكي فالزواج اذ ذاك تنهي عنه حتى الشريعة الالهية نفسها » (تعريب البشير) وقد عاد الى الموضوع نفسه قداسة الحبر الاعظم في رسالته العامة الاخيرة « في الزواج المسيحي » فذكّر ذاك التحريم الشديد (ص ٣٢ من طبعة المطبعة الكاثوليكية) .

فرأى المؤلف ان ينشر بحثاً ضافياً مدققاً في الموضوع فكان له ذلك في هذا الكتاب ذي المنفعة الجزيلة لكهنة الشرق حيث يكثر الزواج المختلط خصوصاً في المدن .

بيّن المؤلف في القسم الاول ان شريعة التحريم شريعة قديمة جدًا لم تفتأ الكنيسة ان تذكّر المؤمنين بها . ثم بيّن اسباب هذا التحريم ، وكلها تبرّر تمسّك الكنيسة بها ، كما تبرّره الحوادث والاحصائيات ايضاً . وفي القسم الثاني

يخوض في التحليلات التي ترى الكنيسة اعطاءها اذ تعتبر الاسباب كافية لذلك، وما تتخذه من الاحتياطات وما تفرضه من الشروط لاعطاء تلك التحليلات. واخيرًا، في القسم الثالث، يسرد الطرق التي يجب استعمالها لتقليل عدد الزواجات المختلطة.

فنحن ننصح بالاقبال على هذا الكتاب الصغير الذي يُظهر حكمة الكنيسة في تشريعاتها، ويفيد كهنة الرعايا طريقًا امينًا يسيرون عليه في مشكل من اصعب المشاكل حلًا ومن اكثرها حدوثًا. ي. م.

Annuaire pontifical pour 1931. 960 *pp. à* 2 *colonnes*, 173 *illustr Prix* : 45 *f*. *Maison de la Bonne Presse, Paris.*

التقويم البابوي لسنة ١٩٣١

ليس من يجهل قيمة هذا التقويم المهم، وهو يلقي كل سنة بين ايدي المطالعين، منذ سنة١٨٩٨، مجلدًا ضخمًا يحتوي الكثير من الحوادث والمعلومات وفي هذا الاخير، فضلًا عما اعتدناه في سابقيه، بحث في الطقس الليوني، وفي الكرادلة على عهد الانشقاق، وفي ابرشية دانسيغ، وفي رهبنات النساء المؤسسة في بلجيكا، وفي التقديسات والتطويبات التي حصلت سنة ١٩٣٠

R. P. Coulet : L'Eglise et le problème de l'autorité. *in*-12, 199 *pp. Prix* : 10 *f*, *Editions Spes. Paris.*

الكنيسة ومسألة السلطة

القى المؤلف هذه المحاضرات في بوردو، فحصل عليها اقبال عظيم دفع ملقيها الى جمعها في هذا المجلد. ولا عجب فان الموضوع يمس الظروف الحاضرة في جميع انحاء العالم حيث تأخذ النفوس كلها ازمة السلطة وشرعيتها. والمحاضرات خمس هذه عناوينها: ازمة السلطة، ما تفهمه المسيحية بالسلطة، السلطة في العمل، السلطة في الدولة، السلطة في الكنيسة.

J. Rupp : Découverte de la Chrétienté. *in*-12, 113 *pp. Prix* : 6 *f* *Editions Spes, Paris.*

اكتشاف المسيحية

كان المؤلف، وهو ضابط فرنسوي، مرابطًا في المانية المحتلة؛ فاخذ يتأمل في ترتيب الحوادث ونظام الكون حتى شعر بتجدد ديني يحدث في اعماق نفسه

ويدفعه الى تمني الوطن الكاثوليكي الشامل . فكان من ذلك انه كتب الى اصدقائه عدة رسائل جمعت في هذا الكتاب، وكلها تدلّ على سموّ عقل الكاتب وعمق شعوره الكاثوليكي الحيّ.

M. Besson : Histoire des colonies françaises. *in-8° écu de 410 pp., 16 pl. hors texte. Prix : 24 f*. *Boivin et Cie. éditeurs, Paris.*

تاريخ المستعمرات الفرنسوية

انتج معرض باريس ، هذه السنة ، كثيرًا من الكتب في المستعمرات ، وكان من جملتها هذا التاريخ الواسع . وقد نال المؤلف غايته اذ قسم موضوعه الى ثلاثة اقسام : المستعمرات في عهد الملكية (١٨٧ ص) وبين السنة ١٨١٤ والسنة ١٨٧٠ (٤١ ص) وعلى عهد الجمهورية الثالثة (١١٧ ص) . وهو يظهر تتابع الجهود الفرنسوية مدة اربعة قرون وانصرافها الى غاية واحدة. والكتاب سهل المطالعة يسرّ القارئ وينعشه ، لاسيا عند ما يرى ان اكثر هذه الجهود تتابعت في ظلّ الصليب المقدس. ج.ل.

L. Coquet : Les héritiers de la toison d'or. *in-12, 256 pp.* 1931, *Maisonneuve frères, Paris.*

ورثة الصوف الذهبي (تاريخ جيورجية)

ينطوي تحت هذا العنوان الشعري تاريخ جيورجية مختصرًا في ما خصّ عهدها القديم حتى بعيد الحرب (ص ٧٤) ، ومفصلًا كل التفصيل منذئذٍ حتى اليوم . ولا شكّ في ان الكتاب يفيد الكثيرين بما فيه من الدقة ، وبما يظهر من سعة اطّلاع مؤلفه وهو ضابط برتبة كولونيل ، وقد قدّمه للقرّاء الآخوان تارو في صفحات ملؤها الحياة والرشاقة.

ديوان كُثَيِّر عَزَّة

جمعه ونشره الشيخ هنري پيرس

مجلدان : ٢٨٦ و ٤٠٦ ص متوسطة – منشورات كلية الادب بالجزائر ، مطبعة جول كربونل ، الجزائر ١٩٢٨ و ١٩٣٠

ابو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي شاعر اموي ، اشتهر «بكُثَيِّر عزّة» لكثرة تشبيبه بها ، اتصل بخلفاء بني امية ومدح منهم خاصة عبد الملك بن

مروان وابنه يزيد ، وعمر بن عبد العزيز ؛ وتوفي في المدينة سنة ٧٢٣ . جمع شعره من كتب كثيرة الشيخ هنري بيرس (Pérès) الاستاذ بالمدرسة الابتدائية العالية ببُرج الحرّاش « الدار المربّعة » في الجزائر ، ونشره مع شرحه ، بعد ان قدّم عليه مقدّمة بالعربية والفرنسوية ذكر فيها ملخص حياة الشاعر وترتيب قصائده ، وسرد اسماء الكتب التي استند اليها في جمع شعره وشرحه . وقد ظهر من الكتاب مجلّدان يليهما مجلّد ثالث . والاستاذ يهتمّ بوضع كتاب مطوّل بالفرنسوية في حياة كُثيّر وشعره مع ترجمة ديوانه ، سيصدر قريباً في مطبعة غوتنير في باريس . فنحن ، بينا ننتظر ظهور الكتاب الجديد ، نشكر للاستاذ همته العالية وجهوده المحمودة في سبيل شاعر قلّما اهتمّ به جُمّاع الدواوين

ف . ا . ب .

تجديد النظام الاجتماعي

رسالة عامة لقداسة الحبر الاعظم

٥٨ صفحة متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، حزيران ١٩٣١ – ثمنها ١٠ غ. س.

بمناسبة مرور اربعين سنة على إذاعة رسالة البابا لاون الثالث عشر في « الشؤون الحديثة » (*Rerum Novarum*) نشر قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر هذه الرسالة العامة في تجديد النظام الاجتماعي والتوفيق الكامل بينه وبين التعاليم الاجتماعية ، تناول فيها مشكلة من اعقد المشاكل العصرية واصعبها حلّاً الا وهي الحقوق والواجبات التي تتعلّق بكل من فريق ارباب رؤوس الاموال وفريق العملة ، وبقيام كل من الفريقين تجاه الآخر ؛ وقد قسمها الى ثلاثة اقسام : ذكر في الاول الخيرات التي صدرت عن الرسالة « في الشؤون الحديثة » ، خيرات تضافرت على العمل في سبيلها الكنيسة والسلطة الزمنية وارباب الشأن انفسهم من راسماليين وعملة ، حتى اتقد امكن القول ان رسالة لاون الثالث عشر دستور العمال العظيم . وفي القسم الثاني اوضح قداسته سلطة الكنيسة في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية ، فحدد حق التملك وابان صفتيه الفردية والاجتماعية وموقف الحكومة منهما ، وانتهى الى رأس المال والعمل

وما لكل منهما من حقوق وما عليه من واجبات ، مدققاً في ثلاثة امور يجب اعتبارها لتجديد النظام الاجتماعي وهي: معيشة العامل وعائلته ، وحالة المعامل ، ودواعي المصلحة العامة ، وما تتطلب من تأليف النقابات وتعاونها وما شاكل. وفي القسم الثالث ، تناول الحبر الاعظم التغييرات الخطيرة التي طرأت من عهد لاون الثالث عشر وهي تحوّل النظام الاجتماعي وما نتج عنه من النتائج الوخيمة وكيفية العمل لمداواتهـا ، وتطوّر الاشتراكيـة وتشعبها الى شيوعية عنيفة واشتراكية معتدلة ، وهنا صرّح قداسته ان « الكاثوليكي» و « الاشتراكي » اسمان متناقضان وانه لا يمكن للاشتراكية ان تأتي بحلّ للمشكلة الاجتماعية. ثم اهتم باصلاح الاخلاق والسير على طريقة تستند الى العدالة والى المحبة المسيحية فتقود الطبقات الى الاتحاد الوثيق والتآلف التام.

وقد عرّبت المطبعة الكاثوليكية هذه الرسالة النفيسة عن الاصل اللاتيني تعريباً غاية في الدقة والوضوح ، فاستحقت شكر جميع من يستفيدون من هذه التعاليم السامية ، وكثيرٌ ما هم. ف. ا. ب

مرشد المتحف القبطي

وكنائس مصر القديمة ، والحصن الروماني

تأليف وديع حنا

١٩٦ ص . متوسطة — المطبعة المصرية الاهلية بالقاهرة ١٩٣١

كان المؤلف قد وضع دليلًا مطوّلًا للآثار القبطية في مصر وباشر طبعه ، ثم اعترضته عقبات في سبيل اتمامه فتركه . على ان وزارة المعارف المصرية انتدبته لالقاء محاضرات في الآثار القبطية على مدرسي المدارس ، فانتهز تلك الفرصة ورأى نشر مختصر محاضراته في هذه الرسالة الجامعة الواضحة المزينة بعدة رسوم متقنة بالاجمال. بدأها المؤلف بلمحة مختصرة في تاريخ انشاء المتحف القبطي ، وفي الفنون والصناعات القبطية . ثم عرض لكنيسة المعلّقة فخصّ بها ٤٤ صفحة ذكر فيها كل ما تجدر معرفته عن تاريخها وآثارها. اما المتحف فخصّ به القسم الاعظم من الكتاب وقسم شروحـه على محتوياته من مخطوطـات (ص ٦٤—٨٥) واحجار بما فيها حصن بابليون الروماني (ص٨٥—١١٠) واخشاب

(ص ١١٠-١١٧) ومعادن (ص ١١٧ - ١٣٤) ومنسوجات (ص ١٣٤—١٥٠) وفخار وزجاج (ص ١٥٠—١٥٨) واخشاب مزخرفة (ص ١٥٨— ١٨٥) وصور (ص ١٨٥—١٩٠) وختم بلمحة مختصرة عن الكنائس الاثرية في مصر . فاتى الكتاب، على لطف حجمه، وافر المعلومات واضح الشروح ذا فائدة جزيلة .

ف . ا . ب .

النتيجة القبطية لسنة ١٦٤٨

يصدرها جرجس فيلوثاوس عوض

١٢٨ صفحة صغيرة – المطبعة المصرية الاهلية بالقاهرة ، ١٩٣١

هو تقويم عام للسنة ١٦٤٨ للشهداء حسب الحساب القبطي ، وهي السنة التي تبتدئ في ١٢ ايلول ١٩٣١ ، يصدره كل سنة حضرة المؤلف المجتهد الدائب جرجس فيلوثاوس عوض، ويسميه «نتيجة» جرياً على الاصطلاح المصري. وقد ضمنه هذا العام ، فضلاً عن المعلومات الفلكية والدينية والاثرية والتاريخية والزراعية ، « لمحة تاريخية عن حال الكنيسة القبطية وما هي عليه من التأخر بينا ان النصارى يتقدمون دينياً » . فنثني على همة المؤلف الفاضل ونسأل الله ان يأخذ بيده الى ما فيه الخير العام. ف . ا . ب .

حياة المطران نعمة الله ابي كرم الماروني

٤٧ صفحة متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣١

توفي المثلث الرحمات المطران نعمة الله ابي كرم في ١١ نيسان ١٩٣١ ، بعد حياة طويلة ملأها آثاراً يعود فخرها على الطائفة المارونية خاصة وعلى الاكليروس الشرقي عامة. وكان قد اختص بالفلسفة ، وبتلك النقطة الدقيقة منها التي تتصل فيها فلسفة الشرقيين بفلسفة الغربيين ، فنقل « نجاة " ابن سينا الى اللاتينية ونقل « مجموعة الردود » للقديس توما الاكويني الى العربية ؛ فافاد مريدي هذه الابحاث من ابناء اللغتين فائدة جزيلة ، وحقق في شخصه مثالاً حياً لاجتماع تينك الثقافتين الممتازتين . فكان من الحقّ والواجب ان تُذاع ترجمة حياته اقراراً بفضله ، وعبرةً لمن يأتي بعده من ارباب الدرس والاجتهاد. ف.ا.ب.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ حزيران — ١٥ تموز ١٩٣١

لبنان وسوريا صدر قرار باعتبار المقاييس المترية مقاييس رسمية.

* عقد في الجامعة الاميركية في بيروت (١٠ - ١٤ تموز) المؤتمر الطبي المصري الرابع. وقد افتتحه وزير الداخلية مستناباً عن رئيس الجمهورية . واشترك فيه بعض الاطباء اللبنانيين والسوريين، وتتابعت فيه الابحاث عن عدد من امراض البلاد الحارة، وعن توحيد المصطلحات العلمية باللغة العربية.

* لا تزال مقاطعة شركة الجر والتنوير على مجراها في دمشق. اما في بيروت فانتهت باتفاق روعي فيه جانب الفريقين .

مصر اصدرت وزارة المعارف الى مدارسها منشوراً يحزم اشد التحريم على الطلبة الاشتغال بالسياسة.

* اذاعت وزارة الداخلية بلاغاً شجبت فيه حزب العمال وبينت سوء نزعاته.

* اخذت الهند بالاقبال على القطن المصري، فوجدت مصر بعض التعويض من الخسارة التي لحقت بها بسبب اقفال السوق الاميركية .

شرق الاردن زار الامير عبد الله القطر المصري فاستقبل استقبالاً شائقاً. ثم عاد الى امارته في ٣ تموز

العراق سافر الملك فيصل الى تركية فاستقبله الغازي بنفسه في انكره. وبعد ان جال في بعض الجهات، تابع رحلته الى اوربة.

* احتج اهل بغداد على فرض ضرائب جديدة تخوّل البلديات حق جبايتها فاقفلت المدينة بضعة ايام منذ ٥ تموز

فلسطين قرر المؤتمر الصهيوني المنعقد في بال (سويسرة) «ان الصهيونية حركة وطنية... وان غاية الشعب اليهودي ان يستقر في بلاده الاصلية التاريخية بواسطة هجرة دائمة لا تنقطع حتى تصبح ارض اسرائيل للشعب اليهودي».